علي حسن فدعق

أيّام في الشرق الأقصى

ملتزم الطبع والنشر
منشورات عويدات
بيروت لبنان

أيام في الشرق الأقصى

الطبعة الاولى : نيسان (ابريل) ١٩٦٣

الاهداء

الى الانسان النبيل

سمو الامير فيصل بن عبد العزيز

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عزيزي القارىء

ليس هذا الكتاب استقصاء لتاريخ فترة من فترات حياة البلد الذي يذكر فيه ولا لأي جانب من جوانب حياته . فهذا الكتاب اذن ، انما هو تسجيل لحظات عابرة سجلتها ما استطعت ، لان الايام قليلة لا تكفي لأن اقدم لك صورة اكثر وضوحاً من التي تجدها .

لذا ، هذه الايام في الشرق الاقصى تنقلك ايها القارىء العزيز الى اجواء جديدة خاصة للذين اعتادوا ان يقضوا اجازتهم في ربوع اوروبا . فهي مذكرات خفيفة ، تستطيع ان تصحبها معك قراءة في الطائرة ، في القطار ، في سيارة مريحة في جلسة هادئة ، وعند النوم احيانا لتنام وتحلم اما بحسناء فاتنة ، او بشحاذ يمد يده اليك في أدب ومكر .

ولقد كنت مشوقاً لزيارة بلاد الشمس المشرقة (اليابان) لكثرة ما يطرق سمعي من ثناء عاطر على هذا الشعب العجيب في حياته العامة والخاصة ، ولم تتح لي الظروف العادية والادبية القيام بهذه الرحلة ، حتى تلقيت دعوة كريمة من صديقي الشاب النشيط المواطن السيد(احمد بانخر) وكيل عام الخطوط التشيكية الجوية في المملكة السعودية ، اذ عندما ما بدأ سير الخط الجوي وقد سمحت

الحكومة بهبوط هذه الطائرة ، الضخمة السريعة ، وفي مطار (الظهران) بالذات وكان هذا قبيل انعقاد مؤتمر (بلغراد) سنة ١٩٦٢ للدول غير المنحازة ، وكان هذا السماح دليلاً قويـاً على ان سياسة الحكومة حيادية لان نزول طائرات (تشيكوسلوفاكية) في البلاد السعودية ،وفي مطار (الظهران) بالذات ، له اكثر من دلالة واحدة !!!؟ ، حيث كان مطار الظهران محل ترديـد الصحف العربية وغير العربية لوجود ما كان يسمى بالقاعدة الامريكية الخ ... مما تتناوله الصحف بحق وبدون حق !!

أقول تلقيت الدعوة شاكراً للصديق شعوره وبقيت الدعوة عنـدي حتى اتيحت فرصة لم يكن لي فيها يد ، انما وجدتها فرصة على أي حال لاحقق رغبة تتردد في نفسي من زمن ، وانا انسان احب الرحلات رغم ما فيها من تعب جسدي لا احتمله غالباً وانما هي لذة انسانية حيث اطّلع على عـالم جديد له تقاليده ، وعاداته ، ودياناتـه ، واشكاله والوانه الخ... المميزات الكثيرة التي تميز كل شعب عن الآخر ، اومـع ذلك كله فبنو آدم يجمعهم الاحساس الانساني العام ، وسأقول كل شيء بتجرد تام دون تأثر باي عاطفة كانت لان امانة القلم تقتضي ذلك ، ولأن المجاملة كثيراً ما طمست حقائق كان يجب ان تبدو سافرة كما هي دون رتوش . الدعوة من الظهران الى جاكرتا وبالعكس . ذهبت الى القاهرة لرؤية اولادي بالمدرسة وصممت على السفر ، وعلي ان آخـذ تذكرة من (القاهرة) الى (الظهران) ومن (جاكرتا) الى (طوكيو) على حسابي الخاص ، فقلت انهـا رحلة يجب ان ارى فيها (اليابان) وهكذا كان ، وهذا ما سأذكره لك يا عزيزي القارىء ارجو ان تسامح اخطـاء قد تجدها في ايامي في الشرق الاقصى ولك شكري سلفاً .

الرياض   علي حسن فدعق

من القاهرة الى بومباي

اليوم السبت ٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٨١ الموافــق ٩ ديسمبر سنة ١٩٦١ ، موعد وصول الطائرة الكبيرة (Tu 104 B) نفاثة بمحركين ذات سرعة كبيرة روسية الصنع ، وهي في طريق رحلتها الطويلة الى الشرق الاقصى . وهذا خط جديد قد يتطور الى طوكيو قريباً جداً ، وفي رحلاته المتعدّدة ايضاً ، اخذت طريقي الى مطار القاهرة في تمام الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثــين ، ومطار القاهرة يعج بالطائرات القادمـــة اليه والطائرة منه . انهيت الاجراءات البوليسية والجمركية وفي رأسي اكثر من صورة تتزاحم لهذه الرحلة الى الهند اولا . وصلت الطائرة وهي تزأر في الجو القريب وهبطت بسلام منذرة في كبرياء عجيب ، واستقرت على ارض المطار العربي ، وفي تمام الساعة الثانيـــة والنصف توجهنا الى الطائرة ، وكان منظرها الخارجي فيه خط احمر عريض يلفها كلها !!! وفي مقدمتها غرفة زجاجية بها ملامح يقبع امامها يشعرها عن الجو واحواله المتقلبة كالعادة ، واقفلت الابواب وبدأت تزأر زئيرا قويا ودارت حتى اخذت طريقها الى الجو فصعّدت بصورة شبه عمودية وبسرعة عجيبة ، حيث هي سرعتها نحو من ٨٥٠ ك م في الساعة ، وترتفع نحوا من ٣٥ الى ٣٧ الف قدم وتستطيع ان تطير وان تهبط بمحرك نفاث واحد دون ما خطورة . الطائرة مريحة جدا من حيث طيرانها صعودا وهبوطاً الا ان داخلها غير مؤثث بأثاث يتفق مع جلال قوتها ، فأثاثها او ما يسمى (بالديكوريشن) لا يزيد عن اثاث طائرة داكوتا قديمة ، وهذا

ما اسفت له ! ولكن يظهر ان الدول الشيوعية ومن يدور في فلكها يؤمنون بالجوهر لا بالمظهر ، مع ان المظهر له اثره على الراكب من حيث شعوره بالمتعة حتى في ساعة الخطر والخوف بين احضان الجو . استمر طيرانها على ارتفاع ٣٥ الف قدم حتى هبطت بمطار الظهران في تمام الساعة الخامسه والدقيقة الخمسين بتوقيت القاهرة . وفتحت الابواب ونزلنا وكنا بضع ركاب فقط اكثرهم من التشيكوسلوفاكيين وعائلاتهم وتوجهنا الى استراحة المطار ، حيث (البوفيه) وكان منظراً لا ينسى: العائلات من أوروبا الشرقية تدخل استراحة سعودية وفيها يجلس بدوي على مائدته ذو نظرات حادة كأنه صقر جاء لتوه من الجبل الاشم المُغبر ، كان العربي البدوي يجلس على مائدة وحده ، يحتسي الشاي وعليه قميص رث مع الاسف الشديد ، وكان ينظر باستغراب وعجب الى طفلة بيضاء لها عينان زرقاوان جميلتان شعرها اصفر فاقع تلهو هنا وهناك ، وهو ينظر اليها متعجباً ، وهكذا البشر كل غريب يلفت نظرهم وبصورة مفضوحة ، الشاب البدوي كان حاد النظر وسيم الوجه تبدو عليه علامات الرجولة الصارمة ، الا انه مهمل لمنظره اهمالا شديدا جدا ، وكانت مائدته وسط موائد العائلات (التشيكوسلوفاكية) يحيطون به احاطة تامة ، منظر سينمائي لم ترتبه سوى المصادفة فقط ، وبعد استراحة نصف ساعة اعلن الركاب بوجوب التوجه الى الطائرة الرابضة في ارض المطار .

ذهبنا بعد ان ودعت وكالة السيد (بانخر) وبعد ان هيأت الوكالة للطائرة ما يلزمها من كل شيء تحتاجه ، وفي طريقنا الى الطائرة لفت نظري وجود طائرات امريكية للسلاح الجوي الامريكي كان العسكريون الامريكيون ينظرون الى الطائرة (التشيكية) نظرة ألم مرير جدا ، ومع ذلك قدم لها المطار كل الخدمات الضرورية حتى اخذت طريقها الى الجو بقوة محركيها النفاثين الى (الهند) . اتجهت الطائرة نحو سماء المحيط الهندي الكبير ، وبعد دقائق احتضنها الضباب الكثيف فلم نر شيئاً من المحيط ، ومن ثم لفها الليل مترفقا بردائه الاسود وسارت

في طريقها بهدوء عجيب لم نشعر ـ والحق يقال ـ بأية هزة او عطب حتى اعلنت وصولها سماء مطار (بومباي) بعد طيران مستمر لثلاث ساعات وعشرين دقيقة . بعد لحظات سأكون في باب من ابواب الهند يطـــل على المحيط الكبير الذي يضم موجه قصصاً كثيرة عن بطولات عربية في البحر ، وذكرت بسرعة كيف ان تاريخنا قديما منذ اكثر من الف عام ونصف كان العرب يرتادون هذه البلاد (القارة) الكبيرة للمبادلات التجارية ؛ وكيف نقلوا مشاعل النور الاسلامي لتضيء ظلمة هذه البلاد الكبيره جداً ؟؟ وكيف اقبل اهلها على الاسلام بقلوب مؤمنة صادقة؟ رأت في الاسلام خير منقذ لها من التفرقة الطبقية ، ومن استغلال الانسان لاخيه الانسان استغلالا مقيتاً ، حيث كان الحكام والمهراجات هم الذين ينعمون بخيرات الهند والاكثرية الساحقة لا قيمة انسانيـــة لهم ، وجاء الاسلام فساوى بينهم في الحقوق والواجبات ، قضى على العبودية ووحد الناس في المعاملات وآخى بينهـــم بسماحته واقبل الهنود افواجاً الى هذا الدين الحنيف ؛ ولا زالوا حتى اليوم يتمسكون به وينصرونه ، رغم كل عائق ، ورغم كل محاولات طائفية تبذل هناك في الهند الكبيرة ، الهند الذي وصل تعداد سكانها الرسمي لسنة ١٩٦١ الى ٣٤٣ مليونا من البشر منهم نحو ستين مليون مسلم صادق الايمان راسخ العقيدة .

هبطت الطائرة مطار (بومباي) ومدرج المطار ليس منظما لذا كانت الطائرة تسير فيه بشكل غير مريح او هو مخيف على الاصح ، لان الامطار سرعان مـــا احدثت فيه حفراً صغيرة ، ولأن موسم الامطار بدأ في الهند حينذاك ، الجو حار بعض الشيء . دخلنا ساحة الجمرك بعد الشرطة والصحة ، والتفتيش دقيق جداً في الجمرك ومزعج جداً رأيت العشرات يقفون للتفتيش الدقيـــق وتخرج الملابس من الحقائب والمفتشون كثيرون والسؤالات تتوالى . مكثنا نحو ساعة وسألني موظف جمركي ما لديك ؟؟ وهو السؤال التقليدي ، قلت له : لا شيء ! ممـــا هو ممنوع ، قال لي هل لديك آلة تصوير ؟؟ قلت نعم .. أطلعته عليها ، قال هل لديك راديو صغير (ترانزستور) ؟؟ قلت نعم اطلعته عليه وسجل كل ذلك ، ثم سجل فوق

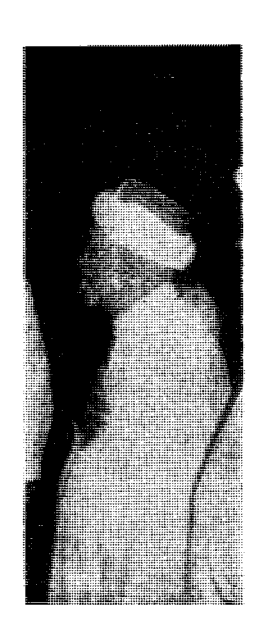
هذا كله الساعة التي بيدي .. نوعها . رقمها ، من اي شيء هي ، قلت: خذ وسجل وسجل واعطاني ايصالاً وفتحت الحقيبة فقلبها رأساً على عقب ثم عقباً على رأس ، ومن حسن الصدف ان رأى مصحفاً فقبله ، وقال اقفل الحقيبة فشكرته وحمدت للمصحف الشريف الانقـــاذ السريع في الوقت المناسب لان الاجراء الجمركي متعب للغاية .



الى بومباي المدينة

اخذت طريقي الى المدينة في سيارة أجرة صغيرة جداً وقديمة جداً ، والمسافة طويلة بين المطار (بومباي) والمدينة . كانت المناظر في الطريق رغم الليل لا تسر ابداً وبعد ساعة زمنية طويلة وصلت فندق (تاج محل) ، وكنت قد ابرقت اليه من الظهران. صعدت الى الغرفة لاستريح لا من الرحلة بل من التفتيش والوقوف ساعة كاملة ومن المطار الى الفندق . الجو حـــار كما قلت مع رذاذ من المطر المتواصل ، ومكثت في الغرفـــة ورتبت الوضع من جديد في الحقيبة ، وحاولت الاستماع الى الاذاعات العربية فسمعت اذاعة القاهرة بعد لأي كبير ، ووضعت برنامج الاقامة في (بومباي) حتى تصل مرة اخرى الطائرة نفسها في رحلة ثانية على نفس الخط بعد اسبوع — ، لاصل بها (جاكرتا) ، ونمت نوماً غير مريح لان الجو حار والمروحة بالغرفة لها صوت يتطور من ضعيف الى قوي وهكذا مضت الليلة الاولى ، وقمت مبكراً على اصوات مزعجة فيها تشاؤم بالنسبة للعرب وفأل بالنسبة للهنود تلك هي اصوات الغربان ، (جمع غراب) وهي سوداء ولها نعيق قوي ، قلت اللهم خير . . . ، ما هذا ؟ وفتحت النافذة فاذا الغربان تملأ الشجر وتطوف بالمنازل رائحة غادية بكل ثقة واطمئنان ، رغم ان الغراب من اكثر الطيور حذراً . جعلت اول شيء أفعله هو الذهاب للسلام على الرجل الذي يدين له بالفضل الكبير كثير من شباب المملكة السعودية ذلك هو الحاج الشيخ محمد علي زينل (اطال الله عمره) ، ذهبت بسيـارة اجرة ومعي العنوان اخذته من احد

الذين علمتهم مدارس الفلاح بمكة . وصلت الى مكتبه ولم يكن موجوداً ، قابلت مدير مكتبه وهو السيد حسن ياقوت ، آخر من بقي من البعثات التي استقدمها الحاج محمد علي من مكة وجدة الى الهند للدراسة (ببومباي) ، دراسة العلوم العربية والشرعية ، وكان الرجل لطيف المعشر مهذب الحاشية مطلعا على التاريخ جيداً ، وبعد نصف ساعة في حديث شيق أقبل الحاج (محمد علي) ، واستقبلني استقبال الاب لابنه سألني عن البلد كيف تركتها ؟؟ كيف فلان وفلان ؟؟ وتفقد الرجل الكبير ابناءه فرداً فرداً ، خاصة اولئك الذين يتصلون به ، قلت كلهم بخير والحمد لله ، كانت معالم المملكة في مكاتب الحاج محمد علي زينل من رسوم وآيات قرآنية وحكم واثاث وكل شيء فيه كأنك في ميناء (جدة) تماما حتى ملبسه وملبس مدير مكتبه وكل الذين يعملون معه . الرجل الكبير تاريخه شرف في المملكة وهو اول من ضحى بكل ما يملك في سبيل نشر العلم والمعرفة خاصة في مكة وجدة حين لم تكن مدرسة بالمعنى المفهوم ، اوجد جيلا من الشباب المتعلم ، صرف ويصرف حتى آخر قرش في جيبه في سبيل مدارسه (مدارس الفلاح) . بالرغم من معارضة بعض افراد عائلته الكبيرة والتي تتمتع باحترام في المملكة السعودية منذ زمن بعيد حيث لهم قدم صدق في الوطنية الحقة ، وحتى في الهند يقوم هذا الرجل المسلم الكبير بعقد ليلة خاصة من كل اسبوع يذكر المجتمعون فيها شيئاً من النصائح الدينية في شكل قصائد تتلى من الهنود والمسلمين واغلبها في مدح الرسول صل الله عليه وسلم ، ويرأس هذه الجلسة الروحية الحاج محمد علي زينل نفسه . وقدحضرت حفلة من هذه الحفلات الاسبوعية واعجبت بمثابرة الرجل على نشر الدين الاسلامي وترغيب الناس فيه حتى هذا السن ، وقد بلغ



الحاج محمد علي زينل

الثمانين عاماً ونيف ولا زال يتمتع بصحة جيدة . والحاج محمـد علي زينل يقوم في الهند برئاسة الجالية العربية هناك ، ولقد اقام حفلا كبيراً لجلالة الملك سعود المعظم حين زار جلالته الهند حضرها كبار رجال الهند والجالية العربية والشخصيات الهندية المسلمة .

كان الله في عونك « نهرو »

هذه الجملة كثيراً ما ارددها بصدق في الشارع ، في المحال العامة ، في الانتقال من بلد لآخر ، حين اقرأ بعض صحف الهند ، ادعو له من كل قلبي (وان كنت ادعو عليه لو انتقص حقاً من حقوق الباكستان) لان نهرو رجل من رجال آسيا العمالقة والذين صنعوا تاريخاً وقادوا امة بل قارة كبيرة ، اقول (لنهرو) اعانك الله على غذاء هذا الشعب الذي يزحف زحف النمل في شوارع مدن الهند حيث لا ترى الا رؤوسا تسير كأنك في يوم القيامة او يوم الحشر الذي افزع الهنـد اخيراً، وتجد المنعطفات وقد انحشر الناس فيها حشراً مخيفاً ومنظرهم ـ غالباً ـ يشير الى فقر مدقع . تصور يا قارئي العزيز ان صفوفاً طويلة من الناس تنتظر الحافلات (الاوتوبوس) وهي لا تكف عن حملهم وتئن منه وهي ذات طابقين وقد كلت من حمل البشر المتراكم . الاطباء عياداتهم ـ غالباً ـ دكاكين في الشوارع .

وبومباي بدأت تفقد جمالها الذي نسمع عنه لان العاصمة الجديدة (نيودلهي) أستأثرت بكل اهتمام الدولة لانها في قلب الهند تقريباً ، والهندي بصورة عامة لا يكلف نفسه غذاء وكساء الا ما يستر عورته ، ويحفظ رمقه ، وليس للسائح في الهند من مكان ، اقصد ، لا يستطيع السائح ان يجد ما يتسلى به مطلقاً لا أماكن للهو ، او للعب حتى ولا اماكن للنزهة ، الا ما قد يرتادها الهنود وقليلا ما هم بالرغم من وجود جمال طبيعة فاتنـــة في بومباي . منظر (كورنيش) بومباي الجميل وهو يلف بومباي كلها تقريباً كسوار جميل على معصم حسناء

صحيح ان الحدائق العامة الكبيرة جميلة ومنسقة وهذه هي التي تجد فيها الناس

رائحين غادين ، وفي حديقة الحيوانات (بومباي) وهي من اضخم حدائــق الحيوانات في العالم : رأيت العاطلين عن العمل بالمئات ممددين على الحشائش في ثياب مهملة ممزقة ، واغلبهم حفاة مما يثير الشفقة عليهم ، وفي مشارف (بومباي) الميناء الكبير الذي عرف تاريخا ، تجد الصرائف الحقيرة تعيش في كل صريفــة عائلة مكونة غالبــاً من ستة افراد ، تضمهم حجرة واحدة سقفها من ورق الاسمنت وبعض الاخشاب المتآكلة ، وهذا يشكل مجموعة كبيرة من الناس في الطريق الى



حديقة الحيوان ، وينشرون هدومهم المغسولة النظيفة على ارض الطريق العــام. وقد ذكر لي الدليل بالحديقه عن البطالة وعن استعداد الهنود للهجرة ، فراراً من البطالة المستديم مما آلمني حقاً . وحيث تسير مساء الى بومباي يعترض طريقك شحاذ او شحاذة وهو أو هي يسألونك في الحاف مستمر حتى يصل لدرجة المضايقة وهم وهن مساء يفترشن رصيف الشارع للنوم فتجدهم متراصين في ثياب رثة مهلهلة ، ولكنهم لا يؤذون ، اقصد لا يسرقون او يرتكبون جرائــم بقصد

السلب او النهب لان الهندي طيب بطبعه ، وطيب بالتعاليم التي يعتنقها حيث البوذية منتشرة هناك ؛ وهي ضد السرقة ، ويعتقد الهندي البوذي بتناسخ الارواح فالانسان الشرير اذا مات تقمصت روحـــه جسم حيوان مضر خبيث كالافعى او الفأر ، او غيره من الحيوانات التي يشمئز منها الناس . اما الانسان الصالح الحكيم فان روحه تتقمص الها يعبد او انسانا يهب نفسه للآلة الكثيرة هناك . والفرد الهنـدي هادىء كل الهدوء الا انـــه إن ثار اشبه (الفلفل) في حرارته المؤقتة ايضاً . فهو سريع الغضب سريع الهدوء ، والهندي فنان يميل الى الغناء والرقص وهو يعتبر الرقص عبادة وثنية خاصة ان كان الرقص من حسناء يلفها الساري الجميل كما هـو في صورة تضـــم حسناويين ترقصان رقصة ثنائية في حفل خـــلوي خاص . (ص ٢٥)

او كما هو صـورة الراقصة بكامل زيها الهندي المعد للرقص خصيصاً وهي تعبر عـــن الجمـال الهندي من الطول الفارع والعينين الدعجاوين الواسعتين والابتسامة المشرقة المعبرة

وفي الهند بلد العجائب تجد وانت تسير ، وانت تتنزه اولئــك الحواة الذين يمارسون اللعب مع الثعابين ، ومنها الخطرة السامة جداً (كالكوبرا) ،وقد سمعت انهم يرقصونها بنوع من العزف على آلة خاصة ، الا اني حين وجدت الرجل الذي يمارس هذه اللعبة الخطرة ، عرفت ان الكوبرا اولا قد نزعت منهـا الغدة تحت الناب والتي تحمل السم الزعاف . ثانياً هي لا ترقص انما الآلة التي ينفخ فيها الرجل الحاوي تشبه رأس حية الكوبرا وبهـا ايضاً خرزتان حمراوان كعيني الحية. فحين تظهر الكوبرا يكون هو قد نفخ في الآلة وهزهـا يمنة ويسرة وبسرعة ؛ فتظن الكوبرا ان أمامها كوبرا اخرى تريد صراعها فتقوم بهذه الحركة التي يقولون عنها انهاترقص لتقابل الخصم بقصد الصراع . وعند مـا طلبت من الرجل الكف مباشرة عن هز الآلة التي ينفخ بها انقضت عليه الكوبرا وبسرعة مخيفة ولكنه قفل القفص الخاص بها فقلت له اخرجها دون نفخ وانا انقدك ضعف ما تريد ، قال ، لا : وامتنع ؛ ولو ان الحية ترقص رقصاً على نفخ مزمار لما اختص هؤلاء باللعبة هذه . ولكانت الكوبرا من الثعابين المؤنسة وهذا رأي اعتقده .

وهذا منظر رجلين ممن يلعبون بالثعابين وارجو ان تدقق يا قارئي العزيز في الآلة التي بيد الجالس على اليسار وقد ادخل الكوبرا في القفص المغلق . اما المفتوح فانه كان يحتوي على ثعابين اخرى ضخمة كما ترى في الصورة ، ويوجد في (بومباي) منتزه جميل يطل على المدينة من عل وهو عبارة عن تل كبير مرتفع مجلل بالزهور والشجر وتظهر تحته المدينة الكبيرة بمبانيهـا الكثيرة ، وشوارعها المزدحمة و (كورنيشها) المحيط بها ، ويسمى هذا المنتزه الجميـل ، والذي يتنفس فيه المتنزهون مساء (هنجن كاردن) . ومن المناظر العجيبة والتي تلفت نظر السائح الغريب منظر بعض السيدات الهنديات حافيات ، مع انهن يرتدين افخم الملابس (الساري الحرير) وبعض الحلى الذهبية ويظهر انهن يقصدن اظهار جمال ارجلهن والخلخال احياناً يرن رنات لها نغمات وبعضهن ينتمين الى الطبقة الراقية . رأيت هذا اكثر من مرة وخاصة في (بومباي) ، والمرأة الهندية عموماً لا تعرف الموضة

الجديدة المستوردة من باريس بل هي طبيعية وتأخذ من الزينة بالقدر الذي يلائم كمال منظرها كامرأة ، لا اكثر ولا اقل ، فلا ترى مثلاً (موضات) شعر أو حتى



تصفيفه الا على الطريقة الهندية وهي الفرق من الوسط ، وهي تحافظ محافظة جدية على زيها الوطني في بيتها ، فالساري الهندي الذي يظهر مفاتن البطن غالباً وكثيراً ، وظهور اكبر جزء من البطن من اصول لبس الساري ، وطبعاً جزء من آخر الظهر وتتجلى فتنة ذلك ان كانت من ترتديه شابة حسناء لا عجوز شمطاء او حسناء غير مليئة الجسم حيث يظهر الظهر والعمود الفقري بشكل مزعج جدا .

وقد ترى غادة ريانة الجسم بضة الاطراف يلفها الساري الحريري الأحمر تزينه بعض نقوش من خيوط الذهب ، وشعرها الاسود الفاحم ينسدل مرتاحا على كتفها البلوري المنسجم ؛ وهي تخطر كحورية تمثل سحر الشرق حقاً ، وحين ذاك ترى الفتنة الهندية المتحركة ، وهذا لا تراه في الهند الا نادرا جدا جدا لان الشعب الهندي في مجموعه غير جميل الصورة وهو يشبه الشعب الانجليزي من حيث ان الفاتنة هناك تكون

فلتة من فلتات الجمال الانساني الصارخ،والساري احيانا تراه على كناسة شارع مثلا. وللمرأة الهندية دور خطير في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ولها نشاط كبير جدا تلمسه دائماً في المؤتمرات، والاجتماعات، في الداخل وكذا في الخارج، وانت تلمس التقشف الذي تعيش فيه الهند في كل ركن من اركان الحياة العامة ذلك لانها تريد ان تواجه مطالب حياة مئات الملايين الذين انهكهم استعمار مئات السنين ايضا. ولم تحصل على الاستقلال الا من اثنتي عشر عاما، والهند تطبق مشاريع السنوات الخمس في الصناعة، وكذا في الزراعة، وتمثل الاولى في صناعات مختلفة اهمها صناعة السكك الحديدية، للنهوض بالمواصلات لربط القارة الكبيرة ببعضها، وكذا صناعة السيارات حيث تجد في الهند اكثر السيارات من صنع الهند وهي جيدة نوعا ما وأقل جودة من السيارات اليابانية. وتمثل الثانية، في السدود واصلاح الاراضي البور وانشاء القنوات خاصة وان الفيضانات تتلف الكثير من المزارع؛ وقد رأيت كيف ان الفيضانات كانت قد قضت على مزارع كبيرة واغرقت عدة قرى بل وداهمت بعض المدن الكبيرة ايضا؛ مما سبب ويسبب الخسارة الكبرى لبلد يحتاج الى حفنة من الأرز.

ولا بد انك يا اخي القارىء قرأت نداء السيد (نهرو) الى سفرائه في الخارج بضرورة الحد من الاسراف من اقامة الحفلات وعدم تقديم مشروبات روحية، لان عائلات الهند الفقيرة اولى بقيمة هذا المشروب الروحي، حيث هو في الهند نفسها لا يباع وغير مباح بيعه حتى في المحال العامة، بل يقدم للسياح الاوروبيين والامريكان ان وجدوا في الفنادق الكبرى، وبعد اظهار البطاقة الشخصية او الجواز، وهذه سياسة حكيمة ولا شك، حيث يوفر القوت الضروري لحياة الشعب الهندي الكبير.واذكر ان مطعما لم يقدم لي الا المعكرونة وقلت اريد ارزاً هنديا قال الرجل: اعتذر يا سيدي، واتى لي بمعكرونة وعجبت وبعد حديث قصير مع صاحب المطعم قال: حتى المعكرونة قد نفدت بعد ان تأخر هو من اخذ كل حقه من الكمية التي وصلت الى الهند من ايطاليا. وبالمناسبة المطعم الهندي

مريح لنا نحن الشرقيين حيث البهارات تعطر المطبخ الهندي ويسيل لهـا لعاب الجائع او نصف الجائع ، ونحن شعب ألِف هذا النوع من الطعام ، فلم اتعب في الحصول على غذاء ارتاح اليه ؛ وكأنني في منزلي بعكس ما يلقـاه احدنا في اوروبا حيث الاطعمة لا تتفق غالباً مع ما تعودنا عليـه من المطعم الشرقي الذي يزخر بالبهارات والفلافل التي تفتح الشهية وتعطي الاكل رائحة ونكهة طيبتين .

وهذا ما هو متوفر في الهند بشكل مريح جـدا ، حتى اني في كل مدن الشرق الاقصى لا ابحث الا عن مطعم هندي لآكل فيه ؛ ولو كان من الدرجـة الثالثة لان موضوع الاكل مهم جداً بالنسبة للسائح الشرقي حيث وجـد .

الاقانيم الثلاثة المزعجة : بقر ، قرود ، تامبول

في الهند توجد ثلاث مزعجات : الاولى البقر حيث هي مقدسة جداً ولا يذبحونها بل بعضهم يعبدها فهي تسرح وتمرح وتتدلل وتأخذ عزها كامـلا كما يقولون ، تنام حيث تشاء ، في وسط الطريق ، تسير على الرصيف الخاص ببني الانسان ، تأكل احياناً مـن صاحب دكان الخضار فيطردها بلطف لا يستعمله مع اخيه الانسان لو فعل ذلك ، ومن أطرف مـا تراه العين لو ان بقرة نامت وسط الشارع العام ، وهكذا تريد غالبا ، يقوم فريق من الناس بالمسح عليها مـدة ثم تدليلها حتى تقوم في عز وخيلاء . فهي تعطيهم الحليب ومشتقاته ، وهم يستعملون البقر لجر العربات ايضاً وبكثرة ولكنهم يزينون قرونها باوراق فضية ومذهبة وهي حين تجر ايضاً تجر العربة في عز كما ترى في الصورة المعبرة .(ص٢٣)

ولا اريد ان اشرح لك يا اخي القارىء كيف تقوم القردة باعمال سمجة حيث تخطف الفاكهة من يد طفل ، او تسرق موزاً من صاحب دكان او تسير بجانبك في بعض المدن وهي كثيرة وتتناسل وسط الحدائق الخاصة والعامـة ، وفي الطرق الزراعية ولا احد ينهرها لو فعلت اي شيء . (البقر والقرود) لها تقديس عند الهندوس طبعاً ، والقردة لها قصة ، تلك هي ان الها تقمص جسم قرد وظهر على

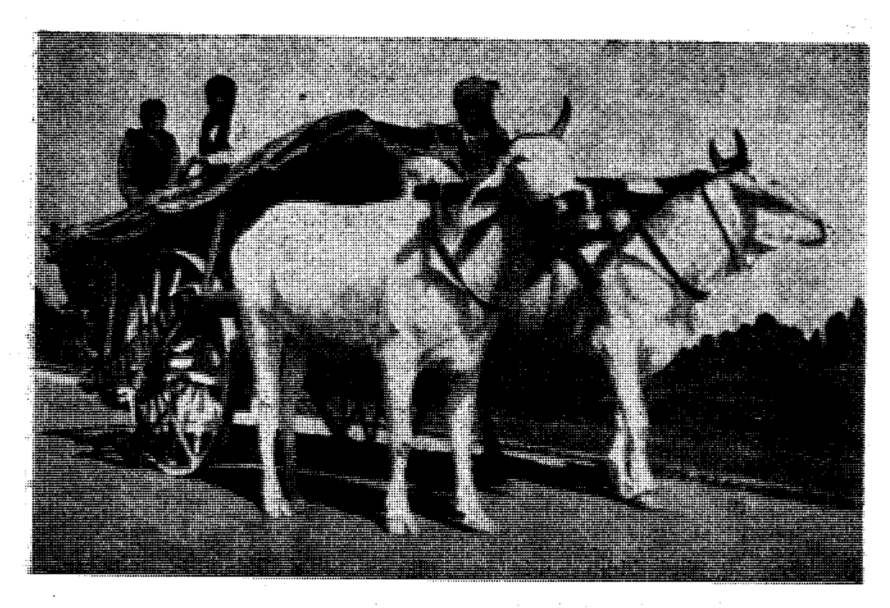
هيئته لينقذ نفسه ، فهم يقدسونها من هذا الجانب الديني . وقد رأيت قرداً كبيراً هبط على دكان فاكهاني ، وخطف موزاً من الدكان ونهره صاحب الدكان بلطف . واخذ القرد الموز وبقي يأكله في امان على سطح الدكان وانا الوحيد الذي مكثت أنظره باستغراب وتعجب ، والناس ينظرون اليه كشيء عادي يتكرر يومياً .

واما ثالث الاقانيم فهو هذا (البان) والذي نسميه بالتامبول وهو عبارة عن ورقة خضراء لنبات يزرع خصيصاً لذلك ، ويلفون بالورقة بعضاً من الجير والهيل وما يسمى بالفوفل وشيئاً له لون احمر قـــان ويقدم للمشتري ليضعه في ركن من فمه ويبدأ بالبصاق الاحمر ، لأن ، (البان) يسيل اللعـــاب حالاً نظراً للمادة الحريقة التي به ، فيبصق الرجل او المرأة حيث وجد سبيلاً لذلـــك ، فترى في الفنادق الفخمة جداً مباصق كبيرة بجانب المصاعد ، واما الاركان فأحياناً تجدها مزدانة بالبصاق الاحمر من مجهول أجبره البان ان يبصق . ومن المؤسف ان بعضاً من الاماكن الجميلة والتي يسر الناظر لجمالها يشوهها البان وبشكل مزر حقاً .

واما في الشوارع فتجده على الارصفة وفي المنعطفات يتقزز منه السائح فقط ، لانهم اعتادوا هذا المنظر الذي هو من صنعهم هم انفسهم ، ولقـــد لاحظت ان بعض ملابس الذين يستعملون (البان) هـذا قد اثر عليهـــا خاصة ، قمصانهم البيضاء . وفي مطـــار (بومبـــاي) كنت انتظر طائرة تقلني الى « نيودلهي » وكانت الاستراحة مكتظة بالمسافرين والمودعين ورأيت فتاتين اجمل ما تقع عليهما العين ، وكانت احداهن عبارة عن فتنة متحركة متوحشة . الساري الفستقي الجميل ، وهي على ما يظهر من كرام العائلات الهندية ، تضع نظارة سوداء على عينيها الساحرتين حيث تعبث بالناظرين وتخرج بالنظارة تارة وتلبسها اخرى وبيدها كتاب تقرأه وقد لفت ساقيها العاجيتين ، وكان منظرها رائعاً جداً الا انها كانت تمضغ هذا (البان) وهنا ، (البان) زاد جمالها حسناً وفتنة حيث اصبح فمها قطعة من الورد كما قال الشاعر الصديق الاستاذ (امين نخلة) :

انا لا اصدق ان هـــذا الاحمر المشقوق فم
بل وردة مبتلة حمـــراء من لحم ودم

وحين تتلمظ تتحرك الفتنة النائمة بين شفتيها الورديتين ... ولكني لا استطيع ان اغفر للبان بعض مساوئه .



وفي (بومباي) من الغرائب الشيء الكثير فانت ترى هندياً يرتدي الــبزة الاوروبية ، كاحسن ما يكون هنداماً ويجانبــه مواطن يلبس (الوزرة) ، وهي عبارة عن بضع امتار من القماش الابيض يلفه بطريقة عجيبة بــين فخذيه ، وفي رجله صندل بسيط جداً ، وعلى رأسه كوفيــة كالتي يستعملها الرئيس (نهرو) وبيده مظــلة سوداء ، ثم رجل آخر وهو ما يسمونه بالفقير الهندي قابع على الرصيف الجميل في بومباي ، وهو شبه عار تماماً اطلق لحيته واظافره وامامه عصا طويلة وقد تهدل شعر رأسه الاشيب ، ومنظره يشبه رجال الغابات التي يصورها رسامون تصوروا الانسان الاول في الغابة .

ومن المفارقات اللطيفة اني كنت اسير في احد الشوارع شبه الرئيسية فوجدت

لافتة لدكان كتب عليه صاحبه (انشاء الله ما شاء الله تاجر عظيم) ويجانبه دكان متواضع كتب عليه صاحبه (حلاق باريس الجديد) ايضاً ، ويلاصقه دكان من الجهة الاخرى لحداد يطرق الحديد ، والفحم يملأ واجهة الدكان ، وسرت طويلاً فوجدت مطعماً عليه لافتة تقول (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ومطعم آخر باسم (مطعم قل هو الله احد) ويجانبه عيادة دكتور في دكان متواضع ايضاً عليه لافتة (دكتور فيه شفاء الناس) .. وقد قسم الدكان الى ثلاث غرف ، احداها للمعالجة والاخرى لانتظار السيدات والثالثة لانتظار الرجال ، والعيادة كلها دكان بسيط في مساحته . ويلاحظ السائح ان كل شيء في الهند له تفسير واغلب هذه التفاسير فلسفة هندية تتصل بالروح ، بالصبر على المكاره ، على الزمن ، على روح البشر . ولولا هذه الفلسفة لأكل الهنود بعضهم بعضا ، ولما استطاع الجيش الهندي ولو كان جراراً كبح جماح هذه الملايين التي تزدحم بها مدن وقرى الهند الكبيرة ، والتي لا يجد معظمها قوتها الضروري الا بشق الانفس . وقد رأيت مظاهرة صاخبة يسيل بها الشارع الواسع ، وكان جندي البوليس لا يحمل سوى عصا صغيرة حمراء يلوح بها فتنحسر موجة المتظاهرين هنا وهناك خوفاً من الجندي صاحب العصا فقط .

وقد لاحظت ان عمال ومستخدمي المحال العامة اكثر من اللازم ويظهر انها سياسة مقصودة لتمتص اكبر عدد ممكن من العاطلين حيث بعض هؤلاء المستخدمين ليس لهم عمل مطلوب سوى الوقوف والملاحظة .

المتحف الهندي

وفي (بومباي) زرت المتحف وهو مبنى ذو ثلاث طوابق . المدخل على اليمين فيه احجار وبعض اسلحة قديمة كانت تستعمل منذ زمن بعيد في الهند وفي الطابق الاول ، القاعات ليس فيها ما يستحق الذكر سوى رسوم كثيرة تمثل جوانب من الحياة العامة القديمة في الهند منها جزء كبير من حياة الفتح الاسلامي وليالي حمراء كانت تعقد لبعض النبلاء والمهراجات قديماً . وفي قاعة وجدت نسخة من الاصحاح الخامس باللغة الهبروية وهي اللغة اليهودية القديمة بالكتابة

اليهودية ومجهول تاريخ هذا الاصحاح متى كتبت ؟ وقد كتبت على رق غزال ، ولا يزال يحتفظ بشكله



الطبيعي تقريباً. وقدسألت موظفاً مختصاً بالمتحف عنه قال انه لا يعرف له تاريخاً مضبوطاً ، وتوجد بعض كتب مخطوطة على صفائح نحاس بشكل المذكرة اليومية التي نراها اليوم على المكاتب الحديثة ، وفي الجدار المقابل للاصحاح لوحة رخامية مكتوب عليه آية قرآنية هي (وأن المساجدلله فلا تدعو مع الله أحداً) وقد كتبت في ١٠٥٩ هجرية وقد كانت هذه اللوحة في جامع (درزمان) . وفي قاعة اخرى بالمتحف رأيت تماثيل لاناسي غريبي الشكل وهم يغلون انساناً في قدر كبير تحته نار موقدة ، ويظهر انهم يعدونه لأكلة شهية ، وهذا ما نراه احياناً بصورة تندر لبعض مجلات مصر ، ويقولون عنهم انهم آكلو لحوم البشر ، ثم رأيت تمثالا لاثنين ينشران آخر بمنشار كما يفعل النجارون

اليوم تعاونا لنشر خشبة طويلة ، احدهما يمسك بطرف المنشار والآخر بالطرف الثاني، وكان الدم يقطر من المنشور المسكين!!وقد تكون هذه جميعها تحكي حقبة من تاريخ قديم موغل في القدم .

وفي قاعــة اخرى مصنوعات نحاسية قديمة منها آلات حرب وآلات موسيقى وآلات صالون الخ ...ومـــا في المتحف من اشياء لا تستحق كبير جهد ، حيث الباقي هو صور وبعض احجار من البازلت وغيرها من الحجارة التي تزخرف بهـا جبال الهند واهمها الجير الذي يستعمل في صنع (البان) (التمبول) كما نسميه نحن في المملكة السعودية .

وفي الهند بلد العجائب والفلسفات، وبلد الخرافات ايضاً ترى قسماً من الديانات تقوم بحرق ميتهم وتذر رماده في الهواء . وقد ذكرت الشاعر العربي الفيلسوف ابا العلاء المعري حين قال محبذا حرق الميت :

فأعجب لتحريق اهل الهند ميتهم   وذاك اروح من طول التباريح (١)
ان حرقوه فما يخشون من ضَبُعٍ   تسري اليه ولا خفي وتطريح (٢)
والنـــار اطيب من كافور ميتنا   غبارا ذهب للنكراء والريح (٣)

وقسم آخر يقوم بالقاء الرماد في النهر المقدس ، وقسم آخر يقومون بكسر عظامه (وتفليح) أي تشقيق جثته وذلك بعد ان يوضع على ما يشبه الشبكـــة وتحتها بئر صغير ، ومـــا ان ينتهي الكاهن من عمله هذا الذي يشبه عمل الجزار القاسي حتى تكون الطيور الكاسرة منتظرة الوجبـــة الشهية الجديدة ، فتنقض عليه وقد سهل لها الكاهن اكل اللحم الانساني اللذيذ كما قال دكتور من السودان ذلك : ثم يتساقط بعد ذلك العظم الى قاع البئر الصغير بعـــد ان تكون الطيور نسوراً وغرباناً وغيرها قد اتت على اللـــحم والجلد معاً . وبعضهم يبالغون في

(١) اقل تعرضاً للعذاب على رأي ابي العلاء

(٢) يقصد نبشه او بعثرته ???!

(٣) يقصد طبعاً ما تصعد من الميت من روائح رغم الكافور وغيره وهو رأي لا شك في انه غريب من غرائب آراء أبي العلاء .

تكريم ميتهم العزيز يضعون لبناً محل الشقوق التي يحدثها الكاهن بسكينه في جثة الميت ، حتى ان الكلب اذا أكل منها بعد ان يشم الروائح العجيبة لحماً ولبنـــاً يعتبر ذلك فألا حسناً للميت في آخرته العجيبة !!!

وهكذا. واما المسلمون فانهم يدفنون ميتهم طبقاً للتعاليم الاسلامية السمحة.

ولا انس ان اذكر لك يا سيدي القارىء ان الميت الهندوكي عندما تبدأ روحه بالخروج من جسمه يلبسونـــه لباس ليلة الزفاف الاولى ، وبكامل زينته وكذا زوجته هي الاخرى ثم تأتي عند رأسه حاملة جرة ماء صغيرة ، وعندمـــا تصعد روحه الى حيث هي هنا او هناك، تكسر هي الجرة الصغيرة فينسكب الماء دليلا على انتهاء علاقتها به الى الابد ، ومثل انسكاب الماء موجود في اكثر بـــلاد الشرق لان الماء اذا انسكب لا يجمـــع كما يقول المثل العامي وهكذا .



واما الذين يحرقون ، فان اقارب الميت يقفون جميعا ، امام حفلة احراقه بل ويلقون ببعض قطع الخشب والغاز وهو منظر منفر للغاية ، حيث يتقلص جسم الميت الى ربع متر تقريبا وتشم رائحة منتنـــة ؛ وعلى العموم انه لمن لم يألفه مقزز جدا وفلسفتهم هي انه بدلا من ان يأكله الدود ويصبح جثة عفنة ، خير له ان يطهر جسده بالنار ويحتفظ به ،

وبعضهم يحتفظون بالرماد في زجاجـــة صغيرة يسجلون عليها اسم ميتهم وتاريخ ولادته ووفاته وما كان يتميز به في حياته ، اوأي عمل قام به ويتركونها في المنزل للذكرى . وهكذا ، وقد تعمدت رؤية منظر الحرق وكنت اراه على مضض مني ولكن لذة الاكتشاف لعادات وتقاليد غريبة لذة كبيرة ايضا .

وفي الهند ترى وأنت تسير أما اقرب الى الطفلة منها الى المرأة او الام ، فهم يزوجون بناتهم في سن مبكرة جدا وهذا ما جعل النسل يرتفع رقمه سنة بعد أخرى حيث تتعقد المشكلة بتزايـــد السكان . نعم للجـو الحار اثره الكبير في النضوج المبكر للمرأة .

انما مع ذلك فمن الخير ان يحد ذلك تشريع صارم في صالح الهند كلها .



الى لكنـــاؤ

وفي اليوم الثالث لوجودي (ببومباي) فكرت جيدا بوجوب زيارة العلامة الكبير والرجل المسلم بحق ، أبي الحسن علي الحسن الندوي الذي اول ما طاف بذهني لزيارة الهند التشرف بالسلام عليه ، والتعرف على احواله واحوال نشاطه الاسلامي العظيم ؛ المسافة بين (بومباي (ولكناؤ) حيث يسكن أبو الحسن نحو من الف كيلو متر .ولا بد لقطع هذه المسافة من ركوب اكثر من طائرة واحدة . فكرت كثيراً جدا ، ووازنت بين ان اشبع رغبة ملحة في نفسي وقلبي ، وأن أرى اباالحسن وامتع عقلي بجلسة روحيةمعه، وجلسات علمية مع المسلم بحق في هذا العصر ، وبين ان ارسل له برقية او رسالة او احدثـــه بالتلفون لاسمع صوته ، واؤدي واجب السؤال عن الخاطر والصحة . واخيراً قررت ان الخسارة كبيرة أن ازور الهند ولا ازور ابا الحسن الرجل الذي احبه من كل قلبي، والذي آمن بدعوته الكثيرون ممن عرفوه عن كثب . واخيراً قررت السفر الى (لكناؤ) ،وقلت انها روحية ووفاء لصديق عظيم ، وكذا رؤية بعض مدن الهند . وطلبت من الفندق الحجز لي في اول طائرة متجهه الى(لكناؤ)واخذت الحقيبة في اليوم التالي الى مطار (بومباي) ومكثت بالمطار ساعة واخرى وثالثة ، ولم تصلح الطائرة للسفر واخيرا ابدلوها بطائرة اخرى اقل مما كان المتفق عليه واخبرنا به المطار ، والسبب هو ان خطوط الطيران الداخلية في الهند احتكار لشركـــة (انديان أيرلاين) للخطوط الجوية الهندية.وبعد مدة صعدت بنا الطائرة متجهة الى العاصمة الجديدة (نيودلهي)

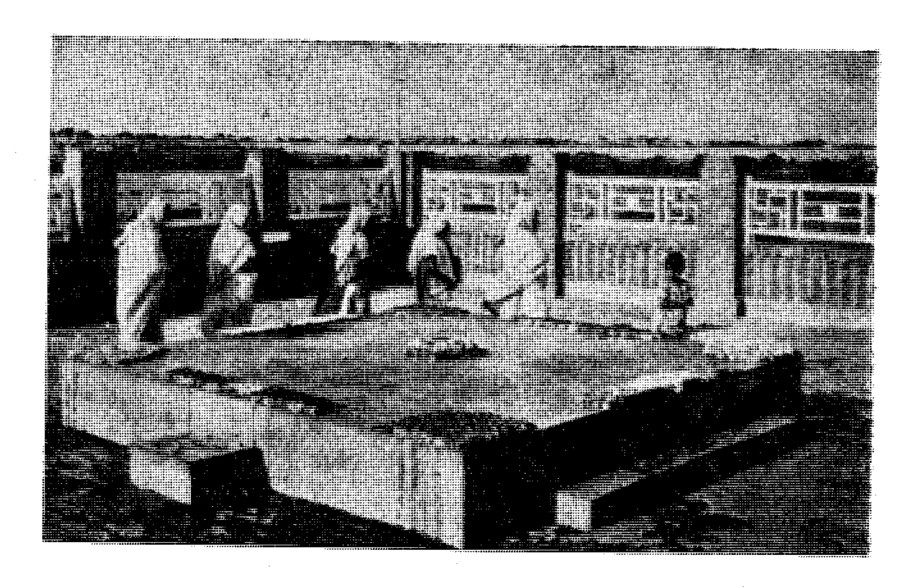
وهبطت الطائرة بمطار «نيودلهي» ودخلنا العاصمة الجديدة وكانت سيارات الاجرة كلها تقريباً من صنع الهند واخذت سيارة الى فندق (اشوكا) وهو افخم فنادق الهند بحق ولكنه مرتفع الاجرة ومكثت تلك الليلة بالفندق كتبت فيها رسائل الى الاستاذ الكبير المحقق الاخ (احمد عبد الغفور عطار) اخبره فيها اني في طريقي الى الرجل الذي يشاركني حبه وتقديره والاكبار له ، وفي صباح اليوم التالي قصدت المطار لمواصلة الرحلة الى حيث العلامة ابي الحسن . ولكن حصل ما لم يكن في الحسبان حيث (لنيودلهي) مطاران ، صغير وهو للخطوط الداخلية ، وكبير



صورة المهاتما غاندي بمغزله

وهو عالمي . واخطأ السائق واوصلني المطار الكبير . وعندما عدنا الى تصحيح الوضع كانت الطائرة قد تركت المطار لدقائق ، وعدت الى (نيودلهي) ، وكان برنامجي ان اعود اليها بعد مقابلة من اقصد في هذه الرحلة . وقصدت فندقاً آخر حيث كان هذا الفندق (اشوكا) هو من اسباب التأخير . قصدت الفندق الآخر (امباسادور) وهو لا بأس به ، وبعد ان استرحت قليلاً ذهبت الى المدينة العاصمة لرؤيتها وتجولت اولا بسيارة اجرة . والمدينة العاصمة عبارة عن حديقة واسعة غناء

شجرها اخضر جميل المنظر من الاشجار الكبيرة ، طيورها تغرد صباح مساء ولا يعكر صفو هذا سوى نعيق الغربان التي تمرح هنا وهناك . « ونيودلهي » مدينة خفيفة الدم وهي مقر الحكومة ، ويفصل (دلهي الجديدة) عن القديمة جسر قديم ومنه تكون في دلهي القديمة التي بها قبر الزعيم العظيم الرجل الذي هز (لانكشاير) بمغزله البسيط ، الرجل الذي لا اعتقد ان انساناً يقرأ لا يعرف عنه شيئاً حتى ولو مجرد اسم (غاندي)

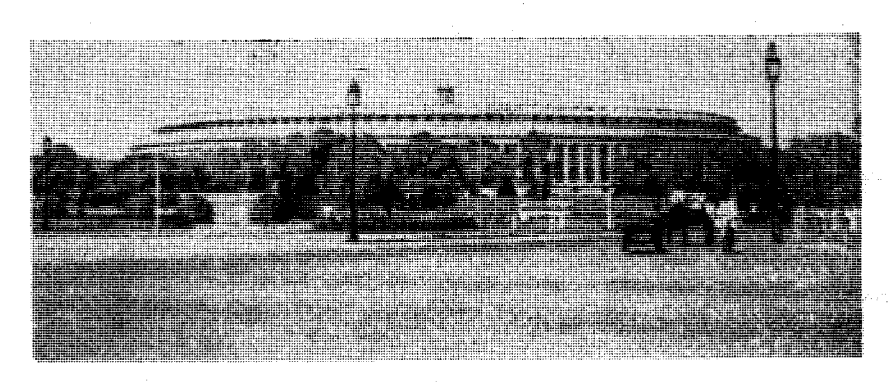


قبر غاندي العظيم

ذهبت خصيصاً لزيارة قبر الرجل الذي صنع استقلال الهند ، وحمل معولا لهدم تمثال الاستعمار الانكليزي في الهند وقاوم بسياسته العظيمة (اللاعنف) بالمقاطعة وبذر بذور الكراهية والحقد لكل ما هو استعماري في الهند وغيرها من ارجاء الارض ، وخاصة الاستعمار البريطاني ، الذي له مع آسيا تاريخ مرير . وفي الطريق الى قبر الزعيم مررت اولا بمبنى البرلمان الهندي ، الذي تسمع جنباته اصوات مندوبي الولايات الهندية يطالبون بحقوقهم السياسية بطريقة (اللاعنف)

ايضاً . انه برلمان مثالي في العالم بل في تاريخ العالم حيث الممثلون لأمة الهند انماط عجيبة من البشر ، كل يمثل ديناً ، أو مذهباً ، أو طائفة ، من مجموع الاديان والطوائف ، التي تصطرع على ارض الهند . والبرلمان الذي دوى عالياً فيه صوت ابي الحسن الندوي يطالب بحق المسلم الهندي في التعليم، والحرية ، والارض والحماية ، وان اصغر مسلم منزوٍ فقير يتساوى في الحقوق والواجبات مع (راجندرا براساد) رئيس الجمهورية الهندية على حد تعبير ابي الحسن الندوي ، الرجل المرابط هناك في ساحة جهاد مرير قاسٍ لا يرحم .

وفي (نيودلهي) كل الوزارات المركزية ، ومقر رئيس الجمهورية ، ودار اذاعة الهند الضخمة ، و (نيودلهي) مدينة مفتوحة وشوارعها واسعة وهي كما قلت حديقة غناء كبيرة بنوا فيها مدينة سموها دلهي الجديدة ، ومنظرها من الجو بديع ليلاً ونهاراً غير ان مطارها الرئيسي لا يتفق مطلقاً وعاصمة مئات الملايين من الناس . واخذت طريقي الى قبر الرجل العظيم (غاندي) وفي الطريق اليه رأيت



البرلمان الهندي

العجب ؛ حيث وسائل النقل متنوعة ، وبشكل يدل على التقشف الشديد . هذه سيارة اجرة منذ عام ١٩٣٨ وهذه عربة صغيرة ركبت في (موتوسيكل) او زفزافة على رأي المجمع اللغوي العربي ، وهي للاجرة ايضاً ، وهذه عربة يجرها حصان واخرى يجرها ثور وهذه (فسبا) وخلفها عربة بها شخصان اتخذاها اداة

نقل لها وهي للاجرة ايضاً عند الاقتضاء . واما السيارة المصنوعة محلياً في الهند فهي مريحة نوعاً ما، ومررت على ساحة كبيرة بها منصة عالية بنيت من الأسمنت خصصت لخطابات الزعماء امثال نهرو وغيره عندما تحين مناسبات سياسية او غيرها فتمتلىء الساحة الخضراء بالجماهير ويتقدم (نهرو) ليلقي كلمة في الساحة المفتوحة ؛و(نهرو) يتمتع بشعبية كبيرة كاسحة في الهند ، وهو شخصية هادئة وقوية ومحبوبة جداً ؛ وما اكثر الذين يتكلمون في الهند ويشرحون فلسفات خاصة وعامة . ولقد اتفق وجودي (بنيودلهي) ، والجو متوتر بين (نهرو) وبين زعيم السيخ (تاراسنج) الذي صام وهـــدد بالمات لانه يطالب باستقلال (السيخ) وفشل في الانتخابات الاخيرة ثم سجن . وهنا حصل تقارب بين المسلمين والسيخ لان الهندوس شديدو العداء للمسلمين هناك خاصة في مدينة (نيودلهي) لأن الغالبية من السكان (هندوس). وصلت الى المقبرة وهي عبارة عن مدخل متواضع يدخلك الى حديقة واسعة غناء ومن ثم ممر طويل حتى القبر وقد طلب مني الحارس ان اخلع حذائي ففعلت ، ووقفت على القبر في إكبار روح (غاندي) وهو عبارة عن مربع كبير يعلو عن الارض نحوا من ٩٠ سم ، عليه بعض زهور يضعها الهنود الزائرون ، وبجانبه صندوق حديـــد لوضع التبرعات داخله . ويظهر ان هناك هيئة تشرف على هذا الصندوق والذي تصرف حصيلته على جهة خيرية . ومن الطريف ان بعضاً من زائري قبر « غاندي » يضعون (البان) على القبر ظناً ان روح غاندي سوف تتمتع حتى في الاخرى بهذا (البان) .

وزوار قبر غاندي كثـــيرون يزورونه يومياً ولا زال العمال يعملون في السور الكبير للقبر ، ويظهر ان هناك قبراً جديداً بعد، ولا ادري لمن يا ترى من الرجال المؤمنين (بغاندي) العظيم ! وتوجد بساحة مقبرة غاندي مكتبة صغيرة تباع فيها كتبه التي الهب فيهـــا مشاعر الشعب الهندي ضد الاستعمار ، وبعض صوره التي يرسمها الفنانون الهنود ، وغير ذلك ممـــا يتصل بتاريخ (غاندي) الزعيم الخالد الذكر . وبالرغم مما يقال عن اتجاهات غاندي نحو الاسلام والمسلمين فانـــه مما لا شك فيه ، ولا نكران لحقيقته ان غاندي وتعاليمه وجهاده السلمي ، محل تقدير

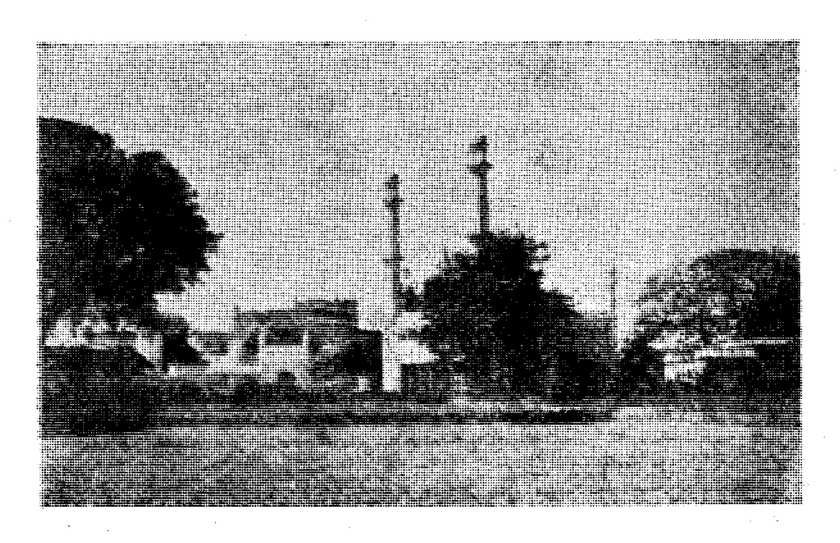
كل فرد من اي مذهب واي ملة في العالم امس واليوم وغداً ، وقد زرته تقديراً لروحه العظيمة الخيّرة ، ثم تجولت في انحاء (نيودلهي) وفي المساء ذهبت للسينما ولم تكن من الفخامة بمكان وكان الفيــلم هندياً فيه عاطفة غنائية ثرة بالاحساس الانساني للحب ، وهذا ما ما تتميز به الافلام الهندية حيث تعالج غالبــاً مشاكل انسانية وما اكثرها في الهند وتعطي صورة للروح الهندية الصحيحة ، وفي الصباح الباكر غادرت نيودلهي الى (لكناؤ) حيث يربض الاسد (أبو الحسن الندوي) الذي يحمي عرين الاسلام في الهند كله ، بجهاد مخلص مؤمن بربه معتزاً باسلاميته ، واخذت الطائرة من نوع (داكوتا) ووصلت (لكناؤ).

(ولكناؤ)مدينة صغيرة اغلب سكانها مسلمون وفيها القلعة الاسلامية الكبيرة الشامخة ذات الاثر الفعال في توطيد اركان الاسلام واللغة العربية ايضاً ؛ تلك هي (ندوة العلماء) التي اخرجت رجالا عاملين على نشر الدعوة الاسلامية في الهنــد وغيرها من بلاد الله . اخذت حجرة في فندق صغير لان البلد ليس فيهــا فنادق ممتازة والجو حار جداً .وبعدساعة اتصلت بدار الندوة فرد علي متحدث هندي من شبابها بلغة عربية سليمة كل السلامــة ؛ وكأن المتحدث معي من صميم العرب المثقفين ،وبعد ساعة كان يبحث عني في كل شارع وكل منعطف لأنياخذت اتجول في المدينة للتعرف عليها ؛ وهذه عادة الانسان الذي يسوح للاستطلاع والتعرف على البلد الجديد ، عرفني وكان معــه زميل يمت بصلة للسيد ابي الحسن الندوي وصافحاني في حرارة وشوق كانهما يعرفاني من زمن بعيد وأصرا علىنقل حقيبتي الى ضيافة (دار الندوة) فلم امانع بل رحبت بضيافتي في هذه الدار العظيمة .

وصلنا دار الضيافة وهي في نفس ساحة (دار الندوة) تحيطها حديقة كبيرة جداً ، وسألت عن السيد ابي الحسن فقيل لي انه في قريته التي زارها الفيضان مع الاسف ــ وقد بعثوا له يخبرونه بوصول صديق عربي له ، تربطه به رابطة صداقة قديمة ، مضت عليها سنوات عشر ، كنا خلالها نتبادل الرسائل الممتعة وبالرغم من الخلاف البسيط جداً ، في المفهوم العربي بيني وبين ابي الحسن الندوي الا ان هذا

لا يمنع مطلقاً ان احب هـــذا الرجل حباً قلبياً ، وابو الحسن لا يعادي القومية العربية ، لانه لا يعارض قومية عربية مسلمة ، وهنا نلتقي معاً في هـــذا المفهوم المعقول . وفي الضيافة التقيت ببعض تلاميذ ابي الحسن ممن زار معه (الحجاز) وكان لقاء حاراً وقد اصبح الاخ الصديق معلماً في دار الندوة وهو يضحي لهـــا كثيراً حيث رواتبها تقل كثيراً عن رواتب التوظيف الحكومي . مكثنا نتحدث طويلا عن جهاد ابي الحسن حتى والجديد من مؤلفاته القيمة ، وكتاباته الكثيرة المليئة بالمفيد من المنقول والمعقول ، حتى وصل رسول من ابي الحسن يحمل رسالة رقيقة اليّ بلغته العربية السليمة الصافية الصادقة العاطفة . لأن لابي الحسن المكانة الرفيعة في قلبي وقلب كل من عرفه من الناس جميعاً ، وابو الحسن لا يحتاج الى تعريف او تقديم فهو احد الذين يعتز بهم المسلمون ، في كل ارجاء الارض ، وقد عرفت ابا الحسن الندوي (مكة) و (القاهرة) و (دمشق) محاضرا وعرفته المطابع مؤلفا بالعربية والهندية وأصبح كتابـــه الكبير ، (ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين) مرجعاً اسلاميا عظيما ، وقد طبع خمس مرات والطبعة السادسة في طريقها الى المطبعة ، وعرفته المجلات والجرائـــد الاسلامية والعربية في كل عاصمة عربية تقريبا ، فهو شخصية غنية عن التعريف والتقديم (امد الله في عمره) واعانه على تحقيق اهدافه الشريفة للاسلام . وفي المساء اجتمع بي بعض الاساتذة وبعض الطلبة بدار العلوم وجرت مناقشات حول امور كثيرة واعجبت بهـــؤلاء الاساتذة والطلبة الذين يتقنون العربيـــة وآدابها وتاريخها واستمر السمر طويلا تناول احاديث شتى منها – للطرافة – شغف الهنود بتربيـــة الذقن التي تضيع معالم الوجه تقريباً ومنها عـــدم قتل الغربان الطيور التي تعصف بكثير من الحبوب حتى لقد صدر احصاء رسمي من مؤسسة التغذية ان ٢٦ مليون طن من الحبوب في العالم تأكلها الطيور ولذافقد ابادت الصين الشعبية الطيور هـــذه لتوفر للشعب غذاءه . صحيح ان بعض الطيور يجب المحافظة عليها وانا احد هواة الطيور المغردة . ومن ثم ذهبت للغرفة المعدة للضيوف والتي ينزل بها ابو الحسن نفسه اذا بقي ليلة (بلكناؤ) لانه يذهب مساء لقريته ويعود صباحا يوميا تقريباً . وفي

الصباح الباكر قمت لصلاة الفجر مع طلبة القسم الداخلي والاساتذة في الجامع المخصص (للندوة) وهو جامع لطيف على طراز اسلامي بديع له باحة كبيرة ومجهز بكل ما يحتاجه المسجد الحديث .



مسجد ندوة العلماء وتبدو دار الضيافة على يمين الصورة

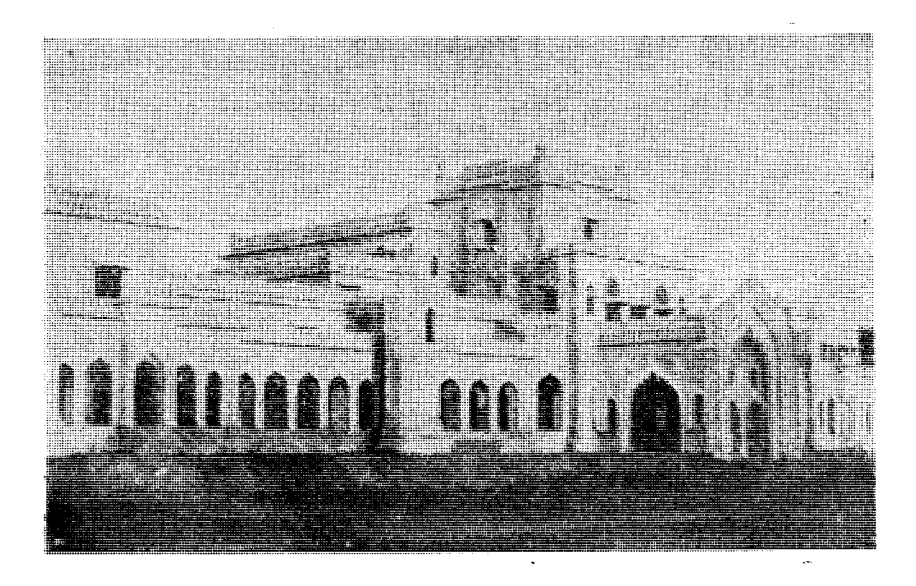
وبعد ذلك قمت بزيارة المدرسة الملحقة (بندوة العلماء) وتفقدت اقسام الدار كلها تقريباً . ومن حسن الصدف اني وجدت هناك اجتماعاً يضم الطلبة الكبار في نادٍ خاص لهم يلقون فيه محاضرات بالعربية الفصحى ويسمى النادي (جمعية الاصلاح) وكان شابا هنديا يشرح لاخوانه تاريخ الاسلام في الهند ، واستمعت اليه في اصغاء تام وهو يتحدث بالعربية برزانة وعقل وفهم . وبعد انتهاء كلمة هذا الشاب الهندي ، طلب الي الحاضرون القاء كلمة على الطلاب فتقدمت الى المنصّة وتحدثت عن رحلتي ، وكيف اني سعدت بزيارتي (لكناؤ) لارى (ندوة العلماء) التي اقرأ عنها ، والمدارس التابعة لها ، وارى ابا الحسن الندوي ، وما هي الرابطة التي تربطني بابي الحسن ؟؟ وكيف انه ترك اثراً حسناً جداً عندما زار المملكة العربية السعودية ؟؟ وان له اصدقاء ومريدين ومحبين ومقدرين لعلمه الغزير واخلاصه الفريد

للاسلام والمسلمين الخ ... ومن ثم قمت بزيارة دار العلوم واقسامها وزرت المكتبة الضخمة التي تضم ٤٠ الف كتاب من الكتب الاسلامية والعربية ، وهي في قاعة كبيرة صممت على طراز اسلامي جميل، بها قاعة خاصة للمطالعة ، ورأيت اثر الفيضان السيء الذي دهم هذه الدار الطيبة ولكن ايمان اساتذتها وطلابها ازال اغلب آثار الفيضان .

وقد زرت مقراً صغيراً لدار (مجمع علمي اسلامي) ينمو رويداً في « ندوة العلماء » نفسها ، ويرعى هذا المجمع ابو الحسن نفسه .

وقبل صلاة الجمعة وصل السيد ابو الحسن الندوي وكان لقاء حاراً تجلى فيه الحب الصادق والتقدير الكامل ، وقد كنت كأسعد ما اكون عند رؤيتي لابي الحسن ، وصحته جيدة ، ويتمتع بنفسية عالية جداً كعادته ، رغم المتاعب والمصاعب المادية والادبية المادية : الفيضان الذي داهم المدرسة وفي قريته الصغيرة ؛ والادبية : الجهاد المستمر ، خاصة جهاده ضد حركة التعليم الاخيرة في الهند التي تفسد على الفتى المسلم دينه والتي دافع عنها بجرأة في قاعة البرلمان الهندي كما ذكرنا قبلا . وكان حديث المودة بيننا وسألني الرجل العظيم عن اصدقائه في المملكة العربية السعودية ، فرداً فرداً ، وهم كثر وسألني بصورة خاصة عن سمو الامير مساعد عبد الرحمن الامير العالم وقد زار سموه ندوة العلماء وسجل كلمة اعجاب عنها . ثم اقام لي ابو الحسن – أعزه الله – حفل غداء دعا اليه اساتذة دار العلوم ومديرها وبعض العلماء وعلى رأسهم العالم الخطير (محمد منظور) صاحب اكثر من مؤلف في الاسلام بالعربية والاوردية ودارت احاديث عن الاسلام والمسلمين واحوالهم وما صاروا اليه ، ثم تحدثت مع السيد ابي الحسن، عن سبب اعتذاره لتلبية دعوة الحكومة السعودية للعمل على انشاء (الجامعة الاسلامية) وكنت كتبت عن هذا في جريدة (اليمامة) الغراء ، وأوضح لي سماحته الاسباب الموجبة لذلك ، على ان سماحته وعدني للعمل على رفع مستوى الجامعة في ظروف اخرى قريبة ، وانه لا يتأخر مطلقاً عن اي عمل في خدمة الاسلام ونشره والدفاع

عنه في اي بقعة من بقاع العالم ؛ هذا ، وقد دار حديث حول مشاريع (نـــدوة العلماء) ونحو المدرسة والتي تضم طلاباً من جميع انحاء الهند والدول المجاورة لها ، وبها قسم داخلي وان جناحا لم ينته بعد لضعف المادة في صندوق « الندوة » ، وقد حملني السيد ابو الحسن رسالة شفويـــة لمعالي الشيخ « محمد سرور الصبان » بصدد وعد معاليه بالمساعدة ، وما قد تبرع به بعض الاثرياء السعوديين من الوجهاء امثال الوجيه « الشيخ ابراهيم شاكر » الذي عرف عنه حرصه على المسارعة في اعمال البر



دار العلوم التابعة لندوة العلماء وهي تضم المكتبة في المدخل

والخير ، وما اجمل الخير واحسنه نحو دور العلم والمعرفة . وابلغت معـالي الشيخ محمد سرور ذلك فوعد ،واعتقد انه قد حقق ما وعد به ، والجناح الذي يجب على المسلمين الاثرياء ان يسهمو في اتمامه واقامة بنيانه الذي ينتظر ، ثم وجوب موالاة المساعدات المادية « لندوة العلماء » ومشاريعها الاسلامية الكبيرة .

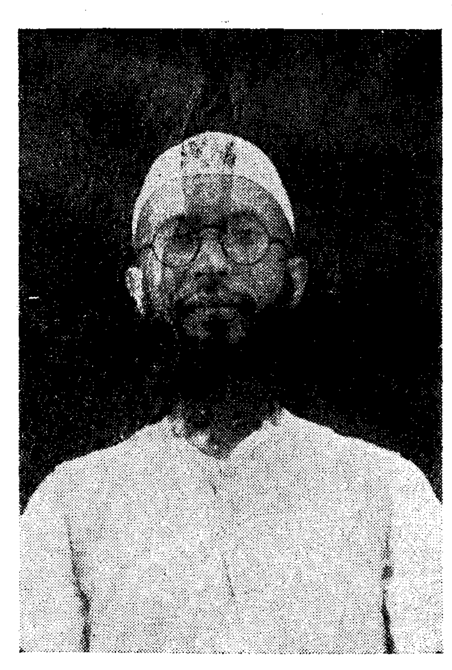
وفي المساء استأذنت الرجل العالم ابا الحسن في السفر الى « بومباي » لانتظار الطائرة التي تقلني الى « جاكرتا » واذن لي بعد مشقة ، لانه يريد ان اكون ضيفه

وضيف الندوة اسبوعاً كاملا. وكان يسعدني ذلك جداً الا ان للرحلة برنامجاً وضعته يجب ان اسير عليه كاملا ، واخذت طريقي الى المطار وابى كرم خلق ابي الحسن الا ان يودعني ومعه العلامة الشيخ «محمد منظور» وبعض الاساتذة لدار العلوم .ووصلنا المطار ولم تصل الطائرة؛ وكانت جلسة لطيفة في المطار الجميل الذي تحيط به حدائق غناء ، انه مطار صغير جميل وحديث البناء .ثم وصلت الطائرة وتوجهت اليها بعد ان ودعت ابا الحسن والشيخ محمد منظور وجميـــع الاساتذة الذين لا يسعني الا شكرهم . ويسعدني هنــــا ان انشر صورة العلامة الكبير ابي الحسن علي الحسني الندوي«ص ٤٠ »واعلم انه يمانع في التصوير وفي نشر صورته ، ولكن اجد نفسي سعيداً بنشرها ليراها ويحتفظ بها محبو هذا الرجل العالم الفذ كما احتفظت مدة طويلة في مكتبتي تذكرني به دائماً فاذكر خلقه العظيم وعلمه الغزير ، ونفسه العالية .

عودة الى بومباي

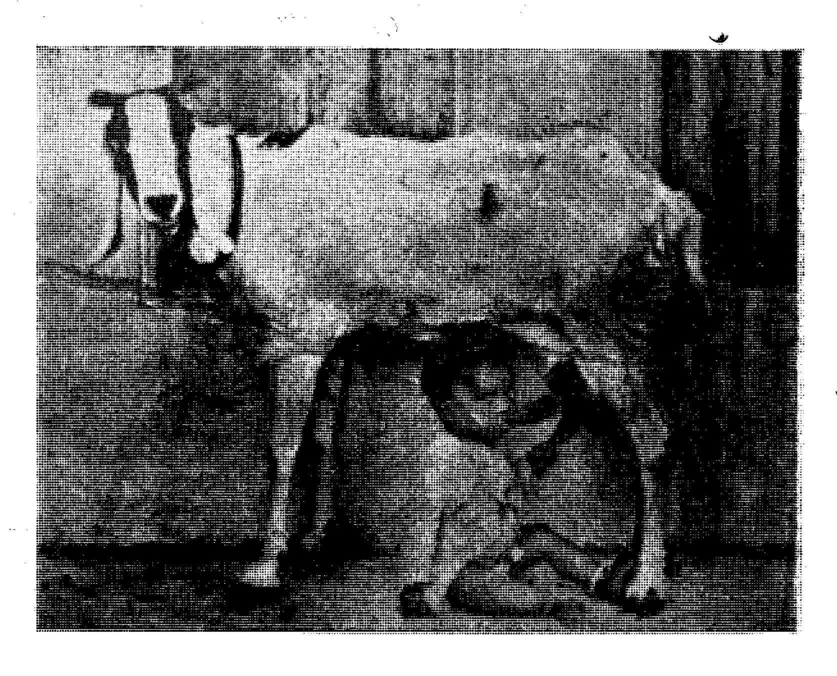
واقلعت الطائرة متجهة نحو « نيودلهي » . وصلت العاصمة ونزلت في فندق لانتظر لليوم الثاني الطائرة التي تقلني الى (بومباي) ، وقضيت يومـــا آخر في العاصمة الحديثة . وفي المساء توجهت الى المطار حسب افادة الشركة المحتكرة ، وكان مزدحماً بالمودعين والمستقبلين . ومن عادة الهنود ان يستقبلوا اقاربهم الغائبين طويلا بعقود الزهور والورود المفضضة ، فكنت ترى استراحة المطار وهي عبارة عن عقود زهور ومصورين للحظات المقابلة السعيدة ، وحين ينزل القادم العزيز ويدخل الاستراحة يطوق عنقه بعقود الزهور والورد ، وهي عادة جميلة حقا ، وتعبر تعبيرا صادقا عن الفرحة وجمال اللقـــاء ، بعد الغياب . ثم نودي على ركاب الطائرة المتجهة الى (بومباي) ، وكان معنا راكب مصري وزوجته وطفله وتقدمنا لساحة المطار ولم نجد من يدلنا أين هي الطائرة ؟؟ فلا دليل ولا قائد . وسرنا ، ثم ضللنا الطريق فالطائرات كثيرة واغلبها بأربع محركات وتقدمنا نحو احداها . فلم تكن هي وكان منظر الركاب محزناً جدا حيث داهمتنا طائرة نفاثة (كوميت سي ٤) بريطانية ، تزأر في المطار ، وكان المطر رذاذا ، وكان الخطر داهما لانها تتجه نحونا بسرعة وفي الظلام ، ولكن الله سلم ، بعد ان أحسست بالخطر الحقيقي ،

لانها لا ترانا ونحن بضع ركاب، وأخيرا وبعد ان اهتدينا للطائرة وكانت تقف بجانب محل تصليح الطائرات (الهنكر) ، ولم اسكت بل قلت لضابط اتصال : إن الاحتكار عمل شائن بالنسبة للشعب وخاصة ان كان استقل حديثاً ، فاعتذر ، وصعدنا الى الطائرة القديمة « اسكاي مستر » وسارت بنا في جو عاصف ممطر لان الطيارين الهنود بارعون في قيادة الطائرات من كل نوع، ووصلنا ولكن لا الى « بومباي » بـل الى بلدة اسمها « ناق بور » جوها بارد لطيف ومطارها حديث منسق بحديقة كبيرة ،فيها ورود ورياحين ، والاستراحة ممتازة جداً. وكان الوقت متأخراً من الليل ، وطلع الفجر جميلا ولم تصل الطائرة التي تقلنا الى « بومباي » ، وبقـينا تحت رحمة « الاحتكار » لخـطوط الهند الجوية للداخل . ومع مطلع الشمس وصلت الطائرة وصعدناها ، وصعّدت هي في جو غائم نحو « بومـباي » ، واخيراً



مولانا ابو الحسن علي الحسن الندوي

وصلنا المينـاء الهندي الكبير ، وعدت الى ادراجي سالما بعد لقاء سعيد بالرجل الذي – اجله واحترمه . وبعد تعب من الخطوط الجوية المحتكرة للنقل داخـل الهند ، بقيت يومين في « بومباي » وكنت اتجول يومياً لارى معالم الحياة الهندية العجيبة ، ولم ار حادثا واحـدا مسيئاً لان الشعب الهندي شعب مسالم بطبعـه الا عند الصراع الديني فهو شرس جدا ، وعنيف جدا . ومن طريف ما رأيت من مناظر هندية هذه الصورة لهذا الطفل الذي يرضع مباشرة من المنبع الى المصب.



ولم ار في الهند نشالا واحدا ولكن الشيء الذي لم يعجبني انه شعب لا يبتسم ، ويظهر ان متاعب الحياة وقسوة العيش أضاعتا الابتسامة من على الشفاه التي كان يجب ان تبتسم ، والشعب الهندي شعب كثير الكلام لا يكره الغريب بل يساعده ، وهو شعب يتناسل بسرعة عجيبة . وكان الله في عونك « يا نهرو » . وهكـــذا غادرت الهند في تمام الساعة الثانية والنصف ليلامن مساء ١٧/٩/١٩٦١ ، على نفس الطائرة « التشيكوسلوفاكية » النفاثة .

الى بورما وكمبوديا وجاكرتا

وصلت الطـــائرة التشيكوسلوفاكية بومباي مساء السبت ١٨ - ٩ - ١٩٦١ وارتفعت في الجو بعد زئير عنيف واتجهت بنا الى « بورما » البلد الذي يتعاون مـــع « اسرائيل » تعاوناً كبـــيراً ؛ وفي اغلب المجالات الحيوية . كان شعوري نحوه شعوراً غير ودي مطلقاً حتى ولو لدقائق ، حيث الانتظار بالمطار . وبعـد اربع ساعـات من طيران متواصل في جو مريح ، وصلت الطائرة سماء « بورما » وكانت تُرى من الجو حيث الصباح الباكر ومع الشروق الجميل، ترى من الجو معابدها التي تتلألأ زاهية تعكس ضوء الشمس خاصة المعبد البوذي الكبير المطلي بماء الذهب . وكانت المزارع الخضراء تمتد على السهول المنبطحة وتغذيها الانهـار ، ويوجد نهر كبير تعبره السفن الضخمة متجهة نحو « رانجون » العاصمة ، وهبطت الطائرة بعد ان دارت طويـــلا لتقلل من سرعتها ، ونزلنا المطار وشعوري لا يتغير رغم اني حاولت التخفيف منه . المطار لا يمثل دولة حديثة . انه عادي جداً ، ولكنه منسق ولطيف واستراحة المطار من طابقين تزينها رسوم تتحدث عن تاريخ البلد . ليس بالمطار اي شيء يمكن شراؤه ، اللهم الا بعض حاجيات مصنوعـــة من الصدف ، ومن اقمشة عاديـة فقط ، وعندما اردت شراء شيء لاحظت ان الشاب الذي يبيع الاشياء شكله يختلف عن الاشكال التي رأيتها في المطار ، حيث الانف المفطوس والعيون المستطيلة الصغيرة والغالب عليهم القصر واللون المائل للصفرة . ان الاشكال من الآن وصاعداً ستكون هكذا في كل منطقة الشرق الأقصى بعد ان تركنـــا

« الهند » ، وسألت الشاب ان كان «بورميا» اجاب في اعتزاز كبير انه «اسرائيلي» انفه اقنى وطوله فارع ، قلت لقد صدق حدسي في هذا البلد العجيب ، والذي به نحو من ٣ ملايين مسلم ، وبه نشاط صهيوني خطير ، ولا بد لي في العودة منزيارته مضطراً. بقينا في المطار نحوا من ساعة ، ثم نودي على الركاب وكنا قلة مع الاسف. مرة اخرى اخذت الطائرة تتجه نحو الفضاء بسرعتها الفائقة وجلال قوتها وكنا نثق بها وبسلامتها كل الثقة ، واخذت تتجه نحو « كمبوديا » الى مطار العاصمة « نوم بين » بلد الاضطرابات والصراع المذهبي العقائدي بين الشيوعيةوالرأسمالية. وبعد ساعة وعشر دقائق من الطيران ، هبطنا مطار « نوم بين » وهو مطار صغير حديث دمه خفيف تحيط به مزارع ورأيت بعض الطائرات الروسية من ماركة « ميج » ايضاً رابضة في المطار الصغير ، ثم رأيت القامة القصيرة ، والأنف المفطوس ، واللون الاصفر ، أنهم يشبهون الصينيين تماماً ، والمطار على ما يظهر صنعه مهندسون من الروس او من اوروبا الشرقية ، لان الدعاية الروسية ظاهرة فيه وليس بهذا المطار اي اثر للحياة حتى الشاي « البوفيه » كان معدوماً مع الاسف ومكثنا به نحو من ثلاثين دقيقة فقط ثم اتجهنا ثانية الى الطائرة لنأخذ طريقنا نحو « جاكرتا » وصعدت في الجو مزهوة ايضاً ، وكان المرح بادياً على ملاحي وموظفي الطائرة وكانت معنا مضيفة هندية تعمل على الخط بين الهند واندونيسيا ، وبعد مدة سمعت ضجة في الطائرة وحركة غير عادية ، الا ان الضحك وأصوات ناعمة قادمة من شفاه المضيفات الجميلات تخلل الحركات غير العادية ، وفجأة شعرت بماء ينسكب على رأسي من الخلف ، وكانت المضيفة التشيكوسلوفاكية الحسناء الرشيقة تبتسم بفمها الدافىء الوردي ، قلت ماذا حدث ؟؟؟ قالت نحن الآن نمر فوق خط الاستواء تماماً ، وذهبن الى حيث القائد ، وهيئة القيادة والقوا عليهم الماء وحدث هرج ومرج ، كله ضحك ومرح على ارتفاع ٣٧ الف قدم ، وهذا لا شك من صور انتصار العلم على الطبيعة ، كل هذا والطائرة تسير في خطها دون أي أثر يذكر وهكذا كان .

انــدونيسيا

نحن الآن نتجه الى «اندونيسيا» جزر الهند الشرقية وانا استعرض ذكريات، واحاديث سمعتها من والدي واخي واصدقائي؛ ومن المواطنين السعوديـين عن « جاوا » وفتنتها وجمالهـا الطبيعي وطيبة أهلها، وعلاقاتنا « بجاوا » ومناظر حجاجها « بمكة المكرمة » ووداعتهم التي عهدناها فيهم . كل هـذه صور مرت سراعاً ، وانا انظر من نافـذة الطائرة على سطح البحر وأرى بعض جزر منتشرة هنا وهناك؛ جزر خضراء تكسوها الاشجار العالية، نحن الآن في سماء اندونيسيا وقد بدأت الطائرة تنزل من عليائها شيئاً فشيئاً وتخفض من سرعتهـا المنطلقة . قلت في نفسي الى هنا وصل الاسلام ؟؟؟ وكيف دخل وانتشر في هـذا الجزء البعيد ؟ ومتى ؟؟ حيث انه لا يعرف بالضبط وعلى وجه التحديد، متى كان دخول الاسلام هذه الجزر المترامية الاطراف هنا وهناك ؟ وهي تصل الى مـا يقرب من الالف جزيرة بين جاوا، والملايو، الا انه من المؤكد ان الدين الاسلامي اضاء ليل هذا الأرخبيل الزمردي في القرن الثاني عشر الميلادي . وقد ذكر بعض المؤرخين انه عندما استبد العباسيون بالامويين المغلوبين على امرهم هاجر قسم كبير منهم فرارا بحياتهم الى الهند، التي لها علاقة تجارية مع الجزيرة العربيـة قبل الاسلام، وتطورت بعد الاسلام، وهؤلاء الذين فروا وصل قسم منهم ايضا الى شواطىء « الصين » ثم قفزوا الى جزيرة « سومطرة » وجاوا الشرقية . ومن هنا بدأت الموجات الاسلامية العربية وغيرها تتوالى على جاوا الشرقية بصورة خاصة،

وقد أصبح من الثابت ذلك بدليل وجود ضريح لسيدة مسلمة عربية تدعى (فاطمة بنت ميمون) وقد سُجلت سنة وفاتها على ضريحها ، وكان يحمل ٤٧٥ هجرية كما ان المؤرخ العربي (ابا الفداء) ذكر في تاريخه المعروف ان العرب ارتادوا ارخبيل (اندونيسيا) والملايو لقربهما من بعض واكثر هؤلاء الذين قدموا الى هذا الارخبيل من التجار العرب المسلمين ، وقد نشروا دينهم السمح ، والمسلم عادة يبشر بدينه بالطبع لقناعته به وبسلامة تعاليمه السمحة ، وكان هؤلاء التجار يقايضون تجار الارخبيل الاندونيسي ، ومن الطبيعي ان العلاقات الانسانية اذا تطورت وطال مداها ، تتلاحم الانساب من التزاوج الذي حصل بين اهل البلاد والقادمين الجدد، حيث الزنا محرم في دينهم اي المسلمين وكانوا لا يمارسون العلاقات غير الشرعية ، وهكذا اخذت الموجات العربية الاسلامية تتوالى وقد اطمأنت الى العيش في الارض الجديدة حيث الخصب والجو الهادىء ، والخضرة اليانعة بالنسبة لما يلقونه في الجزيرة من الصراع مع العيش خاصة اطراف « حضرموت » ، فطاب لهم المقام وانشأوا لهم قرى صغيرة تطورت بسنة التطور ، ووجد الاندونيسيون في الدين الجديد ايضاً تحريراً لهم من خرافات كهنة « البوذا » وتسلط القساوسة وغيرهم ، ممن اتخذوا من العقيدة سلاحاً لاغراضهم الدنيئة ، ثم تطورت حال العرب المسلمين فاسسوا لهم امارات في اندونيسيا حكمت مدة من الزمن بقوة العقيدة الصادقة حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي ، حيث بدأت اصابع الاستعمار الهولندي تعبث بمقدرات هذا البلد الطيب الغني بموارده الكثيرة ، وخيراته المتنوعة ، وبدأت الشركة التجارية الهولندية تغزو البلاد الاندونيسية كما فعلت زميلتها في الهند، وهي (شركة الهند الشرقية)، حتى عام ١٧٩٨ حيث توطدت اقدام الاستعمار الهولندي واتخذ شكلاً جديداً ، وبعد ان حلت الشركة وجاءت الحكومة الهولندية كوارثة شرعية لها وحكمت اندونيسيا حكماً قاسياً ليس فيه من الانسانية اي مظهر او حتى مجرد اثر بسيط مع الاسف ، الى ان جاء فجر الاستقلال وضحى الشعب الاندونيسي المكافح واستغل الفرصة المؤاتية واصبح دولة مستقلة ذات نظام جمهوري تقدمي ، وانتظم في هيئة الامم المتحدة ، وله مكانة مرموقة بين شعوب

العالم .

هذه كلها مرت بخاطري والطائرة بدأت تحوم حول المطار ليستقر بها وبنا المقام ، هبطت الطائرة على شواطىء جاكرتا حيث المطار ، ونزلنا متجهين اليه وفي نفسي اكثر من صورة من صور ما سيلاقيه عربي يدخل اندونيسيا في عهدها الجديد ، حيث السلطة العسكرية العنيفةفي تصرفاتها كما نسمععن ذلك الكثير . وكعادتي في رحلاتي المتكررة اخذت حذري حيث اقول كل الذي يريده المفتش الجمركيدون ان اعرض نفسي لشيء لا يتفق معالكرامة. كان المطار عبارةعن شبه ثكنة عسكرية حتى ان احد الجنود الاندونيسيين يحمل مدفعاً رشاشاً ، قلت ما هذا الاستقبال الرائع !!! وبعد ابراز شهادة الصحة والجواز اتجهنا نحو غرفة صغيرة بها فتاة تلبس الزي العسكرى لاخذ اقرار النقود ، وقلت ان لدي كذا نقدا وكذا شيكات سياحية واخرجتها ،واطلعت عليها وكان يقف امامي وورائي وبجانبي ضباط برتب مختلفة ، ويتحدثون مع الموظفة العسكرية وانا اجيد اللغة الاندونيسية نوعاً ما وحديثهم معها كان غير ذي موضوع ، وبعد ذلك اتجهنا نحو التفتيش الجمركي ولم يحظ بكلمة لطيفة واحدة كل الركاب القادمين واغلبنا بحسن نية مجردة .

في جاكرتا

وبعد ذلك مرت الى ساحة الخروج فوجدت السيد احمد الكاف وهو يمت اليّ بصلة قرابه بعيدة ، استقبلني وكنت ابرقت له من الهند لحجز غرفة في فندق معين فقال لم اجد ولا (مخزناً واحدا) يقصد غرفة ، واخذني الى منزله بالمدينة (جاكرتا) وهي مدينة كبيرة شوارعها واسعة وحركة السير فيها على الطبيعة تقريبا . فلا تجد تنظيم المرور كما هو في كل مدن العالم ، بل الناس ينظمون سيرهم بأنفسهم ، وفي الواقع ان السير يتخذ طريقاً عجيبا حيث الحوادث قليلة والسيارات آخذة طريقها. وصلنا المنزل وكان الجو حاراً وكانت صورة « جاكرتا » في ذهني غير التي رأيتها حيث كان اسمها سابقاً « باتافيا » . وكان الحديث عن « باتافيا » هذه يشوق القلب

لرؤيتها ، والاستمتاع بمفاتنها ولكن يظهر ان ثمن الاستقلال كان باهظا جدا، حيث استحالت المدينة الى عاصمة من الدرجة الخامسة او السادسة ، لا من حيث المساحة بل من حيث جمال المدن ودرجة حضارتها ؛ لان السائح اول شيء يلفت نظره ما تقع عليه عينه لاول وهلة . المطار ، معاملة المختصين الرسميين ، ثم طريقـــه الى الفندق ، وهو كما يقال الانطباع الاول . وتضـــع كثير من الدول المتمدنة في الاعتبار هـــذا المظهر الذي يراه الاجنبي لاول مرة حين يزور بلدها . وعندنا في بعض مدن الشرق العربي مناظر تتقزز منها النفس وتعصر القلب ، حيث ترى حقائبك ترمى من محل أوان الموظف المختص بالجمرك او الشرطة في وضع لا يسمح له بأن يعاملك المعاملة المهذبة فقط ، والتي يجب ان تكون بصرف النظر عن اي اعتبار آخر ، فوق ما يضايقك بعضهم من حركات سخيفة تمس كراماتهم ، ومثيرة ، وبطرق ساذجة احيانا ، وقد لاحظت ان كثيرا من دول اوروبا تعنى بهذا الجانب عناية كبيرة ممتازة ، وحتى في اليابان كان الموظفون المختصون بالمطـــار جمركا وشرطة وغيرهم في منتهى الأدب الانساني الرفيع ومنتهى الرقة ودماثة الخلق . ومكثت ليلتي لم اغـــادر المنزل لان الرحلة كانت طويلة ، ولأدون بعض الملاحظات .

البيشات

وفي الصباح غادرت المنزل للاطلاع على المدينة « جاكرتا » واول مـــا وقعت عليه عيناي منظر « البيشات » ، وكثرتها العجيبة فهي تمـــلأ شوارع العاصمة باجراسها ومضايقاتها لاصحاب السيارات الخاصة والعامة ، حيث وصل عددها في العاصمة وحدها نحواً من سبعين الف « بيشة » . والبيشة عبارة عن دراجة هوائية ركبت امامها عربة صغيرة تتسع لشخصين اثنين فقط يدفعها شاب غالبا ، وهؤلاء يبذلون جهداً جبارا في دفعها ، حتى انه لو صادفته عقبة صغيرة جدا نزل ودفع البيشة بيديه ، وتسمع وانت تركبها انفاسه المتصاعدة وجهده الانساني الكبير الذي يبذله ، ولذا فهم على رأي طبيب لا يعيشون اكثر من اربعين عاما ، لذلك

فان الحكومة الاندونيسية تفكر جدياً في الغائها واحلال محلها السيارة الصغيرة اليابانية ذات العجلات الثلاثة اسوة بما اتبعته (تايلاند) .

وللبيشة لذة عجيبة احياناً عندما يكون الجو حارا والركوب عليها ليلا ، والنسيم يقابلك بلطف ، الا ان للبيشة هذه اخطارا مخيفة لو صادف وحصل خطأ بسيط من سائقها ، امام أو بجانب سيارة ، فان الضحية هو انت ايها الراكب ، حين الصدام الخطر . واحيانا يهرب السائق للبيشة نظراً للمسؤولية التي تترتب على اخطائه ، وقد حصل هذا كما اخبرني بعض الاخوان العرب (بجاكرتا) . والبيشة في كل بلد في الشرق الاقصى تختلف عنها في البلد الآخر ، فمثلا في سنغافورة تجد الحكومة الانجليزية تلافيا من تصرفات سائق البيشة الرعناء احيانا ، جعلت مكانه بجانب الراكب حتى يشارك الراكب الخطر ، ويكون حذراً في سيره ودفعه لشخصك العزيز .

تجولت في « جاكرتا » فلم أمر كثيراً لمناظرها ، حيث الجفاف ترك اثراً كبيراً في حدائقها العامة الجافة الصفراء ، وفي شوارعها المزروعة احيانا . ومنظر الحالة الاقتصادية غير المستقرة ظاهر علي الجماهير التي تكدح والتي تصارع في عنف ، وتدهور النقد الاندونيسي الذي اصبح لا يساوي عشر قيمته قبل الاستقلال . واصبحت الحاجيات تباع بعشرات اضعاف الثمن سابقاً . مثلا كانت المائة كيلو من الارز بـ ٦ روبيات اصبح الكيلو الواحد يساوي ٢٠ روبية اندونيسية وكان الكيلو من السكر يساوي ٨ سنت (الروبية مائة سنت) أصبح الآن الكيلو يساوي ٢٥ روبية والآن اصبح قسم كبير من الارز يستورد من الخارج ، لكفاية الطلب المستمر عليه ، حيث هو الغذاء الرئيسي للشعب . واصبح السكر يستورد من « كوبا » ويستورد بعض جوز الهند من «الملايو» . وهكذا تدهورت الزراعة في اندونيسيا وتدهورت العملة . ان الاستقلال شيء جميل وهو امنية الشعوب الغالية ولكن ثمنه ضخم ومرتفع جداً ، تدفعه الشعوب من قوتها اليومي ، ومن سعادتها مرغمة لانه أثمن من حياتها ايضاً . وقد ساعد الجفاف على ازدياد سوء الحالة الاقتصادية مع الاسف الشديد ، كما ان سوء الادارة وعدم الاخلاص للاستقلال الجديد ، من

قبل بعض المسئولين ، عمل على تدهور الحالة العامـــة اكثر . والآن امام القضاء الاندونيسي وزيران سابقان يحاكمان بتهم متعددة ، اهمها استغلال النفوذ والشراء على حساب أقوات الشعب ، فوق ان الجهاز العسكري يستنفد كل مجهود الشعب تقريباً ، وهم محقون في ذلك ليواجهوا الاستعمار الهولندي وعملاءه في الداخل والخارج، فوق ان بعض الدول الغربية تضايق اقتصاديات اندونيسيا ، ولا تستورد بترولها مثلا تواطـأً مع « هولندا » . وحين كنت في اندونيسيا رفض مدير البنك الدولي اقراض اندونيسيا لمساعدتها على النهوض باقتصادها المتدهور ، بحجة تدهور العملة ، وان رصيدها يضعف يوماً بعد آخر ، وديون (هولندا) على اندونيسيا لم تسدد بعد. واخيراً اتجهت اندونيسيا لشراء السلاح من روسيا لان الغرب لا يسره مضايقة (هولندا) في ضم جزر « ايريان » الغربيـــة الى اندونيسيا الأم . وفي جاكرتا لا تجد مكاناً تقضي به وقتاً طيبا سوى شارع واحد لا يتجاوز طوله أربعمائة متر فقط اسمه « السوق الجديد » وفيه ترى اهالي « جاكرتا » رائحين غادين وقد زينت جوانبه بحوانيت فيها منتجات اندونيسية ويابانية فقط وبعض المنسوجات الصينية . وللهنود يد في التجارة . وبهذا الشارع بعض المقاهي الجميلة التي تستطيـع ان تقضي وقتا طيبا بها ، وليلا لا يوجد بجاكرتا « ملهى » او غيره سوى (كازينو) على طراز قديم جدا به فرقة موسيقية تعزف الحانـاً دارجة . يزعجك فيه البعوض المتجول في ارجائه ، ويوجـــد مكان فسيح لبيع المنتجات المحلية والمأكوت ؟ على طريقة « التيفولي » بكوبنهاجن مع فوارق كبيرة جداً ؛ الا ان الناس في جاكرتا يمضون به وقتا لا بأس به نسبيـاً ، وتعرض دور السينما في « جاكرتا » افلاما امريكية قديمة جدا ، وبعضها اندونيسية والاقبـال عليها قليل . وتُعرض افلام هندية وافـلام صينية ودور السينما من الدرجـة الخامسة في العالم نصف المتحضر ، « وبجاكرتا » نهر قذر جداً ، اسود اللون تستحم فيه الطبقه الفقيرة وهو شبـه راكد يحمل اوساخ المدينة كلها تقريباً ، عليه طبقة من الغاز الوسخ لعدم توالد الحشرات الضارة ولكنه في آخر المدينة

يبدو لطيفاً حيث تنتهي الاوساخ ؛ وقد لاحظت أن الماء لا يشرب دون غليه في « جاكرتا » ، بل في كل انحاء اندونيسيا لانه لا ترشيح للماء ولذا فمن الخطر ان تشرب ماء دون ان تغليه او تشرب الشاي باستمرار لتنجو من الخطر المحدق بك عاجلاً ، وتعترف بذلك الجهات الرسمية ايضاً . فعندما كنت مسافراً بالقطار من « سورا بايا » الى جاكرتا عثرت على قنينتين بهما ماء سألت الموظف الصغير المختص عنها قال انه ماء مغلي . وفهمت ماذا يقصد بذلك ، وفي أمسية اليوم التالي شعرت بشيء من التعب وارتفعت درجة حرارتي ، فاسرعت الى طبيب صيني ، وكان شاباً في ريعان الشباب ممتـازاً في خلقه وعلمه ففحصني وقال لديك مبادىء «انفلونزا» اسيوية ، وقلت لم آخذ حقنتها،قال لماذا ؟ قلت انها خدعةالورقةالصفراء التي احملها للتمويه مع الاسف الشديد . واخذت الدواء ولكن بعد الاصابة وان كانت خفيفةومضت ليلة كما يقال ليلاء ارتفعت درجة الحرارة فيها الى الاربعين ثم انخفضت صبـاحاً ، وفي الصباح طلبت الاطلاع على صحف (اندونيسيا) فجاء الخـادم ببعض صحف تصدر باللغة الانكليزية والاندونيسية والهولندية ايضاً ، وقرأت الانكليزية ؛ وهي تنقل اخبار العالم جيداً ، ولقد عرفت منهـا بدء قيام الحركة الانفصالية في سوريا ، ضد الوحدة بين مصر وسوريا . وان الدبابات تملأ شوارع (دمشق) العزيزة .



العرب في اندونيسيا

وفي اليوم التالي كان كل شيء طبيعياً وقد زارني بعض الاخوان العرب ، وفي مقدمتهم العالم « بن جندان » وقدمت له بعض كتب ابي الحسن الندوي واخذها شاكراً ، ثم زارني قسم آخر من العرب ايضاً وكنت ابحث معهم عن احوالهم الاجتماعية وقلت : انه من المؤسف جداً انه لا توجد لديكم جريدة او مجلة تعرف الأجنبي عن نشاطكم ، ولو الاجتماعي ، فانتم تعدادكم في اندونيسيا نحو من اربعمائة الف عربي الآن ، ولكم تاريخ عميق الجذور في هذا الأرخبيل المترامي الاطراف ، ثم مع اسفي اكثر انه لا يزال كما لاحظت صراع خفي بين العلويين والارشاديين، والسلطة العسكرية الاندونيسية لا تعرف التسامح في اي اضطراب ظاهر من أي نوع خاصة بكم كأجانب ، وكنت اتصور أن الأمر غير ما رأيت صحيح للعرب (ارشاديون وعلويون) نشاط علمي طيب ، فهنـاك المدارس المتنوعة المنتشرة في كل مدن اندونيسيا ، وهناك المساجد وقد اتخذت مكاناً للوعظ والارشاد والصلاة إلا أن مظهر هذا النشاط جميعه يتمثل اكثر في جريدة او مجلة تعبر عن مدى النشاط الانساني الذي تقوم بـه الهيئات المختلفة في اوجه الحياة الاجتماعية المتعددة ، ولتدل على الحيوية . ومن العدل ان اقول ان الطرفين من العرب هناك مخطئون لأنه افراط وتفريط ؛ فريق يتمسك بعنعنات قديمة ما انزل الله بها من سلطان ، وفريق اسرف في النقد وفي التهجم الذي وصل لدرجة الحقد الشخصي ، حتى ان بعضهم يسمي بعض الحيوانات الدنيا بأسماء رجال الفريق

الآخر المشهورين وهذا عيب كما اعتقد ويقول هذا الكلام العاقلون من الطرفين . ومن المؤسف حقاً ايضاً أن الأخ الأستاذ صلاح البكري الف كتاباً طبعه بجدة سماه (حضرموت وعدن) غلب فيه عاطفته على عقله الرزين وكنت اتمنى ان لا يكون ذلك من عاقل وفي هذا الوقت بالذات . والعرب في اندونيسيا يلاقون بعض الاضطهـاد من السلطات العسكرية . وليس لهم من يدافع عنهم ، لا في الداخل لأنه لا شخصية قوية لديهم ، ولا في الخارج حيث لا دولة عربية واحدة تستطيع ان تقول كلمة لوجه الحق والعدل ، حتى ولا الجامعة العربية التى لجأوا اليها . ان جريدة (الاهرام) القاهرية نشرت مؤخراً ان اندونيسيا تطرد بعض التجار العرب من بلادها ونشرت هذا ايضاً جريدة (القصيم) في الرياض دون ما تعليق من هذه أو تلك . وهذا اضعف الإيمان بالقومية العربية الشاملة . على انه لا بد من أن اقول كلمة صريحة ان الرئيس (سوكارنو) يتمتع بتقدير كبير من جانب العرب لانه يستمع الى ظلاماتهم فله اذنان تسمعان لا كبعض الحكام اذن واحدة فقط ، مع ان الله خلق للانسان اذنين يسمع بهذه وبتلك أيضاً . وظلم الحاكم يكون مزدوجاً اذ أن الحاكم أمين الله على عباده في الأرض ، وسوكارنو يقابل الشخصيات العربية ويأخذ بيدهم غير أن الذين بعد صف الرئيس يعاملون العرب معاملة قاسية جداً ، ولا تتفق مع واجب الضيافة أو الحق أو كرامة جماعة اقامت قروناً في اندونيسيا لها حسناتها ولها سيئاتهـا . ولا يجب ان يعامل الناس جميعاً بالباطل بجريرة المخطئين وهم قلة . وأكثر العرب في اندونيسيا يتمتعون بالجنسية الاندونيسية ومع ذلك يلاقون مشقة في معاشهم ويشعرون دائمـاً بانهم أجانب عن بلاد ولدوا فيها ، تماماً بعكس ما نعامل به نحن اخواننا في الاسلام (الاندونيسيين) فهم في المملكة السعودية متمتعون بحقوق الجنسية العربية مكرمون معززون لهم حق التوظف في الدولة بـل في وظائف كبيرة وحساسة أيضاً ، دون نظر الى أي اعتبار آخر . فالحق حق يجب ان يحترم إلا اذا ثبت ما يزيل عنه صفة الحق ، وحق السيادة للدولة حق مفيد ايضاً ، ولا يجوز أن يكون كل تصرف ضد الحق باسم السيادة الوطنية او الاستقلال الجديد في أي

دولة مهما كانت ، اللهم إلا إن كانت دولة لا تقيم وزناً للقانون الدولي المعترف به بين جماعة الدول فهذا أمر آخر، فاندونيسيا باسم السيادة صادرت اموالاً كثيرة من العرب وسحبت جنسية بعضهم ، ومنعت بعضهم من السفر أو التصرف في ممتلكاته. وهكذا يلقى بعضهم العسف هنـاك حتى ان الحكومة الاندونيسية عندما طالب العرب أصحاب الممتلكات في اندونيسيا وقد نزحوا عنهـا قسراً طالب هؤلاء بأملاكهم أو قيمتها مقومة كما تريد الدولة الجديدة ، بعثت الحكومة الاندونيسية بعثة تقديرية الى حضرموت لترى كيف يعيش هؤلاء العرب هنـاك ، وعادت البعثة تقول انهم يعيشون خيراً مما يعيش بعض الاندونيسيين في اندونيسيا ، أهذا منطق سليم ؟؟؟!! صحيح ليس لهؤلاء العرب الحضارمة من دولة مستقلة لتطالب لهم بحقهم او بجزء منه ، انما لا يعني هذا مطلقاً مصادرة حقوقهم هكذا دون سند قانوني سليم . واندونيسيا جمهورية ديموقراطية وأعتقد أنهـا لن تكون شيوعية يوماً ما ، وبالرغم من ان الحزب الشيوعي الاندونيسي قوي جداً ، وأتباعه مثقفون جداً . على أن هناك ملاحظة هـامة جديرة بالاعتبار الجدي وهي أن الشعب الاندونيسي لا يزال وسيبقى ذلك الشعب الطيب الخير الوادع غير أن السلطة العسكرية هي التي تقف ضد بعض العرب هناك وأذكر لك يا سيدي مثلا لما يلاقيه بعضهم ، لقد فرقوا بين الرجل وزوجته اذا كانت زوجته بالقرية لانه منع أي أجنبي بالقرية حتى المتجنس من غير الاندونيسيين الاصليين وكان يقصد بهذا القانون الصينيين والعرب . واخيراً عاد الصينيون لأن القرية في حاجة ماسة اليهم ، ولأنهم يعاملون الناس بشرف وأمانة ؛ صحيح هم مستغلون ولكن القرية لا تستغني عنهم لأنهم يوفرون لهم حاجاتهم كلها ، وانت عندما تكون باندونيسيا أو (بالملايو) أو (بسنغافورة) أو (بهونج كنج) تجد نفسك مضطراً جداً لأن تعـامل الصيني وأنت مرتاح واثق من معاملته الشريفة جداً . وهنـاك حقيقة جديرة بالذكر والاعتبار تلك ان قلة بسيطة من العرب بأندونيسيا اساؤا حسن الضيافة الاندونيسية ، أساءوا عن جهل أو عن سذاجة . وشاذ جداً من أساء عن قصد وتعمد مبيتين ، وهذا موجود حتى بين الوطنيين اصحاب البلاد الشرعيين . صحيح لا يغفر للعرب

ذلك لأن واجب الغريب أن يكون أديباً في بلد غير بلده . وفي اليوم الثالث من أيام (جاكرتا) ذهبت صباحاً للسفارة السعودية لزيارة سعادة السفير الصديق الأخ محمد محتسب وهو من الطليعة في الشباب السعودي ثقافة وخلقاً وتربطني به صداقة قديمة ، وجدته كعادته انساناً باشاً ظريفاً أنيقاً ، وقد استقبلني بلطف وغرابة في أن أكون (بجاكرتا) . وبعد التحية والسؤال عن الخاطر ، كما يقولون عادة جلسنا نتجاذب الحديث نفسه ، لا أطرافه .وتفضل الاستاذالمحتسب فدعاني لتناول طعام الغداء بالسفارة في اليوم التالي فشكرته ، وقد حاول سعادته أن يجد لي غرفة واحدة في أي فندق (بجاكرتا) فلم يتمكن ، فشكرته على رعايته هذه وخرجت الى حيث قلب (جاكرتا) الى حيث الشارع الكبير الوحيد وهو لم يتم بعد. شارع فسيح طويل اسمه شارع « محمد تمرين» ، وهو اسم قائد بطل قتل في الثورة الوطنية وخلد اسمه في هذا الشارع الذي لم ينته بعد ، وفي هذا الشارع تبني الدولة فندقاً فخماً جداً ذا عشر طوابق اسمه « اندونيسيا الجديدة » وقد رأيته اثناء البناء وارجو ان يكون قد كمل ليريح السائح من المشقات الكثيرة ، ومن النزول في مخزن عند صديق أو قريب .

والشوارع الاخرى فسيحة تقوم على جانبيها دارات صغيرة وكبيرة لا تزيد عن دور واحد .

وجاكرتا مدينة واسعة جداً يقدر طولها نحو ١٥ كم ، وسكانها نحو من ثلاثة ملايين من البشر، وقد ازدحمت بسكان بعض القرى الذين جاؤوها قاصدين العمل حيث البطالة متفشية مع الاسف ــ والمواصلات في جاكرتا صعبة جداً واسهل شيء فيها هو البيشة وهي الوسيلة الطيبة للمسافاتالقصيرة. واما سيارة الاجرة فهي عبارة عن سيارات ما قبل الحرب الاخيرة ، في كل اوضاعها ولا تجد حسن المعاملة من سائق الاجرة ، لانه عصبي المزاج ولهجته دائماً عنيفة حتى ولو كان يتصنع اللطف ، وهذه طبيعة التحدث . والبيشة تقوم احياناً بنقل الامتعة واحياناً نقل الحيوانات الصغيرة كالاغنام . المهم انها تؤدي خدمات نقل وحسب .

حاولت ان اجد لي مقهى استريح فيه ، وعبثاً حاولت ، وكنت اجد متعة مضحكة ان اركب البيشة واضحك وهم يتعجبون من ضحكي وأنا أضحك على منظري حين اهتز مدفوعاً من شخص خلفي يئن من ثقل جسمي وخاصة ان كان معي الصديق الكريم السيد سالم العاس وهو من الوزن الثقيل جسماً الخفيف روحاً ، او الزميل في بغداد سابقاً السيد رضا العطاس ، وهكذا كانت ايام جاكرتا ولياليها ومنها ليلة حمى الانفلونزا .



المرأة الاندونيسية

والطف ما في المرأةالاندونيسية الرشاقــة . فانت لا ترى اشجار (الجميز) او رفيعة هانم في(اندونيسيا) الا مــا شذ ، وهي موضع تندر الجمهور وضحكه . ومن الطريف ان المرأة التى لها بطن بارز ، بعض الشيء تلبس (الكورسيه) الحزام خارج ثيابها ؛ فتراها ومنظرها غريب بالنسبة لك ، حيث الحزام يشدها ، وهي سيدة انيقة . والمرأة الاندونيسية الحديثة متطورة جدا تأخذ بكل اسباب المدنية الجديدة ، من حيث اللبس وبقية ادوات الزينة كلها لباساً و « مكياجا » فترى بعض الفتيات يلبسن البنطلون الا ما ندر ،فهن يحافظن على الزي الوطــني الخاص باندونيسيا .

ولون بشرة المرأة الاندونيسية لطيف ، سمرة مشوبة بصفرة خفيفة مقبولة ، وللمرأة الاندونيسية دور خطير في حياة اندونيسيا الجديدة . فهي في الجيش في مراكز حساسة منه ، وهي في الحيــاة الاجتماعية تسهم بقسط وافر في الجمعيات الخيرية ذات الاعمال الانسانية ، وأندونيسيا محتاجة لهذا النوع من الجمعيات ، والمرأة الاندونيسية نشيطة جدا سريعة الحركة ، لانها رشيقة ، تتقن العمــل وتشارك الرجل متاعب الحياة ، في المدينــة والقرية على السواء ، والمرأة — الاندونيسية القروية تحمل طفلها خلفها وبجانبها ، وتلفه بطريقة عجيبة كما هو الحال في افريقية ، والريف المغربي العربي ، حيث يحمل النساء اطفالهن بطريقة تشبــه

الطريقة الاندونيسية القروية. والمرأة الاندونيسية تبيع وتشتري وتمارس كل أنواع النشاط السياسي، ولها حق الانتخاب وحق ترشيح نفسها للنيابة. وكان منظرا لا ينسى منظر فتيات المدارس، وهن خارجات من مدارسهن ساعة الظهيرة وكن اسرابا كأسراب الحمام، يقصدن منازلهن ويركبن الدراجات، ويلبسن زيا خاصاً بالمدارس. إن الجيل القادم ستفخر به اندونيسيا ولا شك. وفي اليوم التالي ذهبت الى السفارة؛ وتناولت طعام الغداء مع سعادة السفير وهيئة السفارة، وقد كنت سعيداً حيث التقيت بمندوبي حكومة الكويت العزيز السيدين الكريمين (محمد الصانع ومحمد قبازرد). وذكرني الاخير بصداقتي لكثير من الكويتيين الاعزاء، وهو منهم ابان دراستي (بالعراق)، وقضاء بعض ايام في الكويت البلد الحبيب أمس واليوم وغداً، والسيدان يزوران حكومات بلدان الشرق الاقصى لكسب اصواتهم لدى التصويت بقبول الكويت عضوا في هيئة الامم المتحدة، وقد نجحا في اقناع الدول التي زارها السيدان الفاضلان؛ وقد تواعدنا على اللقاء مرة اخرى في «طوكيو»، وهكذا.

لقاء اخوي ورحلة الى باندونج

وفي نفس اليوم اتصلت تلفونياً بالصديق الكريم الاستاذ الدبلوماسي السابق السيد سالم العطاس حيث يسكن بلدة (شماهي) قرب (باندونج) وهو شاب ممتاز في خلقه وعلمه وهو خريج الجامعة الاميركية (في القاهرة)، وعمل بالقاهرة دبلوماسياً بدرجة سكرتير اول في سفارة (هولندا)، ثم مستشاراً إبّان الاحتلال الهولندي لاندونيسيا وترك هولندا رغم انها عرضت عليه الجنسية الهولندية وانضم الى وزارة خارجية اندونيسيا، ولكنهم اهملوا الاستفادة من خبرته الطويلة فترك حفظاً لكرامته. وهو الآن يمارس عملا حراً في بلدة صغيرة قرب (باندونج)، وصل السيد سالم الى جاكرتا وكان لقاء حاراً لم ير احدنا الآخر منذ عشرة سنوات تقريباً، وعرضت عليه رغبة سفري الى سورابايا عن طريق (باندونج) البلد الجميل في اندونيسيا، فرحب السيد كعادته لنكون معاً،

واستأجرنا سيارة تقلنا الى (باندونج) البلد الذي قرأت عنه كثيراً والذي كانت، قرارات المؤتمرين فيه لها اثر كبير في تاريخ القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيـــا ، حيث عقد المؤتمر العتيد في ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ م واجتمع فيه من يمثلون نصف سكان العالم ، وهم ستمائـــة مندوب عن تسع وعشرين دولة . وقد مثل المملكة السعودية في هذا المؤتمر التاريخي العظيم سمو الامير (فيصل) بن عبد العزيز المعظم، حيث كان سموه وزيراً للخارجيـــة ولعب سموه دوراً خطيراً في عرض قضيتي فلسطين والجزائر على المؤتمر وقاوم تيارات خفية بلباقته السياسية وحنكته في المناورات الدولية التي تريد ابعاد بحث القضيتين العربيتين مما اثار اعجاب المندوبين بشخصية سموه الفذة . اخذت السيارة طريقها نحو (باندونج) وكنا نحن الاثنين نتبادل الحديث عن جاوا والعرب فيها وموقف العسكريين الاندونيسيين ،والسيد يحمل جوازاً اندونيسياً ولذا فهو يعطف على بعض التصرفات الاندونيسية ، ويوجد لها مبرراً لا اقتنع به غالباً . وصلنا الى اطراف« بوقور » وهي مدينة جميلة نظيفة جوها معتدل تقع على مرتفع يطل على « جاكرتا » وفي مدخلها يقوم المنزل الفخم الواسع الذي يسكنه الرئيس الاندونيسي « سوكارنو » ،وفي حديقةالقصر الواسعة ترتع الغزلان ــ اسراباً اسراباً وهو محاط بحدائق غناء واشجار باسقة من اشجار جوز الهند ،وبه بحيرات صغيرة يزينها زهر اللوتس الجميل على سطح البحيرات الصغـــيرة .

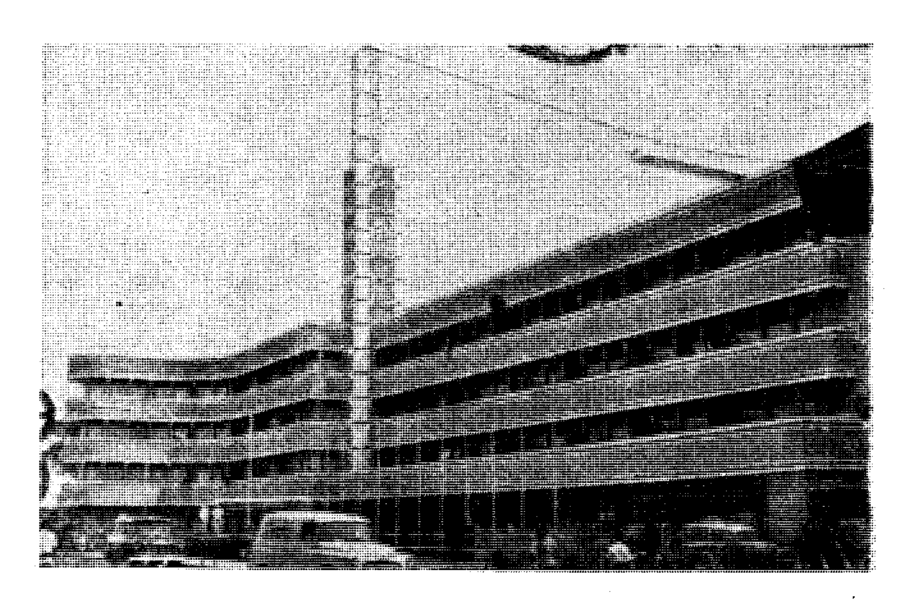
مررنا مروراً خفيفاً ببلدة (بو قور) وهي مركز نشاط العرب في مدارسهم وحلقات وعظهم ، وبها كثير من عائلاتهم الكبيرة ، وجو المدينة بارد نوعاً بالنسبة (لجاكرتا) . وفي(بوقور) محطة تجارب زراعية دولية حيث توجدكل زهور ونباتات العالم تقريباً . ويقصدها علماء النبات من كل انحاء العالم لاجراء تجاربهم العلمية فيها ، وقد عقد فيها اكثر من مؤتمر دولي . ثم اخذنا طريقنا نحو مرتفعات (باندونج) حتى وصلنا جبلا عالياً وكانت الطريق معبدة تعبيداً رائعاً وهي مريحة جداً للسيارات رغم وقوفها شبـــه عمودية ، وهذه الطريق من بقايا مـــا تركته الايدي الهولندية الهندسية ، وكان على كتف الجبل الكبير مزارع من الشاي وخميلاته ذات الخضرة

الدائمة ، والجو رائع بارد النسمات الندية . وفي منتصف الجبل يقام منزل صغير حديث لشرب شاي العصر للرئيس (سوكارنو) ، وقد عرف عن الرئيس (سوكارنو) انه صاحب مزاج لطيف ، مرهف الحس عاطفي العلاقة ... ويعرف (الاندونيسيون) ذلك عن رئيسهم ، ولكنه رغم هذا فهو محبوب جداً لانه مخلص قوي ،فوق انه لا مزاحم له في المركز الكبير ، ولا غبار على صدق وطنيته المتطرفة . صحيح له اعداء اشداء الا انهم قلة . ومضت السيارة تتلوى في الجبل الاخضر الجميل الذي يلبس حلة سندسية رائعة ، وذكرت قول الشاعر الحضرمي حين وصل الى اندونيسيا وأوحت له جبالها الخضراء ،ومروجها السندسية حيث قال في مطلع قصيدة طويلة .

أقسمت يا (جاوا) بكل أَلِيَّةٍ   ما أنت الا بنت جنات النعيم

وصلنا القمة وكانت بها استراحة تركها الهولنديون وهي تطل على تلال خضراء مترامية امام الجبل الكبير ، وكأنها لوحة فنية ابدعتها يد فنان أصيل . كان المنظر يشبه حقاً مناظر (سويسرا) وتلالها الخضراء المزهرة ، وكانت الاستراحة جميلة وهي من بقايا اليد الهندسية الهولندية المبدعة فعلاً ، واخذنا كوباً من الشاي واتجهنا ننحدر نحو السهل المنبطح في تراخ عجيب . وصلنا استراحة وطنية كانت قطعة من الفوضى والاضطراب ، والندل فيها فتيات حبالى ومنظرهن لا يدعو الى شرب أي نوع من الشراب أو أكل الطعام ، واخذنا طريقنا الى بلد الجمال والروعة والجو الممتع وكانت المسافة بين جاكرتا وباندونج ١٨٥ كيلومتراً . وفي الطريق كنت اتحدث مع الاخ سالم عن عدم وجود يد تصون هذه الطريق الجميلة العجيبة حيث ان السيارة تسير في جبل عال دون ان يرهقها شيء ما ، كأنها في سهل مريح جداً .انه العلم ولا بد له من أن يصان ليستفاد منه على مر الزمن ، وهنا قلت للسيد سالم أنني اعتقد ان الشعوب اربع انواع ، شعب يخلق الحضارة خلقاً كالشعب الالماني والايطالى والفرنسي والانجليزي ، فهي شعوب مبدعة خلاّقة ، وشعب يضيف الى الحضارة شيئاً جديداً ، ويسهم في خلقها كالشعب الامريكي والشعب

الياباني ، وشعب يعرف كيف يمارس الحضارة ويحافظ عليها ويصونها كالشعب اللبناني في البلاد العربية مثلا ، وشعب حق ممارسة الحضارة محروم منها، إن لم يسىء اليها ، لان الحضارة شيء وممارسة الحضارة شيء آخر تماماً ، وهي شيء ليس من السهل ان يدركـه كل انسان يملك اسباب الحضارة ، أو يملك شراء ما انتجته الحضارة الحديثه .



(صورة الفندق الذي كان يجتمع فيه الساسة الكبار من اسياد افريقيا للمفاهمة قبيل انعقاد جلسات المؤتمر

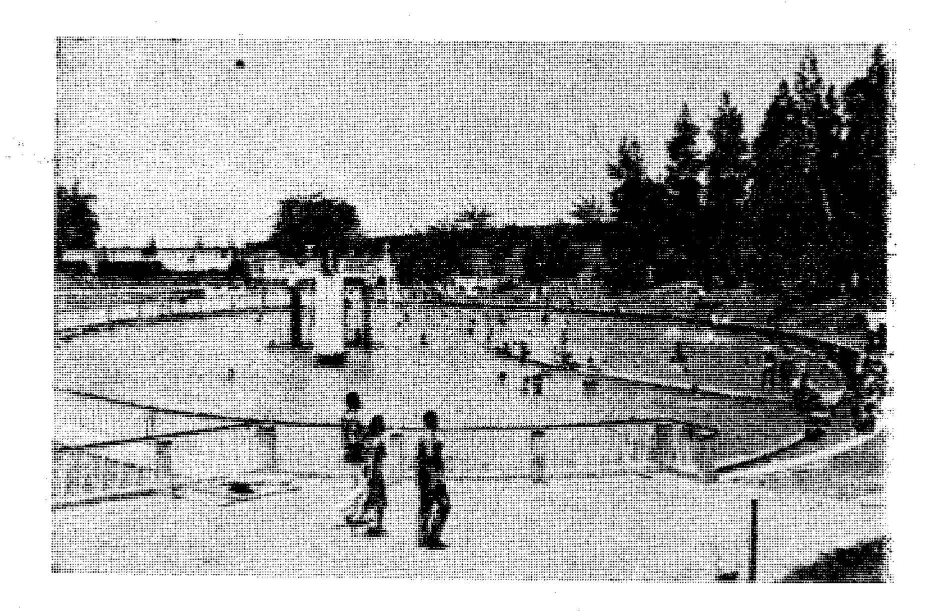
استمرت السيارة تنهب الطريق الجميل، وكأنها فرحة به حتى شارفنا اطراف « باندونج » وهي ترتفع عن سطح البحر نحوا من ٦٠٠ متر وهي قائمة على هضبة خضراء تحفها الاشجار العالية والخمائل الخضراء من كل جوانب المدينة المرحة . ووصلناها عند الغروب ورأينا الناس منتشرين خارج المدينة ، واتجهنا صوب فندق كبير « سافوى » بالمدينة التي اشعرتنا بجوها الجميل ووجوه اهلها الباسمة وكان الفندق يحمل ذكريات في زواياه ، ذكريات « فيصل بن عبد العزيز » وعبد

الناصر ونهرو « وشوآن لاي » وكل رجالات آسيا وافريقيا . هنا كانوا يتفاهمون بنوايا حسنة لانهاء الاستعمار واعوان الاستعمار وقبره الى الابد ، حتى أن طباخ الفندق له ذكريات طيبة مع كل الشخصيات حيث حكى لنا حكايات وحكايات عن مزاجهم في الشاي وفي القهوة وفي غيرها . امضيت الليلة في الفندق وصباحاً خرجت الى المدينة التي تفتح ذراعيها للسائح الغريب ، شوارعها فسيحة نظيفة منسقة ، مبانيها رائعة ضخمة ، على طراز حديث ، نساؤها جميلات رفيقات مبتسمات ، حوانيتها تعد للسائح اغلب ما يحتاج الى شرائه ، مقاهيها ممتازة وهي على قارعة الطريق كما هو في « باريس » و « مدريد » حيث يرى الجالس فيها الرائحات والمارين وقد اخذت استريح بمقهى وما أن استقر بي المقام حتى تقدم مني رجل في الاربعين من عمره يحمل ملفاً ظننت أنه بائع كتب أو غيرها واذا هو بائع لوحات فنية من رسم فنانين اندونيسيين « اللوحات بالزيت » . وكانت مجموعة طيبة من رسوم عذارى اندونيسيا ، الى مناظر طبيعية جميلة ، الى رسوم بقش الارز وهكذا ... اشتريت كمية طيبة منه وكانت رخيصة جدا ، ومر آخر وعرض لوحات اخرى واشتريت منه بعضها واحتفظت بالجميع كذكرى حلوة لباندونج وحملتها الى القاهرة وزينت بها جدار منزلي ، بعد ان فرض جمرك القاهرة رسماً جمركيا يساوي ضعف قيمتها تماماً .

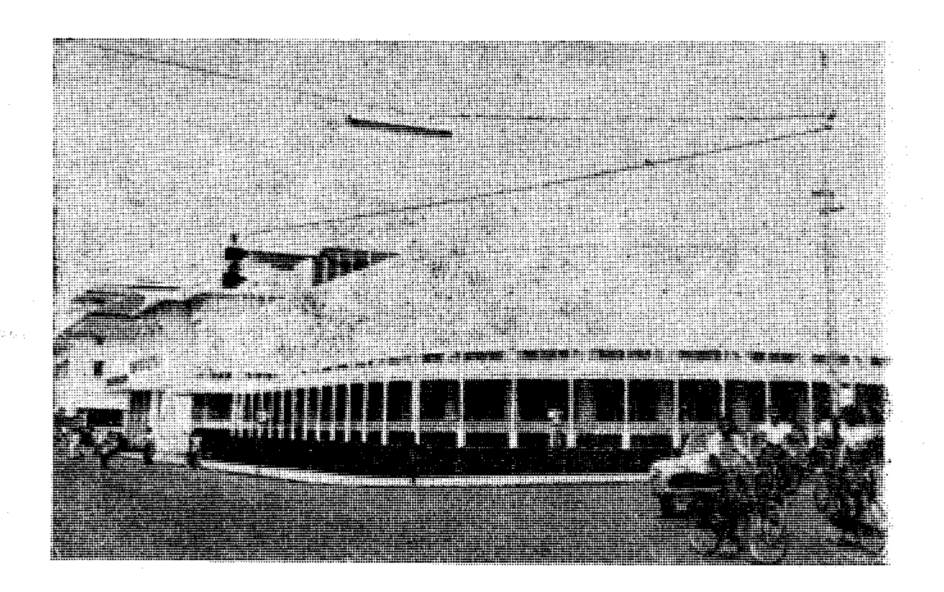
وفي باندونج مسبح جميل رائع البناء تضمه حديقة غناء خاص للاطفال وبجانبه آخر للكبار .

(وباندونج) فيها بعض معرض الجمال الاندونيسي. فجوها مريح جداً ونسماتها معطرة ونساؤها عليهن مسحة من الجمال الهادىء المريح لاعصاب الجنس الخشن ، حتى الباعة في حوانيتهم في (باندونج) فيهم لطف الانسان الذي يريد ان يبيع ويشتري في رقة ودماثة خلق ، بخلاف ما هو في « جاكرتا » حيث لا تطلب اي شيء حتى تجد الجفاف في الحديث مثل جفاف الجو الحار فيها .

وترى في تقاطع شارعين كبيرين في باندونج ،فتيات باندونج الحسناوات يركبن الدراجات برشاقتهن ولباسهن العصري الجميل . انهن هناك يقفزن قفزات سريعة للحضارة الجديدة ، وتميل بشرة اهالي باندونج الى البياض المشوب بصفرة خفيفة جداً ومحبوبة ،خاصة السيدات من السكان فهن على درجة طيبة من الجمال الاسيوي، وفي اليوم التالي اخذت سيارة مع الصديق سالم العطاس متجهين الى ميناء (شربون) في طريقنا الى (سورا بايا)وصلنا شربون الميناء الاندونيسي الهام وفي شربون يقيم الزميل – (السيد رضا العطاس) حيث انشأ مع شقيقه مصنعاً للزجاج يصدره الى انحاء اندونيسيا وهو ناجح في عمله هذا . وقد استورد اخيراً مصنعاً للزجاج ايضاً ، رغم ما يلقاه السيدان من صعوبة . ومكثنا عند السيد رضا ليلتنا واستعدنا ذكريات المدرسة في (بغداد) موطن العروبة وايام الصبا والشباب وهي ايام لا تنسى رغم الفقر وخشونة العيش للطالب الغريب . وفي الصباح اخذنا القطار لنتجه الى (سورابايا) والمسافة بين (سورابايا) وشربون نحو من ١٠٠ كيلومتر وقطعنا المسافة في حديث مع السيد سالم العطاس الدبلوماسي العربي المثقف. وكانت احاديث السيد سالم ، احاديث عن القضايا العربية التي عاصرها ابّان عمله الدبلوماسي في سفارة هولندا بالقاهرة ، وبعض هـذه الاحاديث عن شخصيات عربية وعلى جانب كبير من الخطورة ، ولو نشرت لكشفت جانباً من الضعف في الخلق والوطنية (مع الاسف) لبعض الساسة العرب حينذاك وبعضهم احياء وفي مراكز حساسة . وقلت للسيد سالم ألا كتبت مذكرات حينذاك ؟ قال نعم كتبتها ولم يحن الوقت لنشرها بعد ، قلت انشرها ليعرف الناس حقيقة بعض المضللين ، ودنيا العرب الآن في حالة مصارحة كاملة عن الخونة عن العملاء ، عن الذين يلعبون خلف الستار ، ويظهرون بغير حقيقتهم ليخدعوا الجماهير العربية الطيبة ؛ وفي القطار رأينا العجب العجاب ، أخـذنا تذاكر الدرجة الاولى ولم نجد مكاناً في الدرجة الاولى . وفي الدرجة الثانية وجدنا اماكن (وكان المكيف)عاطلا وقد دفعنا مقابل التكييف وهكذا ..



المسبح



من باندونج

العاشق السمج

وفي القطار كان امامنا في المقعدين المقابلين شاب وشابة . وكان الشاب بادي العشق والغرام ، وكانت هي على شيء من الخجل والحيـــاء ومسحة من الجمال . وكان هو قليلها وكان غزله سمجاً لدرجة اننا تضايقنا وتضايق بعض الركاب الآخرين من هذه الحرية ؛ من هذه الديمقراطية التي لا تعرف الحدود ؛ كان العاشق السمج يقوم بحركات مبتذلة رخيصة . ويظهر انه لم ير كيف يغازل العاشق وكيف تلاطف المرأة ومن الغريب ان الفتاة تجيد الانكليزية اجادة تامة، وكانت تقرأ كتاباً بالانكليزية وتصد حركاته البدائية بقراءتها المستمرة ، ومضى القطـــار يطوي المسافة في شيء من الحركة الرديئة المتعبة ؛ والجو حار جداً والركاب يزدحمون بشكل لا يتفق والذوق احياناً ، حتى وصلنا (سورابايا) ونحن في أشد الشوق اليها لنتخلص من حركات العاشق السمج على الاقل . نزلنا المحطة وتوجهنا الى فندق اسموه لنـــا ولم نجد مكانـــاً ثم الى آخر وآخر ولم نجـــد مكانـــاً رغم ان الفنـــادق من الدرجـــة الخامسة او السابعـــة على الاصح ، لأن العسكريين احتلوا كل الفنـــادق . واخيراً عثرنا على ما يشبه (البانسيون) ونزلنا به ضيوفاً على البعوض التي استقبلتنـــا بطنين مستمر ، وانقضاض على جسم السيد العطاس حيث يجد فيه مرتعـــاً خصباً للزرع والقلع والمص . ومدخل (سورابايا) يشبه الى حد بعيد جداً (مُنى) ايام الحج حيث نجد المساحة التي بالمحطة الى المدينة مليئة بالباعة واضاءاتهم المختلفة ، هذا بالنار ، وهذا بالمشعل الكبريتي ، وهذا بمصباح كهربائي ، وهذا بضوء الشموع الكثيرة ، وهكذا والناس رائحون غادون يشترون ويأكلون واصوات الباعة تختلط في الزحام، تماماً كأنك في (منى) كما قلت . وفي الليل تجولت مع السيد سالم العطاس في المدينة فلم نر سوى باعة الاكل والفاكهة . ومن اللطيف اني وجدت البطيـــخ الأحمر ومنظر البطيخة جميل جداً وهي ريانة الا انها صغيرة وفرحت حيث ذكرتـــني بالوطن لان البطيخ يشبه بطيخنا تماماً .

واما فاكهة (المانجو) فهي تملأ كل اندونيسيا وهي رخيصة وانواعها مختلفه جداً ومنها الجيد جداً او غير الجيد والذي لا طعم له بالمرة . ومكثنـــا نتجول في المدينة (سورا بايا) حتى ساعة متـــأخرة من الليل ، كل ذلك هرباً من استقبال البعوض المخيف الجبار ، ومن الحر المزعج ، رجعنا الى قواعدنا في (البنسيون) العجيب . وصباحاً مع البكور خرجنا الى المدينة لنراهـــا على حقيقتها . كانت مع الاسف غير ما تصورناها حسب وصف الذين رأوها سابقاً . . . مدينة لطيفة الا انها ليست كما نراها في بعض الصور لان آثار الحرب اليابانيـــة لا تزال قائمة باقية بمناظرها المؤذية وألطف مكان يركن اليه السائح هو مطعم صيني وتلحقه مقهى نظيفة .

ودخلنا المطعم لتناول طعام الافطار وكان الصيني العجوز المهذب يقدم لنـــا الافطار على الطريقة الصينية ، مالح ، على حلو ، على شاي أخضر ، على حليب ، دنيامن الأكل ثم على لب بطيخ ، ثم سألت احد العرب في (سورا بايا) عن اقارب لي هناك اجاب انهم في بلدة (قرسي) . أخذت السيارة وحدي الى (قرسي) وهي بلدة صغيرة ويسكنها بعض العرب ، والطريق اليها وسط بحيرات لتربية الاسماك ، ولتجفيف الملح ، وكانت رائحة كريهة تنبعث من هنا وهناك . وصلنا (قرسي) فلم اجد الاقارب وقيل لي انهم في (بوندواسا) بلدة في اقصى جـــاوا ، وتبعد عن سورابايا نحواً من مائتي (كم) ، وعدت الى المدينة ووجدت الصديق العطاس في حال لا يحسد عليها ، لانه كلّ من البحث عن غرفة صغيرة في فندق صغير جـداً وقلت له اني متجه الى (بوندواسا) واستأجرت سيارة الى (بوندواسا) ومرت ومعي رفيق عربي يحفظ بعض ابيات من الشعر ، ويقرأ بعض المجلات التي تصدر من القاهرة ، وهو متتبع لبعض الاحـــداث العربية ، ويعتقد انه اديب بعد كل هذا فقط ، حتى وصلنا البلدة واجتزنا جبلا اخضر هواؤه منعش وعلى سفحه مياه نهر صغير صافٍ ووصلنـــا (بوندواسا) بعد ان مررنا بقرى صغيرة بعضها سمي بأسماء عربيـــة صميمة كقرية (بافاضل) ومن الطف القرى قرية نظيفة ، جميل اسمها (قرية الفلوس) ويظهر ان الصرافين يقطنون هذه القرية . وصلنا (بوندواسا)

وسألت عـــن الشارع الذي يقطنه أقربائي ، ووصلت المنزل ووجدتهم بخير ، استقبلوني استقبالاً طيباً والجو في هذه المدينة منعش بارد بالنسبة (لسورا بايا) ويحيط بها مزارع خضراء حيث مررت. وفي المساء زارني الكثير من العرب المقيمين في هذه البلدة وتجاذبنا اطراف الحديث عن حضرموت وعن البلاد العربية وعن احوالهم هنا بعد الاستقلال وقبله ، والواقع ان العرب في هذه المدينة متجاوبون مع أهلها متحابون ولهم مدرستان تدرس فيهما العلوم العربية والدينية ولقد اطلعت على برنامج المدرسة من كتب قريبي واعجبت به من حيث سلامة المنهج العربي والديني وحتى اللغة الاجنبية يدرسونهـــا بعناية طيبة ، فاطمأننت لمستقبل هذا القريب وبت ليلتي مرتاحاً لبرودة الجو وانتعاشه، وفي الصباح الباكر اخذت طريق العودة الى (سورابايا) مرة اخرى .

ومررت مروراً على المدرسة العربية وهي عربية صميمة مدرسوها عرب واسمها عربي أيضاً ، وفي شارع لاحظت مسجداً قائماً ، وفي ركن من أركان فنـاء المسجد لاحظت طبلاً كبيراً معلقاً ، وبجانبه مضربة فسألت عنه قيل أنه يقرع عند صلاة الفجر ، وهو شيء لم أره من قبل ، وقلت للسيد المرافق لي : أرجو أن يستعاض عن الطبل (بميكروفون) وهو أفضل وأبعد أثراً في الاسماع وهذا الطبل عادة عجيبة ، قال : انها قديمة وقد سبق استعمالها في الاسلام ، وهذا ما لم أعرفه من قبل ، وأجبته طالمـــا أن هناك ما يوصل الابلاغ للصلاة وخاصة صلاة الصبح التي أكد الله صلاتها ، لأنها في وقت يحلم الناس فيه وخاصة في الشتاء .. وكررت أن (الميكرفون) اصبح شيئاً مفيداً ، وقد لفت نظري أثناء مروري بأكثر القرى موضوع الطلبة في المسجد وأغلب المساجد فيهـــا طبول وما أكثر المساجد في اندونيسيا وأجملها وكنت أرجو أن تكثر المدارس بنفس النسبة ان لم تزد.

ورأيت الأسواق الاندونيسية للفلاحين ، والفلاح الاندونيسي نظيف جداً في منزله الصغير وهو متعاون مع زميله الفلاح ، فالتعاون في اندونيسيا كلهـــا مظهر مشرف للاندونيسي، وهذه ظاهرة يلمسها الغريب،حيث الفلاحون يتعاونون تعاوناً

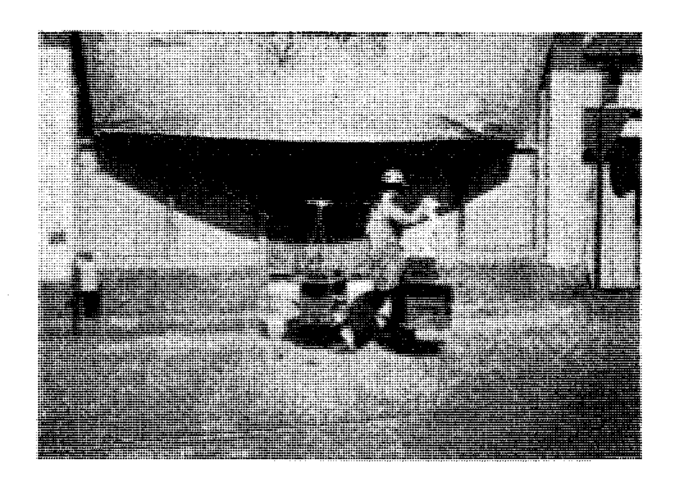
عجيباً في حقولهم زرعاً وحصادا .

وبيوتهم منسقة نظيفة على صغرها ، مساءً تقوم المرأة بكنس المنزل وساحته الأمامية ثم رشها بالماء والجلوس أمام المنزل الصغير لاستقبال الضيف أو الجـار وهذه ظاهرة اعجبت بها في اندونيسيا، بخلاف الفلاح الهندي (مع الأسف) وبعد ساعات ثلاث وصلت (سورا بايا) عائداً ووجدت الصديق العطاس الدبلوماسي القديم يشغل ركناً من المقهى الصيني الجميل ، وفي جلسة شاعرية ، يضع السيجارة على طرف فمه المبتسم دائماً .

وبقينا معاً نتحدث عن اندونيسيا ونهضتها الجديدة وعن متاعب وأعبـاء الاستقلال الجديد ، وعن تصرفات العسكريين الذين احتلوا الفنادق في جاكرتا وفي (سورابايا) وعلى حساب الدولة وخزينتهـا التي تحتاج الى من يسندها ، وتجولنا في المدينة حيث يوجد بهـا (الترام) وبسورابايا بعض الحدائق الغناء وبعض المباني الجميلة .

وفي أقصى الطرف الأيسر للصورة يوجد المقهى الصيني الجميل الذي ساعدنا على قضاء وقت طيب وغذاء اطيب في بلدة (سور ابايا) وحاولت شراء أي شيء للذكرى من (سورا بايا) فلم أجد شيئاً يصلح سوى تمثال نصفي من خشب لامرأة فلاحة فقط ، وفي المساء أخذنا طريقنـا الى وكالة الخطوط الجوية الاندونيسية فلم نجد مكاناً لأن المقاعد تباع بأثمان باهظة في السوق السوداء ، وهي هنا مستعرة أوارها في كل المجالات تقريباً — مع الاسف — لم نجد سبيلاً الى الطائرة ، توجهنا الى محطة القطـار وكنت خائفاً من عائق سمج آخر ، وفي المحطة لم نجد تذاكر للدرجة الأولى لأنها أيضاً تباع في السوق السوداء، أخيراً اتجهنا الى مكتب سمسار صيني فوجد لنا مقعدين بالدرجة الأولى لأن المسافة الطويلة من سورابايا الى (جاكرتا) تبلغ ٨٠٠ كلم يقطعها القطار في ليلة كاملة ، أخيراً أخذنا التذكرتين وتوجهنا الى المحطة العتيدة وودعنا (سورا بايا) وتحرك القطار وكان على ما يظهر مرهقاً لأنه يسير ببطء وله صوت مزعج رغم أننا بالدرجة الاولى الممتازة أيضاً

وكان القطـار يمر على مروج خضراء وعلى مزارع الأرز البعيدة المدى ، فنرى الفلاحين الاندونيسيين يتعاونون على الزرع والقلع والرعاية كما قلت سابقاً ويدخل القطـــار مزارع المطاط التي اشتهرت بها اندونيسيا وأشجارها تعد بالملايين ، وللمطاط تاريخ في اندونيسيا حيث ادخله الهولنديون ، وهو نوعان وحشي وغير وحشي . فالوحشي لا يستفاد منه سوى الخشب أما غير الوحشي فهو الذي يهب السائل الأبيض العجيب لبني الانسان ، ليستخدموه في أغراض كثيرة جداً ، وطريقة استخراجه هو : بعد أن تنمو الشجرة التي يغرسونها غرساً ، بأبعـــاد منتظمة وتغدو شجرة بعد سنتين ونصف تقريباً يأتي المزارع او العامل بإناء صغير من الفخار غالباً ويربطه بأسفل الشجرة من طرفه ، وهو يشبه (سلطانية اللبن) ، على بعد نحو من ٦٠ سنتيمتر عن سطح الأرض ، ثم تجرح الشجرة جرحاً مستطيلاً فينزل السائل الأبيض على صورة نقط صغيرة ببطء ، ويمتلىء الإناء بعد يوم تقريباً ويؤخذ في برميل ، وهكذا ، ويستخرج المطاط في موسم معين ثم يترك الإناء في الشجرة مربوطاً حتى يحين الموسم القادم — وتجرح الشجرة من مكان آخر ، الى ان



تستنفد اغراضها منها ثم تحرق حرقاً جماعياً ، وتضاء الغابة بهذا الحريق ، وبعد مدة يبدأون بزرع شجر جديد ، وهكذا دواليك . ومن الطف ما تراه العينان

مزرعة جديدة للمطاط وهي صغيرة وتبدو بلون جميل جداً لا هو بالأخضر ولا هو بالأصفر بل لون أقرب الى الزيتي منه الى الأخضر وتكون الخميلة في حالة حيوية ممتعة للنظر ، وهي تعد بمئات الألوف أحياناً ، ومن الطريف أن يعرض عليك فلاح المطاط وهو في حالة سائل كأنه لبن أبيض ، وليس ناصع البياض ، انه يريد نقوداً وحسب ، وماذا تفعل به أنت ، وفي الصباح الباكر كان القطار يقترب من (جاكرتا) وهو يمر بالمزارع المنتشرة والحقول الخضراء الزاهية ان الطبيعة في اندونيسيا معطاة وهي حانية على هذه الجزر فلا عواصف ولا رمال تسف ولا أي مزعج آخر من ثورة الطبيعة أو غضبها ، ان التربة الخصبة جداً تعطي كثيراً دون مجهود مضني حتى أني خشيت على عصاتي لو نسيتها ليلة على هذه الأرض الخصبة أن أفقدها وتصبح مشروع شجرة صغيرة ، وبالطبع سوف لا تكون شجرة مطاط بل شجرة من شجر الفضاء ، ولو كنت متأكداً أنها تعطيني زهراً لفعلت ولكن من يضمن الزهر والزهر الجميل ؟ (جاكرتا) وقابلنا أصحاب سيارات الأجرة ودخلوا معنا في معركة نحن الخاسرون فيها ، كل يريد أن نركب سيارته القديمة ، والتي تصرف فيها تصرفاً ـ سيئاً جداً ، وقد أحالها الى (بوكس) وبشكل عجيب جداً ، ويريد أجرة كبيرة وهو يتحدث الينا بلهجة جافة غير مصطنعة. انها طبيعته هكذا ، وأخذنا احدى السيارات واتجهنا الى المنزل ، ونلنا قسطاً من الراحة وفي أثناء ذلك سمعت صوتاً غريباً يبدو هكذا (يو) (يو) مردداً اياها مرات ، وقلت ما هذا ؟ ماذا حصل ؟ ضحك مضيفنا وقال انه بائع الخضار يقول : خضار !! وباللغة الاندونيسية (سايور) ويختصرها أو يدغمها على حسب مزاجه ثم مر آخر يصيح بصوت مخالف لهذا ، قلت وما هذا ؟ قالوا انه بائع المثلجات وغيرها ..!! قلت : أريد أن أرى ذلك ، خرجت ورأيت رجلاً يحمل دكاناً كاملاً من الخضار المنوعة .

وكذا الآخر أنواع المثلجات وأوانيها وغير ذلك مما تحتاجه المثلجات ، وهذا هو بائع فاكهة وبعض مكسرات خاصة ، قلت اذن كل صوت أو اشارة

ضرب تعني شيئاً يباع ، وسيدة المنزل تعرف كل أنواع الأصوات والأنغــام فتنادي على الذي تحتاج اليه من حاجيات المطبخ أو المنزل وهكذا ، وأما بالمساء فسمعت ضرباً قوياً بعصا غليظة على الأرض قلت وما هذا أيضاً ؟ قالوا انه رجل بصير (أعمى) يقوم بعمل المساج لمن يريد من أصحاب المنـــازل الكسالى ، أو الشيوخ الذين يحاولون إيجاد حيوية لهم ويضرب على الارض بعصاه الغليظة اعلاناً عن مهنة المساج (الكبوس) وهكذا .

سنغافورة

وفي صباح ٣١ – ٩ – ١٩٦١ ذهبت مع الأخ أحمد الكاف الى السفارة البريطانية لأخذ تأشيرة الدخول الى « سنغافورة »و« هونج كونج » وصادفنا أحد المواطنين وكان ثقيل الاجراء كثير السؤالات غير ذات الموضوع حتى انقذ الموقف القنصل البريطاني نفسه وكان مهذباً وأعطاني تأشيرتي دخول المدينتين المستعمرتين وذهبنا من هناك الى حيث الخطوط الجوية الملايوية ، وحجزت مقعداً الى سنغافورة وودعت الأصدقاء وفي مقدمتهم سعادة السفير السعودي الأخ محمد محتسب الذي أشكر له ما لاقيته منه من عطف ووطنية صادقة ، وفي المساء توجهت الى المطار مودعاً اندونيسيا الخضراء،البلد الذي يصنع لهالآن تاريخاً جديداً في صفحات الوطنية والتي أرجو أن تكون عادلة ومنطقية ، مع تمنيات النجاح والتوفيق للمخلصين فيها ، وصلت المطار وبعد اجراءات كانت في الواقع لطيفة حيث الموظف المختص بالجوازات والمختص بالجمارك كان كل منهم مدركاً لعمله وملاطفاً زائر بلده ، وتوجهت الى الطائرة « بريطانيا » ذات الأربع محركات وبعد دقائق اقلعت الطائرة ، ومن الصدف أن الطائرة التشيكوسلوفاكية كانت رابضة في مطار « جاكرتا » حيث وصلت مساء الأحد كعادتها ، وبعد أن استقر بنا الطيران في الجو تقدمت الينا مضيفتان احداهن على جانب كبير من الجمال الملايوي مع رقة في الخلق وابتسامة على فم رقيق الشفة ، وكانت الاخرى قد أخذ منها الزمن الكثير وتركها للشيوخ يتغزلون فيها ، وهما تلبسان الزي الملايوي

فقدما لي طبقاً ظننت أنه أكل أو حلوى ، واذا هو بمجموعة مناشف قد عصرت من الماء الحار ولفت بطريقة جميلة وقدمت لي واحدة بملقاط صوفي ومعه ابتسامة مشرقة ومن حسن حظي أن التي قدمت الطبق ليست النصف شمطاء ، وأخذت المنشفة وتذكرت ما سمعته قبلاً عن فتيات « الجيشا » وخدماتهن المرفهة للنفس وشكرت للحسناء هذه الخدمة وتذكرت أيضاً امكان قطع « منشفة » الى كلمتين « من » و « شفة » ، وأنا مسحت ولم اطلب قبله لان الأصل أن اقول اعطني منشفتكِ ومسحت وجهي ويدي مسحاً ازال عنهما غبار المطار وعرق الطريق من المنزل للمطار ، وبعد ذلك جاءت وأخذت المناشف كلها ووضعتها في الطبق ، والطائرة مستمرة في السير نحو الجزيرة العتيدة نحو « سنغافورة » ثم قدمت لنا العشاء وقبله بعض المشهيات اللطيفة التي يغلب عليها « الفلفل » وتناولت طعام العشاء مبكراً وأخذت أقرأ صحف « سنغافورة » وأشرقت في حياتي شمس حياة جديدة حيث الاعلانات عن أشياء كثيرة مسلية سينما مسرح الخ. الادوات الحضارية التي تضفي على حياة الغريب عن بلده البعيد شيئاً من المسرة والمتعة البريئتين ، قرأت اعلانات عن مبيعات لطيفة ومعروضات جميلة ، وبعد أن هبط الظلام بدت سنغافورة كلؤلؤة تضيء شواطىء البحر في الليل وهبطت الطائرة على المطار الدولي الكبير المنسق ، وصلت مضيفة أرمنية تستقبل ركاب الطائرة القادمة بلطف وأقلتنا سيارة محترمة الى ساحة الجمرك ولحظات ونحن في الجمرك ثم سؤالان فقط : هل لديكم أسلحة ؟ لا ، هل لديكم سجاير ؟ لا ، شكراً وقد استقبلني بالمطار بعض أصدقائي العرب أيضاً وحجزوا لي غرفة في فندق « سنغافورة » وهو من أفخم فنادق شبه الجزيرة الجميلة ويتوسط المدينة تقريباً وأول ما لاحظت حين دخولنا المدينة التي نسمع عنها كثيراً في الافلام تصاحب قصة حب أو مغامرة حربية أو غيرها مما نسمعه أو نراه ، المدينة اضاءتها رائعة ، طرقها جميلة منسقة ، نظيفة ومزدهرة ، والنظام فيها دقيق يشعرك بالراحة النفسية لمن يعشق النظام ، وصلنا الفندق وكان بوابه من الرجال السيخ الطويلي القامة ، وهم هنا في سنغافورة وكذا في هونج كونج يستخدمون للحراسة في

الفنادق والبنوك ومحلات الصيارف ، لأنهم شديدو الشكيمة ضد الذين يريدون العبث بالنظام ، ويظهر أن الصينيين وهم غالباً المشاغبون يخشون أجسام هؤلاء السيخ لان الصيني قصير القامة بالنسبة للسيخ . ولاحظت أن المختصين بالفندق كلهم تقريباً من الصينيين . وفي مدخل الفندق يوجد دكان مليء بالحاجيات التى تتطلبها النفس لك ، وكهدية لأصدقائك وهذا ما لم اجده مطلقاً في الهند واندونيسيا وهم هناك يحرمون نفسهم ذلك لمجابهة متطلبات الاستقلال لبناء الوطن الجد المستقل ، وبعد ان استقر بي المقام ساعة زمنية خرجت مع الاصدقاء العرب الى المدينة ، الميناء الذي اشتاق لرؤيته كثيراً. أخذنا السيارة والى أول شارع ووصلنا الى الآخر وهكذا حتى نصل قلب المدينة ولقد شعرت والحق بشيء من الراحة والمتعة لجمال سنغافورة الذي صنعه الانجليز فيها وجعلوا منها قطعة عمرانية رائعة، طرقات واسعة جميلة جداً اضاءة مريحة للعين والاعصاب يتجلى بها العلم الحديث ، حتى وصلنا قلب المدينة حيث بناء البلدية الضخم وهو مضاء باضاءة صفراء باهتة وهي آخر ما وصل اليه العلم في الاضاءة الحديثة ، وتجولنا في الميناء العتيد ورأينا البواخر الكثيرة تزينها الثريات الكهربائية ، كأنها في أعياد أو كرنفال وطني ، رابضة على الشاطىء الذي شاهد أحداثاً وأحداثاً عسكرية خطيرة ، ثم دعاني أحد الاصدقاء الى قضاء سهرة في كازينو صيني وهو في حديقة سطح فندق « الامباسادور » ، وذهبنا الى هناك حيث الجو رائع وكانت المدينة ترى من فوق هذا السطح تغمرها الانوار المختلفة وتلفها بهجة الحياة المنطلقة وفي « الكازينو » الصيني يوجد « حيث وجد أي شيء صيني يتصل بالحياة »، يوجد تمثال مضاء للحيوان المنقرض « التنين » وبشكل يشعرك أنه شبه متحرك لان عينيه تتحركان حركة عجيبة وفي أعلى الكازينو يوجد ما يشبه الكرة الارضية في ضخامة وبها نجوم تضاء وتطفأ بشكل لطيف جداً ، وقضيناها ليلة لطيفة وكان الجو ممتعاً رائق الاديم ، والانغام الموسيقة الحالمة تنساب عبر الانوار الخافته ، واقسام الرقيقة ، وصوت المغنية الصينية يدغدع المشاعر الانسانية حقاً، وهكذا انتهت الليلة الاولى في سنغافورة.

وفي الصباح الباكر تناولت طعام الافطار وخرجت وحدي الى الشارع لأرى

انماطاً من البشر العجيب حقاً ، هذا هندي ، وهذا صيني ، وهذا اندونيسي، وهذا ملايوي ، وهذا عربي ، وهذا انجليزي ، وهذا الخ الخ الاشكال البشرية المتباينة في اشكالها والوانها ولغاتها واتجاهاتها وأديانها انما الجميع يتفاهمون على مصالحهم المتشابكة ، ولم أر قط خلال اقامتي خلافاً بين اثنين او اثنتين يتقاتلان . النظام ينظم سير الجميع وحياتهم ، وأخذت أطوف شوارع سنغافورة ، الصورة التي في ذهني مشوهة حيث تعلمت أنها قلعة بريطانية في شكل جزيرة جرداء قاحلة ، ولكن الواقع ان سنغافورة بهـا حدائق غناء خاصة وعامة ، وملاعب واسعة ، وطرقاتها مشجرة منسقة تنسيقاً لا يقل عن لندن نفسها ، ان لم يزد احياناً ، والحياة فيها لا تشعرك كأنك فعلاً في قلعة بريطانية تحرس حلف « جنوب شرقي آسيا » حيث ترابط قطع الاسطول البريطاني ، وحيث المطـار الحربي الخاص . ومضيت وأنا سـعيد بهذه الايام التي قضيتها في سنغافورة ، وكنـت ألاحظ الطابع الصيني غالباً على حـياة البلد ، الحوانيت كلهـا صينية تقريباً والذين أراهم أغلبهم صينيون ذلك ان الصينيين يكونون ٧٣ ٪ من مجموع سكان سنغافورة وهم الذين يسيطرون على التجارة تقريباً ، وهم كما قلت اهل للثقة والمعاملة الشريفة . نعم جزء منهم ينهب أموال المواطنين أين كانوا عن طريق الرياء ، انمـا هم على العموم افضل معاملة من غيرهم ، بشيء كثير من الواقع . والكتابات الصينية تملأ واجهات المحـال التجارية التي تعج بأشكال الحاجيات النادرة والجميلة جداً وأثمان هذه الحاجيات ليست مرتفعة ، بل العكس الصحيح ، انها اثمان معقولة جداً ، تريح جيب السائح وتشجعه على قضاء فترة أطول مما قدرها لنفسه ، ووضع برنامج للرحلة ، وأما الفنادق في سنغافورة فهي مرتفعة الاجرة نوعاً بالنسبة لبقية مطالب المعيشة هناك ، وبالمناسبة الحروف الصينية تعد بالآلاف وهي ترسم الشكل الذي تريد تسميته أو التعبير عنه فمثلاً التلفون ترسمه كأنه التلفون أو المسجل أو الرجل أو المرأة وهكذا ، واصلت المطاف حتى رأيت مطعماً هندياً ودخلته ، وسلم علي الرجل الذي بالباب وكان علي انا ان اسلم عليه حيث قال السلام عليكم ، ولكن هذه عادة بعض الهنود وكذا في جاوا ، المطعم

اسمه « اسلاميك مطعم » وهو ذو طابقين صعدت الطابق الاعلى لانه انظف وابعد عن روائح المطبخ وكانت معروضات المطعم جميلة مما ألفت أكله بالمملكة من السامبوسك الى الارز البرياني ، ثم اخذت مكاني وكان الجو غائماً ورذاذ من المطر الخفيف يسقط وانا انظر من خلف الزجاج وكان منظراً جميلاً حيث جاء الندل بالقائمة وفيها ما لذ وطاب من المستطاب طلبت بعض الاكل واكلت في شهية عجيبة لانه لذيذ الطعم والرائحة معاً ، وكانت قيمة الطعام رخيصة جداً دفعتها وخرجت الى الشارع ، واوقفت سيارة اجرة الى الفندق ومكثت به حتى المساء ، وكنت اتسلى بمطالعة الصحف الانجليزية التي تصدر في سنغافورة وهي تمثل وجه نظر السياسة البريطانية الاستعمارية في الشرق الأقصى ، وتدعو في شيء من الصراحة الى ضرورة امرين هامين : اولا : محاربة الشيوعية التي تحاول هناك ان تنتشر في الملايو وفي سنغافورة ، ثانياً : الدعوة الى اتحاد الملايو وسنغافورة ، ومن صحف سنغافورة بلغتنا انباء الحركة الانفصالية في دمشق وهي انباء كانت مزعجة حقاً لانها تعني ان التجربة العربية الاولى فشلت امام عوامل خارجة عن ارادة الشعب العربي ، وشعور العربي الغريب هناك شعور يختلف عنه في الشرق العربي ، حيث يتمنى هناك ان يرى كل الشعوب العربية في وحدة متماسكة قوية متحدة مخلصة لأمانيها واهدافها الكبرى التي تريد تحقيقها ، وبعثت للصديق الصحفي السيد انور زعلوك بالقاهره ببطاقة قلت له فيها : ان الانفصال نكسة كبرى في التاريخ العربي الحديث ، واني ارجو الا يتم ، ولكنه تم مع ذلك ولم اعرف حقيقة الامر هناك والعوامل التي ادت الى انفصال الوحدة ، التجربة الاولى في تاريخنا الحديث ووجهة نظر الذين قاموا بالانقلاب الانفصالي ؛ والصحف في المستعمرات بطبيعة الحال تنشر كل ما هو في غير صالح الدول المستقلة كالعادة لان الاستعمار يحارب الشعوب في استقلالها وسيادتها ، وتعلق عليه ايضاً بتوجيه الرأي العام فيها نحو تثبيت وجهة نظرها الاستعمارية البغيضة ، وفي المساء وصلني بعض الاصدقاء من العرب للزيارة والترحيب ؛ والعرب هناك يفرحون جداً بزيارة اي عربي ، وهم هناك يكونون جالية محترمة بعض الشيء ، وهم لا ينسون شخصية سمو الامير

« فيصل بن عبد العزيز » حين مر بهم في طريقه الى « باندونج » عام ١٩٥٥ ، وقد اقاموا لسموه حفلة كبرى عبروا فيها عن تمسكهم بعروبتهم وقوميتهم ، وتفضل سموه فتبرع بمبالغ ضخمة لهيئات ذات اغراض انسانية هناك . والامير (فيصل) يمثل القومية العربية تمثيلاً صحيحا وسليما لأنه عربي أصيل الاب والام ، ولانـه اثبت بتصريحاته المختلفة المتكررة انه مؤمن بالقومية العربية الصاعدة الخيرة ، ومكثنا نتحدث عن القضايا العربيـة التي تشغل الشرق العربي حين ذاك خاصة قضية الحركة الانفصالية عن الوحدة ، والتي كانت تجمع مصر وسوريا وقد ظهر لي ان العرب يتمتعون بشخصية طيبة في (سنغافورة) ، وقد انعم على بعضهم بالقاب رفيعة لأنهم اندمجوا في الحياة العامة هناك واسهموا بقسط وافر في مجالات حيوية في صالح المجتمع . وقد تخرج من شبابهم الاطباء والمهندسون العالميون حتى ان الصحف في صباح احد الايام ، ذكرت وفاة سيدة عربية ، وان جنازتها شيعت في موكب مهيب وهذا ما يسر له كل عربي . وبعد ذلك دعوني شاكرين لسهرة في المدينة وخرجنا وكان الجو رائعاً رقيق النسمات . وذهبنـا الى احدى الاماكن العامة وتناولنا بعض القهوة ، ومن ثم اخذنا نصعد تلاً اخضر زاهي الشجيرات واعجبت بهذه المناظر الطبيعية في « سنغافورة » التي قالوا عنها انهـا قلعة جرداء فقط ، وصعدنا فوق سطح التل في طريق متعرج تحفة خضرة ندية ، حتى وصلنا الى فندق ممتاز جـداً يطل على المدينة التي كانت تحتضنها الطبيعة والنور ، وكان منظراً مريحا للنفس والعين ، وهناك التقينا بالاديبـة السيدة « خديجة السقاف » وهـي التي نقرأ عنها احيانا في مجلة « روز اليوسف » بالقاهرة ، أن دارها يصبح ندوة ادبية لبعض كتاب القاهرة وادبائها ، ورحبت بنـا واخذنا نتحدث عن القاهرة والشرق العربي عموماً وكان في هذا الفندق كثير من عائلات اوربية واطفالهم الذين لهم ملاعب جميلة منسقة في ساحة هذا الفندق الذي يقبع على سطح تل اخضر ثم ودعت الاخوان العرب وعدت الى ادراجي الى الفندق في ساعـة متأخرة من الليل بعد ان امضيت وقتـاً طيبا في « سنغافورة » القلعـة الجميلة الخضراء .

الى المتحف الصيني الفريد

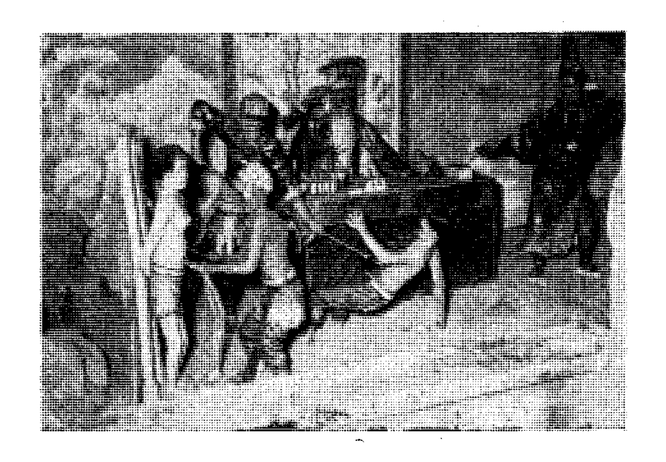
وفي صباح يوم ٢ – ١٠ – ١٩٦١ ذهبت لرؤية قطع الاسطول البريطاني التي تحرس الجزيرة التي استقلت استقلالاً ذاتياً . والملايو التي اصبحت ضمن «الكومنولث» البريطـــاني فرأيت بعض المدمرات وغيرها من الاسطول العتيد صاحب التاريخ الدموي في البحار ، والذي صرعته البحرية اليابانية وطردته من ميناء سنغافورة والملايو شر طردة ، ولكنه عاد وانتصر مرة اخرى ، ثم ذهبت برفقة الاخوان لزيارة المتحف الصيني العجيب الذي اقامه تاجر صيني بمفرده وخسر مئات الالوف من الدلاورات ، وجعـــله تحفة انسانية رائعة ، يتنفس فيها الشعب السنغافوري ويمضي فيها ساعات مع التاريخ الصيني القديم ، وتعاليمه التي كانت سائدة في عصر من عصور تاريخ الصين العظيمة . هذا الصيني الخالد اسمه « O. bon How » وسمي المكان باسم « Hoba Villa » وهذا التاجر الصيني جمع ثروة ضخمة جداً من عمل دواء اسمه « Tiger Palm » وهو يشبـــه لحد بعيد ما يسمى « بالمنيلتم » وانتشر في كل جاوا والملايو انتشاراً عجيباً وبعض الناس ينسبون الى هذا الصيني تهمة بيـــع الافيون والمتاجرة فيه ،وعلى كل حال خلد الرجل اسمه وصنع شيئاً لبلده يشكره الناس عليـــه اليوم وغداً . دخلت هذه « الهابافيلا » ومدخلها جميل جداً متقن الصنع يوحي لك بانه متحف صناعي وهو يشبه لحد ما ، متحف « مدام تسو » بلندن وهو متحف الشمع المشهور الذي يحكي تاريخ بريطانيا قديمـاً وحديثاً ، الا ان المتحف الصيني مصنوع من خزف وجص وبعض احجار رخوة لينة ومتحف مدام تسو من الشمع . واول ما تقع العين عليه هو ما اشتهرت به الملايو وهو النمر المخطط الخطر ، والثعبان المخيف الذي يبتلع الخروف وبسرعة مخيفة جداً .

وعندما تدخل ترى تماثيل مختلفة لحيوانات بعضها موجود الآن وبعضها منقرض فالموجود مثل القرد وانسان الغاب والفيلة وغيرها مما هو موجود في غابات الملايو الكثيفة وحين نتوغل نجد التاريخ وبعض التماثيل تمثل ذلك التاريخ ، فمثلاً جلسة محاكمة وقد حكم القاضي بنشر جسم الرجل الخائن لوطنه .

وامرأة خانت زوجها فجزاؤها القاؤها في حلة كبيرة يغلى فيهـا الماء ، وهذه

اخرى للرجل الكاذب العائد والجزاء قطـــع لسانه لانه اساء الى تعاليم (بوذا) بالكذب الكثير والخطير .

وبعض هذه الجزاءات ليتها تطبق على بعض الناس في اولئك الذين استمرأوا الكذب وخاصة على الناس والافتراء عليهم ، وهذه صورة عقاب الرجل السارق الذي اكل مال الناس حراماً .



تخرج امعاؤه بطريقة فيها وحشية نوعاً ما ويرى القاضي الصيني وهو يشهد تنفيذ الحكم بنفسه في المحكمة .



ولا يخلو المتحف من مرفهات كتمثال امرأة تذكر زوجها الغائب بالنظر الى

صورته دائماً . وهو تقدير الوفاء له كما ان القاضي الصيني يحكم على السيدة التي تعذب خادمتها او خادمها وتسومه العذاب بان يجلدها علناً وفي ساحة المحكمة ، وهــذا من الانسانية بمكان كبير ،حيث لا يجوز تعذيب الخدم لمجرد ان الظروف اوجدتهم في حالة فقر مدقع ولو وجدوا تكافؤ الفرص لاصبح الخــادم سيداً والسيد قد يكون هو الخادم ، واما الاعداء المحاربون اذا حكمت عليهم محكمة عسكرية فان هناك مطحنة تطحنهم فيها .

وحتى سارق الدجاج له عقوبة خطيرة ، ويظهر ان الدجاج له أهمية كبيرة حتى يهتم المشرع بوضع عقوبة خاصة لسرقته بالذات والنص عليها .

وهذه صورة رجل مسن يرضع امرأة وهو رمز الى البنوة والامومة والحنان وهنا ذكرت قول الشاعر الرقيق .

يا ليتني كنت صغيراً مرضعاً
تحملني الزلفاء حولا اكتعا
اذا بكيت قبلتني اربعــا
اذن ظللت الدهر ابكي اجمعا

ولكن صاحبنا بلغ من العمر عتياً وهو يرضع ايضا لانه يحتاج الى الحنان من المرأة فقط .

واخذنا نتجول في المتحف الصيني الجميل المنسق تنسيقاً بديعاً ، وترى الجماهــير تتنقل من قسم الى آخر ،وهي مبتهجة واكثر الزوار هم من الصينيين نساء ورجالاً، واطفالاً . وقــد لفت نظري لباس غالبية السيدات والآنسات الصينيات انهن يرتدين « البيجاما » ، في تجوالهن وهي بيجامات معقولة مقفولة من الرقبة واليدين

وقماشها من النوع الغالي الثمن وهو من الحرير الصيني الاملس البراق، وغالباً ما يزيد



من فتنة المرأة الصينية الرشيقة جداً والجميلة غالباً وهي في سنغافورة وهونج كونج» تمثل المرأة الصينية الاصيلة فلا « رفيعة هانم » ولا اشجاز « جميز » ، بـــل رشاقة

واناقة وجمال شرقي رائع ، وبشرة ناعمة ملساء تزين هذا كله ابتسامة مشرقة وان كانت في بعض الاحـيان ماكرة ايضا ، لان الصينيين متعصبون لبعضهم تعصبا اعمى بكل ما تحمله هـذه الكلمة من معاني مختلفة . والمرأة الصينية لا ترتاح لغير الشاب الصيني تقريبا ومن النادر ان نجد صينية تحب غير صيني ولو كان الصيني غير جميل المحيا ولكن هـي العنصرية حتى في الحب . ولكنهم كما قلت قبلا هم في معاملتهم شرفاء . هذا ، وقد بقيت في هذا المتحف الجميل نحواً من ساعتين اتصلت فيها بالتاريخ الصيني والانظمة التي كانت قائمة حينذاك ، ورأيت تمثـالين مختلفين « لبوذا » الهندي ايضا ولكن في شكل آخر مهذب جداً لان (بوذا) يظهر في اشكال مختلفة وازمنة متباينة ، كما هو في عقيدة البوذيين .

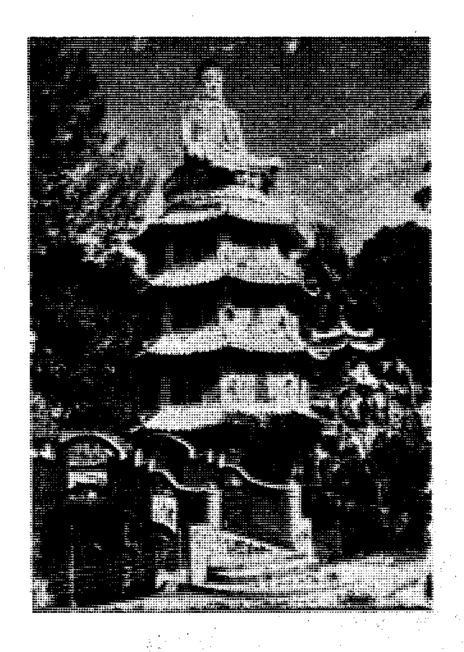


بوذا الصيني

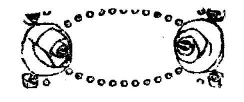
ثم ودعت المتحف بعد ان شكرت في نفسي الرجل الفرد الذي عمل شيئاً خلد اسمه في التاريخ وله صور في أعلى مسلة بالمتحف .

ثم عدت الى المدينة اللطيفة والميناء العظيم ، استعداداً للسفر غداً الى الملايو لرؤية الشعب الذي نعرفه (بمكة المكرمة) كحجاج ، وفي صـباح اليوم التالي تفاهمت مع الاخ (عبد الله الكاف) وهو شـاب مكافح لطيف المعشر يتقن الانجليزية والملايوية وبعض الصينية واستأجرنا سيارة صغيرة باليوميـة ثم اخذنا

طريقنا نحو الملايو والسيارة هذه ذكرتني بالصديـق الاديب الرشيق القلم الاستاذ (عبد العزيز الرفاعي) حيث هي من نوع ولون سيارته التي طالما اسمعني عنها احاديث كثـيرة ، في الرياض عندما نذهب للنزهة معـاً ، وعندما كنت (بجـدة) يسمعني الغزل في سيارته الصغيرة اللطيفـة ، بدأت رحلتنا الى الملايو وودعنـا مؤقتاً (سنغافورة) ، وانا لا اريدمغادرتها ابداً لانها اشعرتني بأن الانسان يمكن ان يصنع من ممارسته للحضارة الصحيحةما يعيد اليه انسانيته ومقدرته الفائقة على تطويع الطبيعة ، وجعلها رهن مشيئته هو لا مشيئتها هي حيث الفرق كبيراً جداً بين (جاكرتا) عاصمة اندونيسيا (وسنغافورة) الميناء التي كان استعمرها الانجليز ، لتخـدم اسطولهم الذى يحمى الملايو (وهونج كونج) وغيرهـا من الممتلكات البريطانية سابقاً .



بوذا الهندي



الملايو

نحن الآن في الطريق الى (الملايو)،والملايو يتكون من تسع سلطنات تختلف مساحة كل سلطنة عن الاخرى ، ويجمعها اتحاد يسمى اتحاد الملايو . والعاصمة هي (كوالالمبور) ويقيم بها رئيس السلاطين ، وهو عربي وزوجته كذلك ، ودخول الاسلام الى الملايو كان عن طريق عاصمة (ترتغانو) القديمة وهي تبعد عن العاصمة الحديثة بنحو ١٥ كيلومتر مربع ، وفي العاصمة القديمـــة اكتشف حجر أثري فيه كتابات باللغة الملايوية تثبت متى دخل الاسلام الى الملايو ، وتقع (ترنغانو) في اقصى الشمال للملايو وهي تعقب مملكة (سيام) . و (ترنغانو) ، على شاطىء بحر الصين الجنوبي .واهل (ترتغانو) اقرب الى العرب منهم الى الملايوين في اشكالهم وبعض عاداتهم ولطف اخلاقهم ، وقد دخل الاسلام الملايو كما تقول الكتابة الاثرية المذكورة في الحجر الاثري في ٢٥ فبراير سنة ١٣٠٣ ميلادية يقابل هذا بالهجري سنة ٧٠٢ هجرية في غرة رجب، وقد حقق هذا الحاج (محمد صالح بن حاج اواغ) وقد حدثني نفسه عن هذا الحجر الاثري الهام حديثاً طويلا ، والحاج محمد صالح شخصية مسلمة لطيفة جداً ، طاف اكثر البلاد العربية وحج وزار الجمهورية العربية المتحدة ، وقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، وقـــد تفضل فأهداني كتاباً صغيراً تحدث فيه بالملايوية عن الحجر الاثري وتاريخه ، واين هو ، وكل ما يتصل بهــذا الاثر الكبير الذي نقل الآن الى متحف العاصمة (كوالالمبور) . طول الحجر ٣٣ بوصة وعرضه ٢١ بوصة وقاعدته ١٠ بوصات وسمكه ١/٢ ٩ بوصات ووزنه ٤٠٠ باونه .

ثم بعد ذلك اخذ الاسلام ينتشر رويداً في الملايو وقد وصل الى الآشي (١٣٠٠م)، والحاج مؤلف هذا الكتيب ذكر فيه متى دخل الاسلام (كمبوديا) وان فيها أثراً تاريخياً ايضاً، واثبت متى دخل الاسلام هذه المملكة وان الكتابة بالعربية، ويقول ان الاسلام دخل (كمبوديا) سنة ١٣٠٦ م ويظهر ان انتشار الاسلام في الشرق الاقصى البعيد متقاربة فترات دخوله هناك، وهي في القرن الرابع عشر ميلادياً حسب ظروف المواصلات وتقبل الناس هذا الدين الجديد في البلاد التي وصلها، والذي اضاءها نوره، وانقذتها تعاليمه الكريمة السمحة لا المتعصبة، الخيّرة لا المتجبرة، المتطورة لا المتحجرة، وشعب الملايو شعب طيب جداً مسالم جداً، وهو شديد التمسك بالاسلام.

واخذنا طريقنا وبعد ١٧ ك م من الطريق الجميل اللطيف المزروع على الجانبين بالزهور والخمائل الخضراء، وصلنا الى المعبر الصناعي الذي اقامه المهندسون الانجليز ليوصلو الجزيرة (سنغافورة) بالملايو براً وهذا المعبر عريض يتسع للقطار والسيارات وانبوبه ماء واسعة تمد سنغافورة بماء نقي حلو من (جوهور)، وطول هذا المعبر نحو من ١٥٠٠ متر تقريباً، وصلنا الى آخره ودخلنا حدود سلطنة (جوهور) وهناك كما بمنطقة الجمرك (صوريا) غالباً وبعد ذلك اتجهنا الى شوارع المدينة اللطيفة ذات الجو البديع والطرق المعبدة تعبيداً رائعاً فيه اخلاص وبعد نظر، لاحظت ان الشوارع تحمل اسماء عربية فهذا شارع ابراهيم، وهذا شارع بكر وغير ذلك وكانت الوجوه عليها مسحة من الجمال الهادىء والأنوف معتدلة نوعاً وان كان الهنود يملأون الدنيا هناك بالملايو، باشكالهم التي هي غالباً شبه سوداء، وهم اصحاب تجارة طيبة وينقذون امثالي بمطاعمهم ذات الاكل الشهي وأنا غير اكول، انما لا استطيع ان اتناول الا الطعام الشرقي ذا البهارات لذا ابحث عنه في كل مدينة ازورها. ففي (لندن) مثلا كنت زبوناً دائماً لمطعم هندي مرتفعة اسعاره ويقع في طرف ميدان (بيكادلي) اسمه (سوارافامى)، واخذنا طريقنا في السير السريع حتى وصلنا الى مدينة اخرى ثم قرية اخرى وكنا نستمتع

بمناظر الطريق الطبيعية الخلابة الرائعة، حيث غابات المطاط تشكل مناظر جديدة علينا ، وصلنا الى شاطىءتنقل السيارة ومن فيها (عبّارة) (Feery) الى الشاطىء الآخر دون مقابل وكنت اخشى هذه العبارات التي مررنا عليها وهي كثيرةجداً في الملايو، لان لها حوادث خطيرة وحدثت بعضها ويذكرها الناس هناك ولأن بعض الأماكن الطويلة المدى وعميقة الغور والعبور مجاناً وقد كان بمقابل الفتــه حكومة الاتحاد المركزية أخيراً وكانت القرى التي نمر بها نظيفة ولطيفة حيث بهـا المطعم والمقهى ، ونرى الصينيين يملأون المدن والقرى ، وهم اصحـــاب الحوانيت والمقـــاهي ومررنا ببلدة (باتوفهد) أي حجر (فهد) وهي على ما يظهر عربية الاسم وبها بعض العرب وهي بلدة منسقة نوعاً ما ثم مررنا على بلدة صغيرة تسمى (لابيس) ثم على قرية (سيجامات) ثم (باتوانم) وهذه تعنى (الحجر التاسع) واثناء سيرنا المتواصل كنـــا نستمتع بجمال الطبيعة الرائع وكان رذاذاً من المطر الخفيف يلطف الجو الحار نوعاً ما ، والنسمات تعطرها الزهور المنتشرة المختلفــة الالوان والاشكال هنا وهناك ، وبعد الظهر كنا في سلطنة (ناكري سمبلان) اي (البلاد التسع) ودخلنا قرية (جماس) وهي ذات فواكه كثيرة جداً ، واهلهـا قوم طيبون لا يريدون الربح الحرام لاني اشتريت (موزاً) وهــو هناك كما هو في اندونيسيا اكثر من عشرين نوعاً وبعد ان دفعت الثمن وذهبت الى السيارة لحقني البائع وهو يجري ، ورد لي بقية المبلغ وهو يبتسم ويعتذر ، وانا لا ادري ، لأني اعتقدت ان الثمن الذي دفعته هو الذي طلبه وهو ثمن زهيد جداً اذا قيس بقيمة الموز الذي اخذته وانه من الصنف الممتاز ذي الرائحة العطرة والطعم اللذيذ جداً ، وفي الطريق لاحظت ان البقر هنـــاك لها قرون كبيرة ذات فروع طرفها حاد ، ويظهر ان الطبيعةجهزتهابهذا السلاح لمقاومة النمر كما اني لاحظتان بيوت الفلاحين مرتفعة عن سطح الأرض حوالي متر تقريباً ، وسألت فقال لي خوفـــاً من النمر والحيوانات الكثيرةالتي تعبث بالدواجن والأطفال الصغار لو اغفل اهلوهم ادخالهم المنزل او حمايتهم بعد الغروب ، ثم واصلنا السير الى بلدة (سنجى) ثم الى بلدة (آيرايتم) اي (الماءالاسود) ولم نر ماء اسود ابداً انما هي تسمية ولا بد انلها اصلا

من التاريخ ، ومساء وصلنا الى سلطنة (بيهانج) ودخلنا بلدة (كايان) وكنت في هذه الفترة الاحظ شيئاً مهماً جداً ذلك هو اهتمام حكومة الاتحاد بتعبيد الطرق ، ففي كل طريق عام نجد آلات تعبيد الطرق الحديثة جداً او الضخمة التي ذكرتني بمعدات معالي (لابن لادن) بالمملكة ان لم تزد بجدتها وضخامتها ، والعمال منتشرون في كل طريق يعبدون جديداً ويصونون قديماً ويوسعون ما يحتاج الى التوسعة ، ويظهر لي ان هذه سياسة مقصودة تهدف لغرضين : الاول ، هو امتصاص العمال المتعطلين في الملايو مقاومة للشيوعية التي صارعها الانجليز هناك في وسط الاحراش والغابات ، والثاني هو وجود طريق معبد تصلح حتى لمرور الدبابات في حالة قيام حرب عالمية تستطيع السلطة العسكرية الانجليزية استعمال هذا الطريق الطويل المنظم ، والذي يبدأ من سنغافورة وينتهي في آخر سيام (مملكة تايلاند) ويصل حوالى الفي ك م طولاً ، وهي سياسة انجليزية حكيمة تستفيد وتفيد ومن العجب اني رأيت جبلا ضخماً عليه غابة ذات اشجار كثيفة يراد إزالته وتعبيد طريق مكانه لتقصير المسافة بضع كيلومترات فقط وكانت المعدات من الضخامة كأنها تلال تتحرك حين مررنا بها ، ثم واصلنا السير الى بلدة (تمرله) وهذه البلدة جميلة جداً ، بها ملاعب رياضية ممتازة بعضها جوف تلال من الحشائش المنسقة ، والمدينة حديثة التخطيط وقد لاحظت بعض سيارات الجيش البريطاني رائحة غادية وقد تكون سيارات خبراء بريطانيين في الجيش الملايوي ، قد يكون !! ومن الطف ما لاحظته فتيات وفتيان المدارس وهم يعودون الى منازلهم يلبسون لباساً خاصاً بالمدرسة.(وتمرله) هذه يفسر اسمها بعض العرب بالملايو بأن تسميتها عربية الاصل فهي مركبة من كلمتين (تمر) و (له) وبجانب هذه المدينة الجميلة التخطيط والنظيفة جداً ، يوجد مكان اسمه (مقيال) وايضاً مأخوذ من القيلولة العربية ، اي الهجوع عند الظهيرة لان الحر هنـاك مخيف كما فهمت ، وكان الناس يقيلون هناك ، هذا كبري حديث جداً وقد سبق للفيضان ان داهم الكبري القديم وحطمه فأنشأت حكومة الاتحاد الكبري الجديد الحديث وتركنا (تمرله) متجهين الى (كواتنان) ومررنا ببلدة (ماران) وكانت الشمس تأذن بالمغيب . ومن الظروف العجيبة ان السير بنا كان

يجد في الغابات الكثيفة جداً والتي لا يستطيع انسان ان يدخلها دون سلاح ناري، ومعه غالباً رفيق ، وصادف ان حاولنا المبيت في (ماران) ولكن الزميل للرحلة وهو الذي يسوق السيارة رأى مواصلة السير وكنت انا اريد ذلك ايضا ولأن السيارة شجعتنا على المضي في طريقنا رغم نصيحة احد عمال الطرق الذين نسألهم دائماً في الطريق ، وهم جماعات متناثرة على طول الخط ، اغلبهم هنود ، ورأيت على الخريطة ان المسافة بين (ماران) و (كواتنان) نحو من ٨٠ كيلومترا ولكن الحقيقة ان المسافة هي ثمانون ميلاً لا كيلومتراً يسمون الميل هناك (حجر) واظن ان هذه التسمية عربية ، ذلك لأن البدو العرب يقولون لمسافة بعيدة نوعاً : انها رمية حجر ، قد يكون وقدلايكون .مضينا بشجاعةوليس معناسلاح ناري اللهم الا خنجراً حاداً اشتريناه صدفة من بائع من احدى القرى اكراماً لشيخوختهفقط وطمأننا هـــذا الخنجر بعض الشيء ، السيارة تنهب الطريق نهباً والظلام يهبط تدريجياً على الغابة ونحن وحدنا ، لا سيارة تقابلنا او تقفو اثرنا ولا عمال طرق ، وعندما اختلط الظلام اوقفنا الراديو ، لان اعصابنا بدأت تتوتر والطريق طويل . أميال عديدة لنصل الى (كواتنان)، البلدة التي تنام على شاطىء (الصين) . اضأنا نور السيارة وبدأت المخاوف تتسرب الينا ، ساد صمت رهيب لاننا في مفازةوكنت أحاول جاهداً رواية بعض النكت والحكايات اللطيفة لنضحك ، ولكن الضحك سرعان ما يبدده صوت حيوانمن الغابة يصرخ ، ثم سرنا على حافة جبل والطريق متعرج ، ضيق وفجأة قال لي السيد (عبدالله الكاف) رفيقي ان وقود السيارة بدأ ينفد ، فقلت : لا تخف ، سنصل ، وعيناي مسمرتان على عداد (البنزين) ، وفكرت في المصير والاولاد والوطن الخ .. الافكار الخبيثة التي تراود الانسان غالباً في المواقف الحرجة ، وكنت سمعت قصصاً كثيرة عن خطورة غابات الملايو، لاني كنت اتساءل لماذا ارى في كل زاوية صورة نمر ؟ قالوا انه رمز الملايو ، ثم حدثني (عبدالله) عن اشتراكه في معارك ضد الشيوعيين الملايوين والصينيين في هذه الغابات ، وكيف انها خطرة بما فيها من نمور كاسرة وثعابين ضخمة وحيوانات شرسة ، وقلت له : ان الحيوان يخاف النور ويهرب منه ، وانا اشعر بالخوف مراً

لكني اريد ان أطمئنه . وعلى بعد منا لاحظت عينين تتوهجان وسلط نور السيارة صدفة فاذا هو نمر صغير مخطط يعبر الطريق بقفزة هائـــلة مكشراً انيابه ، وبدأ وجيف قلـــبي يتتابع وبسرعة ، قفلت زجاج السيارة رغم ان الحر شديد بعض الشيء ، وطافت في رأسي افكار كثيرة ماذا لو نفد وقود السيارة ؟؟؟ ما الذي سيحدث لو حصل خراب في السيارة ؟؟ ماذا يحدث لو انفجرت عجلة في السيارة؟؟ لان الحوادث غالباً ما تحدث عند الازمات ، ومن حسن حظ الذي يسير في هذا الطريق ، ان الجسور الصغيرة والمتوسطة تقريباًمن الواح خشب غير مثبتفيحدث صوتاً عاليا عندما تمر عليه سيارة ، وخاصة ان كانت مسرعة وهذا الصوت يشبه طلقات بعيـــدة ، وكنت ارتاح اذا مررنا بجسر من هذا النوع لأن الجسور فوق الترع الكثيرة منتشرة ومضينا ونظرت الى اشارات الطريق فوجدت ان بقيـــة المسافة هي ١٨ ميلا قلت لعبدالله بقي ثمانية عشر ميلا ، قال ؛ ارجو ان يكفي الوقود ، وبعد لحظات من جوابه رأيت على شجرة عالية ثعباناً ضخماً ترابي اللون يتدلى من فرع في الشجرة ، وهو اشبه مايكون كجذع منها. قلت لرفيقي : انظر انه قد يتجه الينا من أعلى ، قال انه خطر ولكنه لا يمتد هنا او هناك ، وكانطوله يقرب من الثلاثة امتار ، ومضينا ونحن في حالة لا نحسد عليها ، والسيارة تسير في هدوء وانتظام ، ثم مررنا على بعض الثعابين وهي تعبر الخط سحقنا بعضها وبعضها هرب عائداً الى حيث اتى ، ثم سمعنا صوتاً مزعجاً كأن حيواناً يستغيث وقال لي الرفيق البطل : أنه صوت قرد هجم عليه حيوان اكبر منه ، قلت كيف عرفت؟؟ قال : من تجـــاربي اثناء وجودي بالغابة مع القوات البريطانية عندمـــا جندونا اجبارياً لمقاومة الشيوعيين داخل الغابات ، ثم لاح لي ضوء من بعيد ، قلت انهـــا المدينة (كواتنان) قال بقيت اربعة اميال ، قلت انها سهلةجداً بدأنا نسير بجانب بعض بيوت الفلاحين المضاءة وبيوت الفلاحين في الملايو من الخشب الجميل جـــداً والغالي الثمن بالنسبة لغير الملايو حتى أننا بعض الاحيان كنا نشم دخان حرق نشارة الخشب، وهي رائحة تقربمن رائحة العود الذي يباع باثمان باهظة عندنا ، والملايو من اولى صادراتها الخشب باشكاله المختلفة وهو يمكنه ان يمون العالم على ما

اعتقد لان الملايو كلها غابات ولأن السكان لا يزيدون عن ستة ملايين انسان. منهم حوالي اربعة ملايين مسلم ، وصلنا اطراف مدينة (كواتنان) ودخلنا المدينــة وكان اهلها يتنزهون مساء في طرقها الزراعية الذي تنام في احضانها بعض الحدائق العامة الواسعة. وكل مدينة في « الملايو » يوجد بها مراكز تليفون مستقلة منتشرة ويستطيع ان تتصل بأي رقم تريد في الملايو كلها وكذا في سنغافورة ، على غرار ما هو موجود « بلندن » ، وهذا ما لم اره في « الهند » « واندونيسيا ».ونزلنا في فندق لا بأس به اصحابه من الصينيين وفي « كواتنان » ذكرت الصــديق الكريم المواطن السيد يوسف علي الزواوي الذي اصبح مفتياً « لترنفانو » كلها وطلبته بالتليفون وبالاسم فقط فجاءني على الخط ، وحدثته وكانت مفاجــأة له لانه لم يتصور اني اصل الى هذا المكان وفي أمسية مظلمة كهذه ، قلت وصلت ، قال : الحمدلله على السلامة ، لان الطريق هذا خطير جداً ، وشكرته ، ومساء ذهبنا الى دار للسينما لنرى فيلماً « ملايويا » يحكي قصة تاريخية من صميم البيئة الملايــوية ايام الحريم والمؤامرات في قصور السلاطين القدماء ، ثم عدنا الى الفندق ونمنــا ليلتنا وفي الصباح الباكر اخذنا طريقنا الى سلطنة « ترنفانو » وهي السلطنة التي امتـــد فيها الاسلام للملايو كلها وكثير من اهلها عرفناهم بالحجاز وكان معي بعض طلاب زملاء في مدرسة الفلاح من « ترنفانو »وفي اول الطريق سألنا احد المارة عن طريق « ترنفانو » الصحيح قــال بالعربية من هنا ، قلت أأنت عربي ؟ قــال نعم ، قلت كيف عرفت اننا عرب ، قال من لهجتكم الاندونيسية ، ورحب بنا وطلب إلينا ان نقضي عنده سحابة اليوم والحّ في الطلب فشكرناه وحمدنا له حسن خلقه ، ثم اتجهنا الى الطريق قاصدين « ترنفانو » ، ويفصل ترنفانو عن « بيهانج » جدول يجري تنقلنا اليه عبّارة وهي كثيرة كما قلت لكثرة القنوات التي تسهل المواصلات عبر السلطنات والمزارع ، ومضينا مع صباح مشرق رائع في طريق كـله اشجار خضراء وبعض قنوات بها يجري ماء رائق ووصلنا ميناء «كوالادنفين» و«الكوالا» تعني الميناء ، ومن ثم كان الطريق كله على الساحــل وبه غابات من اشجار جوز الهند الذي كان محملا بالثمر الكثير وكان المنظر في منتهى الروعة والجــلال ،

والطريـــق لاحب لا عوج فيه ولا خوف ، وكنا نرى البحر الذي يضم اسراراً كثيرة عن كيفية دخول الاسلام هذه البلاد البعيدة جـداً عن منبع الاسلام ، ثم وصلنا ميناء «كوالاماران» وهو ميناء لطيف في مدخله وفي بناياته وتجري عمليات تعبيد الطرق هنا على قدم وساق ، وواصلنا المسير وكانت جماعـــات من القرود تقابلنا حيث سرنا لانها تصعد الشجر لسرقة النارجـين « جوز الهند » ويطاردها الاهالي بعنف ولكنها مع ذلك تسرق وتسرق وتهرب والقرد يقوم غالبا بجني جوز الهند ويدرب على ذلك تدريباً مستمراً ، وهو اذا وجد حشرة ضارة كالتي نسميها ام اربعة واربعين يصرخ وينزل الى صاحبه فزعاً مرتاعاً ، لانها غالبا ما تكون هنـــاك حيث جوز الهند ومضينا آمنين مطمئنين ثم دخلنا قرية صغيرة اسمها (البصرة) وفعلا كان بها نخيل كثير ولكنه من جوز الهنـــد والقرية على الشاطىء مباشرة . ثم شارفنا «كوالاترنفانو» وكان اول ما قابلنافيها مزارع الارز المنتشرة على الجانبين وهي زاهية تداعبها نسمات طيبة لان الجو بدأ يتحسن في الشمال ثم مررنا على مزرعة برتقال ورأيت كتابة عربية باسم صاحب المزرعة وهو حضرمي نشيط ذكي ، ونجح في زراعة الحمضيات واهمها البرتقال والذي هو غريب هناك ، دخلنا المدينة وكانت نظيفة ، مبانيها بيضاء ناصعة البياض ولاحظت ضخامـــة المدارس بملاعبها الفسيحة ورأينا الطالبات والطلاب في صفوف طويلة ذاهبين الى منازلهم ، في فترة الغداء يركبون الدراجات وكان منظراً يسر الخاطر . وصلنا وسط المدينة وسألنا عن فندق ونزلنا وكان على درجة طيبة من النظافه والترتيب واغلب بيوت الملايو من طابق واحد فقط ، وبعد ساعة بحث عنا السيد الصديق المواطن يوسف الزواوي ، ولم يعثر علينا واخيراً سأل فندقا ونحن نسير في شوارع المدينة لرؤيتها ، واخيراً التقينا بالسيد الفاضل وكان لقاءً حاراً لقاء الاخ لاخيه لان البعاد طـــال بيننا واصر السيد الجليل على ان نكون ضيوفه وان نخرج من الفنـــدق لان لحكومة « ترنفانو » دارات « فيلّيات » خاصة للضيوف الحكوميين والموظفين بالحكومة وضيوفهم ، وحاسبت الفندق ونزلنا عند رغبة السيد يوسف وذهبنا لداره فوجدناها على جـــانب كبير من اناقة البناء ، والنظافة والذوق ،

والدارات على الشاطىء الذي يحكي قصص معارك طويلة بين الملايو والصين من زمن بعيدجداً ، وكان الشاطىء مهجوراً من السابحات الفاتنات او السابحين المؤدبين، وأخذنا قسطا من الراحة بعد رحلة طويلة تخللهـا جو من الخوف والرعب ، وجـو آخر من جمال الطبيعة الساحر في الملايو ، وتحدثنـا مع السيد يوسف عن الوطن وطمأنته عن صحة شقيقته بالقاهرة واشقائـه الآخرين بالسعودية وعاتبني السيد عن عدم اشعاره برحلتي هـذه ، قلت : ان المفاجآت خير من اللقـاء الموعود ، والسيدالفاضل لا يزال بزيه الازهري ولاحظت ان فوديه شابا من الزمن واضطراب المعايير في القيم هذه الايام ، واقام لنا السيد يوسف حفل عشاء دعي اليه بعض وجهاء القوم هناك من ملايويين وعرب ، ودارت احاديث عن الحجـاز ومصر باعتبار ان بعض الذين حضروا الحفل درسوا بمكة والقاهرة وبعضهم يتقنون العربية التي تلقوها في حصوات حرم مكة وفي جنبات الازهر الشريف بالقاهرة ، وبتنا ليلتنا . وفي اليوم التالي خرجنا صحبة الصديق السيد يوسف الى بعض اقسام المدينـة التي هو مفتي بها يتلقى قضايا سلطنة « ترنفانو » كلها ، واطلعت على نشاط السيد كعادته وزرنا الافتاء والمحكمة ورأيت كيف انهم هنـاك في الملايو متمسكون بالدين الاسلامي ولا زالوا على ودهم للعرب . وفي المساء دعانا السيد الى نزهة بحرية في قارب بخاري ورأينا الشواطىء التي لا تنام على جوانبها اشجار جوز الهند باشكالها المختلفة .

وحدثنا السيد عن حادثة جرت لزوجة مدرس عربي قبـل ايام حيث نزلت لتستحم على الشاطىء ، فهاجمها نمر ضخم ومزق كتفها وجزءاً من ثدييها ، وعندما ذكرت له مـا لاقيت من خطورة ، قال لي السيد : انها لخطورة لان كثيراً من الناس لاقوا حتفهم هناك نتيجة صعوبة الطريق وكثرة الحيوانات المفترسة فيـه ، وانتشار الثعابين السامـة وحدثني السيد عن ثعبان اعترض طريق سيارته ومشت عليه السيارة دون ان يصاب الثعبان بأذى ومضى في طريقه نحو الغابة كأن لم يك شيء عليه ، هذا ثم عرجنا على شاطىء فيه رمل جميل نوعاً ووجدنا بعض السابحات من عـذارى المـلايو يسبحن دون خوف حتى اذا احسسن بوجودنا اختفين

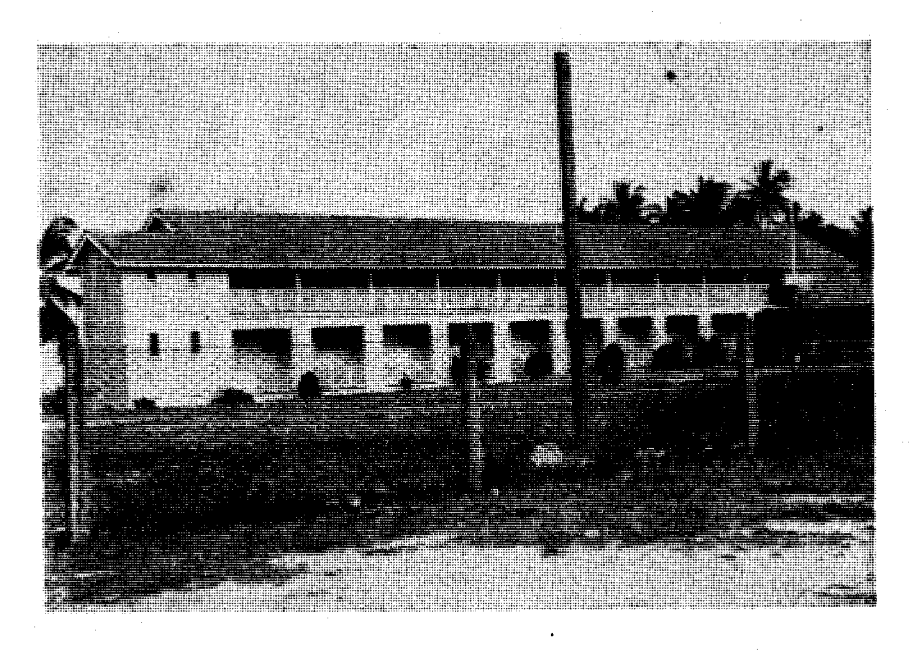
وضحكاتهن ترن رنيناً عذبا ؛ وحالا اخذ صديق معنا لاحداهن صورة بدأ فيها مجّرى العبير خلف نهدها الشاب المتوثب وقلت للسيد ، انها لقطة بالصدفـــة ولا دخل للصنعة فيها ولا بد من الذكرى للزيارة لبلد لنا معه علاقات طيبة ؛ ضحك السيد وقال سامحك الله ايها الصديق ، انها صورة وحسب .

ثم عدنا الى المدينة وزارنا بعض اخواننا العرب هناك ولهم نشاط ثقافي ملحوظ اخص بالذكر منهم السيـــد (الرفيع) شقيق استاذنا (الشيخ عمر رفيع) صاحب كتاب « في ربوع عسير» وللاستاذ عمر رفيع شقيق آخـــر في (بنانغ)يدير مدارس مختلفة وله نشاط ثقافي واسع ولم يسعدني الحظ للسفر الى (بنانغ) لزيارة هـــذا العربي المخلص لاسلاميته وعروبته .

وفي اليوم التالي زارنا مضيفنا العزيز قال سنزور اليوم بعض المدارس في المدينة ورحبت بهذا الذي كنت ابحث عنه ، وزرت المدرسة وملاعبها ومكتبتها وكانت على جانب كبير من العناية بتلاميذهـــا في دراستهم وصحتهم والعابهم وتمتاز بالبناء الصحي الجميل .

ومن اهم الاشياء التي لاحظتها في الملايو هي كثرة المدارس في المدن بين القرى . والواقع الذي لا يجب ان ننكره ان للاستعمار الانجليزي يد في تطوير الملايو اكثر مما هو موجود في «اندونيسيا» نعم ؛ هناك في الملايو مزارع مطاط لشركات انجليزية تستغل مساحات زراعية شاسعة وتستغلها الشركات لتموين مصانعها بالمطاط في انجلترا ، كان الخشب الخام يصدر اولا الى انجلترا وهناك يستحيل الى منتجات خشبية كثيرة تصدرها انجلترا الى العالم في اشكال مختلفة ؛ وهذا هو الاستغلال الاستعماري للدول المستعمرة انما اذا قلنا هذه فلنقل تلك ايضاً احقاقاً للحق . فمثلا (اليمن) دولة مستقلة من زمن بعيد ،

وعدد سكانها يتناقص سنة بعد اخرى . لماذا ؟؟ الهجرة اليمنية مستمرة بشكل مخيف الى مستعمرات انجليزية وفرنسية وغيرهما لماذا ؟؟؟ واليمن كانت دولة تتمتع **بالاكتفاء الذاتي** ، واليمن بلد خصب التربة طيب الاجواء وفير المـــياه ، ولماذا يصبح في وضع غريب جداً ؟؟؟ اسئلة حائرة ؟؟؟ الجواب عليها يعرفـــه جيداً اليوم كل انسان يتجرد من العاطفة المتعصبة خاصة اذا قرأ ما يكتبه رجال اليمن الاحرار اليوم ، رجال اليمن المشردون هنا وهناك وهنالك في فرنسا ايضاً ، حيث وجدتهم في باريس يحرقون الزفرات تلو الزفرات . وبعد مضي اربعة ايام استأذنا

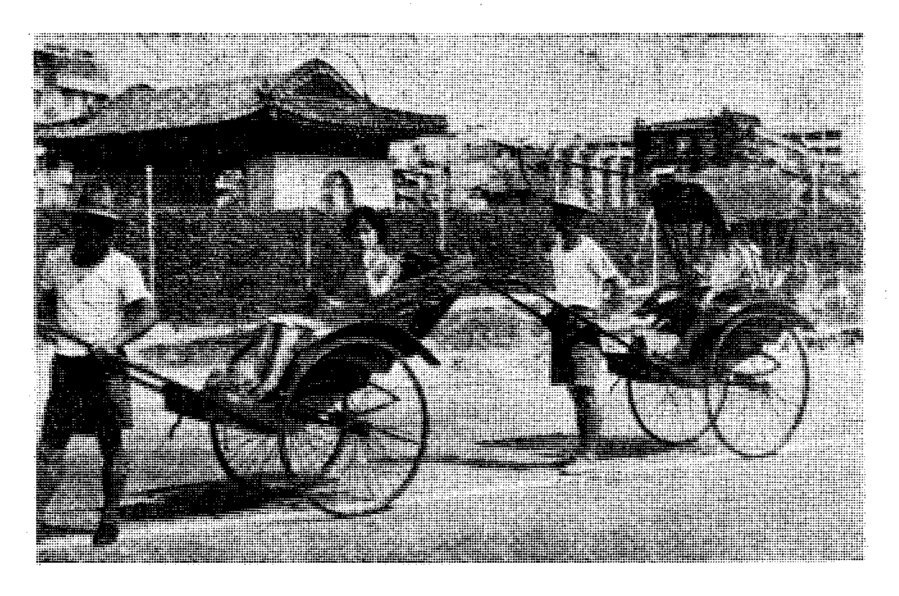


المدرسة

السيد الوطني الكريم للسفر « كوتابارو » ولم يأذن السيد والح علي ان نقضي يوماً آخر في « ترنغانو » لرؤية بعض معالمها واجبت الطلب وفي مساء اليوم الخامس خرجنا بسيارة السيد الى مدرسة البنات اليتيمات المسلمات وهي نواة من عمله هناك ، مع بعض اخوانه العرب والملايويين ، وحضرنا ، مجلس ادارة نادي الانسانيـــة

المعذبة في اشخاص غير قادرين على العمل أبداً ، ثم توجهنا الى دار الاذاعة ثم الى مبنى دار الحكومة وهو يطل على المدينة التي تغيب في اشجار خضراء ومزارع صغيرة نضرة الخضرة ، ومساء دعانا السيد الرفيع الى منزله لسماع اذاعات مكة والقاهرة ، وسمعناها بصعوبة خاصة اذاعة(مكة) اما القاهرة فسمعناها بوضوح ، وكانت تذيع مع الاسف الشديد انباء حركة الانفصال للوحدة مما احزننا جميعاً هناك على بعد آلاف الاميال من الوطن العربي الكبير ،وفي اليوم الأخير استأذنت مضيفنا العزيز فاقترح ان يكون معنا في رحلة الى « كوتابارو » وقمنا معاً بسيارته وتركنا سيارتنا لنستريح من عناء طريق طويل وسير متواصل تقريبـــا ، اخذنا نقطع الطريق وكان السيد يشرح لنا بعض معالم الطريق وحدود سلطنتهم التي يعتز بها كثيراً لوداعتها ، وكان هناك مطر خفيف والطريق كله حدائق ومزارع ممتدة على مد النظر ومن اطرف ما حدث اني لاحظت ان سائق السيارة كان معه زكام ، وقلت له من الافضل ان نبتعد عنه ، ونأخذ سيارة اخرى فضحك السيد يوسف من كل قلبه ضحكة طويلة لا اعرف سببها وسألته ، قال ، ان هذا السائق له حالة غريبة تستحق الدرس ، قلت ما هي ؟؟ قال انه اذا بـدأ يسرع في السير بسيارتنا تتطور حالة انفه الى زكام خفيف ثم الى ثقيل وهكذا حتى تصل الى المكان الذي تقصده وفعلا لاحظت انه كلما اسرع واخذ عداد السرعة يرتفـــع يزداد زكامه طردياً مع السرعة وبشكل ملحوظ وحين نقف لاخذ كوب شاي او تصوير منظر او غيره يخف الزكام تمامـاً يقف حتى اذا امسك بقيادة السيارة وبدأت تسير اخذ انفه في الزكام حالة غريبة حقاً ومضحكة وكانت هذه الحالة هي مادة الضحك والنكتة اكثر الطريق الطويل ويظهر انها حساسة خاصة بهذا السائق العجوز . الطريق هو « ٢٠٠ ك م » الى المدينة التي نقصدها وصلناها مساء وهـي مدينة اهلها اكثر جمالا من بعض مدن الملايو لقربهم من سيام « تايلاند » بلد جمال المرأة في الشرق الاقصى كله ، ويظهر ان التزاوج سهل بينهم وبين السياميين ، قال السيد المضيف هـل لك في زيارة محل تاجر حجازي قلت نعم : وذهبنا الى محل كبـــير يعرض انواع الراديوات والمسجلات والثلاجات وغيرها ، وهو محل

منسق على طراز حديث وقابلنا اصحابه بالترحـــاب لأن علاقتهم بالسيد يوسف متينة وقدمني على انني من السعودية فرحبوا بنا اجمل الترحيب ، وبعد لحظـــات اقبلت فتاتان كأجمل ما تقع عليهما العين ، وكانت احداهما عبارة عن فتنة تخطر مزهوة ، بجمالها الأخاذ وقدماها على انها من العائلة ، والأخرى قصيرة ، أما الجميلة فهي تحتاج الى ملحن مبدع لاحالتها الى اغنية عاطفيـــة وكانت رائعة الجمال وهي خريجة احدى الجامعات بانجلترا وتدير المحل من جانب المراسلات والمعامـــلات ووضع الميزانية آخر العام وهكذا يجتمع العـــلم والجمال وخفر الفاتنات ، ومن ثم



البيشه يجرها الانسان . . .

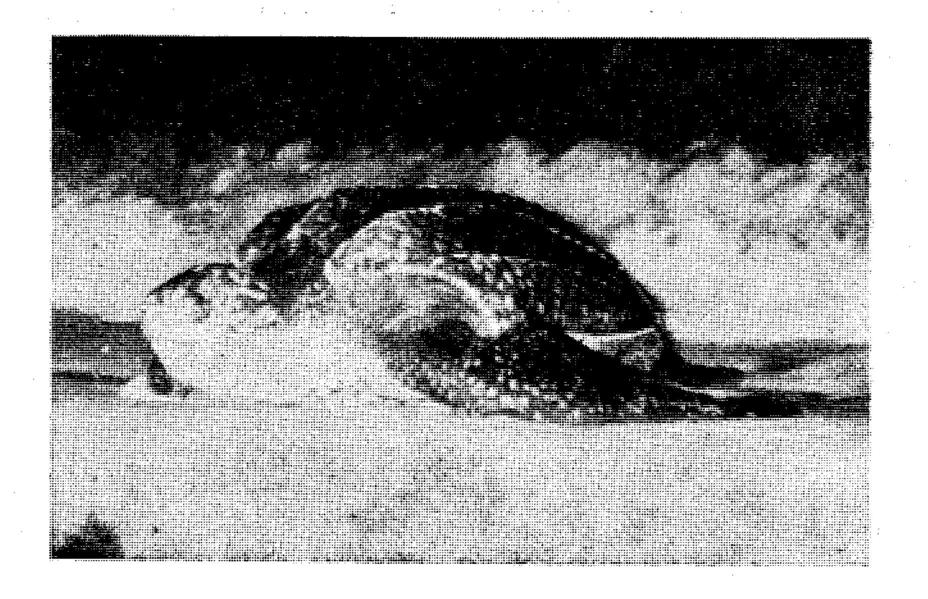
استأذنا السيد مضيفنا وذهبنا الى حيث قريب لي من « آل فدعق » تاجر عصامي في « كوتابارو » ، له محل تجاري كبير ومصنع البسة جيد ، زرناه ورحب بنـــا كثيراً وتحدثنـــا عن تعليم الاولاد ومستقبلهم فقال اريد ان ارسل قسماً منهم يتعلمون في السعودية وقسماً الى عدن ، وتطور الحديث الى جزء من تاريخ وكفاح هذا الرجل في هذا البلد البعيد ، وجاء ذكر « سيام » فنصحني هذا القريب ألا ازور « سيام » لانها حسب رأيه تطورت الى بلد سياحي وفيه الملاهي الكثيرة :

ولا يدري اني بهذه النصيحة صممت على زيارتها وتعديل برنامج الرحلة ، وخرجنا من عند السيد بعد ان ودعنا شاكراً زيارتنا ، وبتنا ليلتنا في احدى دور الضيافة الحكومية بالاجرة ، وهذه سنة حميدة لحكومات الملايو ، كون الحكومة المحلية لها دور ضيافة لضيف الحكومـــة والاجنبي السائح المتجول ، وبقيت مع السيد يوسف نتحدث طويلا ومما حدثني به من الغرائب الظاهرة الغريبة في «كوالاترنفانو» حيث يسكن السيد ، ان هناك على الشاطىء الذهبي توجد ظـــاهرة اخراج بيض السلحفاة البحرية وان هذا البيض مفيد صحياً ، وانه كذا وكذا مما يشجع الذين تقدمت بهم السن أكله والتهامه بكثرة !!! قلت للسيد اذن لا بد من رؤية هـــذه الظاهرة الغريبة قال : عند العودة لا بد من المبيت ليلة ثم السفر صباحاً ، قلت وهو كذلك ، وبتنا ليلتنا وصباحاً طفنا البلدة وهي حديثة التخطيط فيها حدائق عامة وكثيرة جداً ، تزينها الزهور والحشائش التي اصبحت ملعباً امينا للاطفال ، ومن ثم عـــدنا الى « كوالاترنفانو » وعلى القيادة نفس السائق صاحب الحـــالة الشاذة العجيبة ، بدأت السيارة تسرع وبدأ انفه يزكم وكانت الحالة هذه هي اكثر مـــا يضحكنا لاننـــا نعرف من زكامه مدى سرعة السيارة تقريباً ، وصلنا ظهراً الى المدينة واعد السيد رحلة الى الشاطىء الذهبي حيث نرى ظاهرة السلحفاة العجيبة جداً ، والتي تهتم بها الحكومة المحلية اهتماما كبيراً ، وقد تفضل السيد فاخذنا الى حيث يباع بيض هذه السلحفاة فرأيناه احجاما عجيبة من كبيرة الى متوسطة الى صغيرة وقشرة هذا البيض خفيفة لكنها تحتمل اللمس وغيره فهي اشبه ما تكون «بالنايلون» ويباع البيض باغلى من بيض الدجاج العادي لان له طعما لطيفا حموضته خفيفـــة يختلف عن طعم البيض العادي ، وقد ذقته فعلا ، وفي المساء توجهنا معا بسيارتنا الى حيث الشاطىء وكان حديثنا عن هذه السلحفاة البحرية التي لها زعانف كبيرة بدل اليدين اللتين للسلحفاة التي نراها تسير على الارض والماء احيانا «برمائية» وهذه السلحفاة من الضخامة بمكان بعيد جداً ، وهي ترتاد شاطىء «الملايو» وخاصة في «ترنفانو» وبالاخص شاطىء ضاحية « كوالاترنفانو » وفي الطريق لاحظت ان صورتها المضاءة بالفوسفور ترشدك الى الشاطىء وبعد نصف ساعة وصلنا الى حيث الشاطىء الذهبي ، ونزلنا فلاحظت

ان هناك عششاً تشبه الى حد كبير جداً عشش « رأس البر بمصر » وان كانت كلها من الخشب الخالص لتوفره رخيصاً هناك ، نزلنا الى الشاطىء الذهبي فعلا وكانت حبات الرمل فيه اشبه ما تكون حقاً بتراب الذهب ... والموج الصاخب نوعـاً يعبث بهذه الحبات الذهبية ، ولاحظت ان هناك اعلاماً على سواري عالية وسألت عنها ، قال السيد يوسف انها اعلام مستأجري المساحات حيث تؤجر الحكومة مساحات معينة محددة ، لبعض تجار بيض السلحفاة وتؤجرها بمبالغ كبيرة ، وهم يربحون تبعاً للحظ ، فالحظ يلعب دوراً كبيراً جداً ، والسلحفاة هذه كبـيرة بدرجة عجيبة حيث تقاس ضخامتها بما تستطيع حمله من اشخاص على ظهرها فهي تستطيع حمل اربعة رجال كبار ، وهي لا تشعر بهم ولا تهتم بوجودهم ، والسلحفاة هذه تأتي الى الشاطىء الذهبي في مواسم معينة وغالباً في اشهر الصيف وان كانت تأتي في الشتاء ونادر هذا جداً ، وهي تأتي الى الشاطىءلتضع البيض ثم تذهب حالاً الى البحر ، وتغوص في اعماقه مستسلمة لتياره ينقلها كما علمت من اكثر من مصدر الى شواطىء « استراليا » ، فتهلك هنا الزرع أكلا وهم يقاومونها بعنف ولكنها مـع ذلك مستمرة في عبثها تأكل هناك حتى اذا شبعت واحست بوجود البيض عندها ، قفلت راجعة الى الشاطىء الذهبي لتلقي بيضها البالغ عـدده المائة عداً،وهي آمنة مطمئنة الى سلامة نفسها . اما طريقة عودتهـا الى الشاطىء الذهبي فهي حـين تصل الشاطىء تحدث ضجة مع الموج الذي يداعب الشاطىء أبد الدهر ، ثم تتجه مسافة ثلاثين متراً حتى تجد المكان الملائم للحفر ، وعندها معرفة طبيعية بالمكان الذي تأمن وضع بيضها فيه ، وعندما تصل اليه تقوم بعمل حفرة بيديها وتستمر في الحفر الى عمق « ٥٠ سم » حتى تطمئن الى انهـا عمقت الحفرة ، وهي على شكل بيضوي ثم تصلح الحفرة بيديها « الزعنفة » حتى لا ينهال الرمل على البيض وتستدير لتصلح نفسها ، وتبدأ باظهار صوت مضغوط قليلا ، وتدمع عيناهـا ويبدأ البيض في الخروج واحدة تلو الاخرى مع صوت مضغوط ايضاً وهكذا حتى يصل الحجم الى الصغر المتناهي ، وتستدير مرة اخرى وتأخذ الرمل وتدفن الحفرة دفنا محكما ثم تسوي الارض تسوية منتظمة للتعمية بأن لا

حفرة هنا ، ولكن الانسان يراقب ذلك جيـداً خاصة المستأجر للارض الرملية وحالا يضع على سطح الحفرة علما صغيراً حتى لا يضيع مكانها ، اما هي فتعود حالا وسريعا الى البحر متجهــة الى شاطىء « استراليا » وتساءلت لماذا شاطىء استراليا ؟ مـــع ان شاطىء استراليا بعيد واقرب شاطىء آخر لها هو شاطىء بحر الصـــين او شواطىء كمبوديا او بورنيو او الفلبين ولكن الذين اخـــبروني هناك يؤكدون انها شواطىء « استراليا » بدليل شكوى استراليا منها شكوى مريرة .
وقد اهتمت حكومة « الملايو » بهذه الظاهرة العجيبة الغريبة التي تغذي الخزينة سنوياً بمئـــات الالوف من الدولارات الملايوية ، فنظمت تجارة هذه الظـــاهرة ، واستقدمت خبراء في الاحياء المائيـــة ورأوا ان تحتفظ الحكومة بنحو مائة الف بيضة سنوياً للتفريخ ، ثم اطلاق الذي يخرج حيـــاً الى الشاطىء ، وقد رووا انهم يخسرون ٤٠ ٪ نتيجة صراع حيوان بحري ويعود منها ٦٠ ٪ منه مرة اخرى الى الشاطىء الذهبي ، وفي هذا ايضاً ربح وفير ، وقد بت ليلتي مع الاخوان حتى الساعة الثانية وعشر دقـــائق فسمعنا ضجة افزعتني حقا لان الليل معتم والبحر يصطخب واخبار الحيوانات جديدة على سمعي وعلمت ان النمر يصل الى الشاطىء احياناً ، ولا يخشى البحر ثم رأينا السلحفاة تخرج من البحر وتحدث موجـاً عالياً وحين اتجهت الينا كانت تشبه الحيوان « سيد قشطه » تماما . ابتعدت خوفاً ولكن السيد يوسف ضحك وذهب اليها وصعد على ظهرها بعصاه الجميلة وسارت هي كأن السيد لم يكن « مع انه كائن » ثم تقدمت نحوها وحاولت الصعود عليهـــا ولكن ظهرهـــا كان لزجاً فوضعت بعض الرمل ليتماسك ، وصعـــدت وعجبت لهذا الحيوان العجيب الذي يقطـع هذه المسافـات البحريـــة الشاسعة يضع بيضه ويعود ثانية دون اقامـــة ولو بسيطة ، واتجهت الى المسافة التي ذكرتهـــا وقامت بكل العمل الذي ذكرته لك قبـــلا « يا سيدي القارىء » ثم عـــادت ادراجها حالا دون ملاحظة او حتى استراحة قصيرة ، وهذه الظاهرة يأتي لمشاهدتها سفراء الدول الاجنبية في (كوالالمبور) ويرحل اليها كثير من السواح الاجانب لرؤيتها فقط ، ثم طلع الفجر وصلينا الصبح معاً ثم ظهرت تباشير النهار وسمعنا

بوقاً ينادي فقلت ما هذا ؟؟؟ قال السائق الملايوي : انهم صيادو السمك ينادون في بوق هو قرن ثور ، وفعلا كان كذلك وتجمعوا ونصبوا شباكهم وتعاونوا نساء ورجالا وكانت طريقة صيدهم بدائية جداً ، تدل على الكسل والخمول مما أسفت له وهم في حالة فقر مدقع ،ثم ودعت الشاطىء الذهبي وتكرم السيد يوسف (اعزه الله) ورافقنا حتى مسافة (خمسين ك م) وهناك ودعناه شاكرين مقدرين وترقرقت عينا السيد الجليل بدمعة صادقة ، وغاب بين الشجر والزهور ، واخذنا طريقنا ، الى « كوالالمبور » عاصمة اتحاد الملايو وفيها تقيم الحكومة المركزية للولايات التسع



السلحفـــاة

او السلطنات على الاصح .

وتتولى الحكومـــة المركزية وزارات الخارجية والدفاع والتعلـــيم ونائب رئيس السلاطين هو سلطان « ترنغانو » ، وفي « كوالالمبور » الاذاعـــة الرسمية للدولة ولم يكن للملكة السعودية مع الملايو تمثيل دبلوماسي الا اخيراً جداً لان الملايو الدولة المسلمة تعترف « باسرائيل » ، وفي عاصمتها سفارة لاسرائيل ويعزى

هذا الى ان اسرائيل كانت اكثر استغلالا للفرص من جامعة الدول العربية التي لم تتابع الاحداث السياسية العالمية ، حيث كانت اسرائيل في مقدمة الدول التي اعترفت باستقلال الملايو وبقيت الدول العربية تنتظر ولا ادري ماذا كانت تنتظر ؟ وكان عليها ان تستغل الفرص للترحيب سريعاً بميلاد دولة جديدة في آسيا ، وهـذا ما نهجت عليه اخيراً حكومة الجمهورية العربية المتحدة من التشجيع السريع للدول التي تستقل في أي بقعة من الارض . وقد افتتحت حكومة جـلالة الملك سعود المعظم سفارة الآن في الملايو وسفيرنا بها هو الاستاذ الفاضل محمد المنصور الرميح وهو شخصية عربية فاضلة وقد علمت مع الفرحة ان سفارة اسرائيل طلب اليها ان تقفل وترحل . واعتقد انـه يجب الاهتمام بدول الشرق الاقصى ، وقد بدأت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تتجه هذا النحو فعقدت عدة اتفاقات اقتصادية وثقافية مع الملايو وعلاقاتها باندونيسيا حسنة للغاية حيث التعاون وثيق جـداً ، ونرجو ان تتوسط الجمهورية العربية المتحدة في قضايا العرب الاندونيسيين الذين بقوا في اندونيسيا والذين هاجروا منها ، والعرب الذين لهم املاك بها ، وهم ليسوا بأندونيسيين جنسية . اخذنا طريقنا نحو العاصمة وسلكنا طريقاً آخر لرأي اكبر عدد ممكن من المدن والقرى الملايوية لنستمع اكثر فأكثر لان الطبيعة المعطاة هناك مغرية جداً على ان تقضي اطول وقت ممكن في الحديث معها ، والتمتع بوجهها الباسم المشرق حقاً .وتركنا سلطة (ترنغانو) ودخلنا سلطة (بيلهانج) حتى وصلنا (كوانتان) مرة اخرى ومررنا بنفس الطريق الخطر الذي لا تنسى ذكرياته ،ثم واصلنا السير بجد وبسرعة حتى وصلنا مشارف ـ سلطة« سلتكور »حيث العاصمة ومشارف هذه السلطنة عبارة عن مزارع أرز خضراء وبعض اشجار المطاط ، ثم صعدت السيارة جبلا شاهقاً وكان الطريق الى القمة جميلا ومعبداً تكسوه الاشجار الباسقة العالية جداً على الجانبين ، والجبل يرتفع نحو « الف ومائتي » متر عن سطح البحر تقريباً ، حتى وصلنا القمة وبدأ الجو يبرد كثيراً ومن ثم بدأنا في النزول وكان الطريق مليئاً بالسيارات الصاعدة والنازلة ، وهو طريق جميل كما قلت لاتزال تعمل فيه يد الاصـلاح والصيانة والتوسع وكنت ترى الاشجار الخشبية العالية

الضخمة ، وهي تصعد في كبد السماء ويصل قطر بعضها الى مترين تقريبـاً وهي مسبكرة لا عوج فيها ، كأنما صبت في قالب محكم ، وهـذا الشجر هو الذي يستورده العالم كله ويكون جزءاً كما قلت - من ايرادات الخزانة هناك في الملايو وبعد مسيرة طويلة وصلنا العاصمة « كوالالمبو » ومدخلها جميل للغاية كأنك تدخل حديقة زين مدخلها مبانيها ذات الذوق السليم ، المدينـة نظيفة منسقة شوارعها عريضة ومبانيها ضخمة نظيفة ، ودور الحكومة تدل على الاحترام والتقدير، وهي



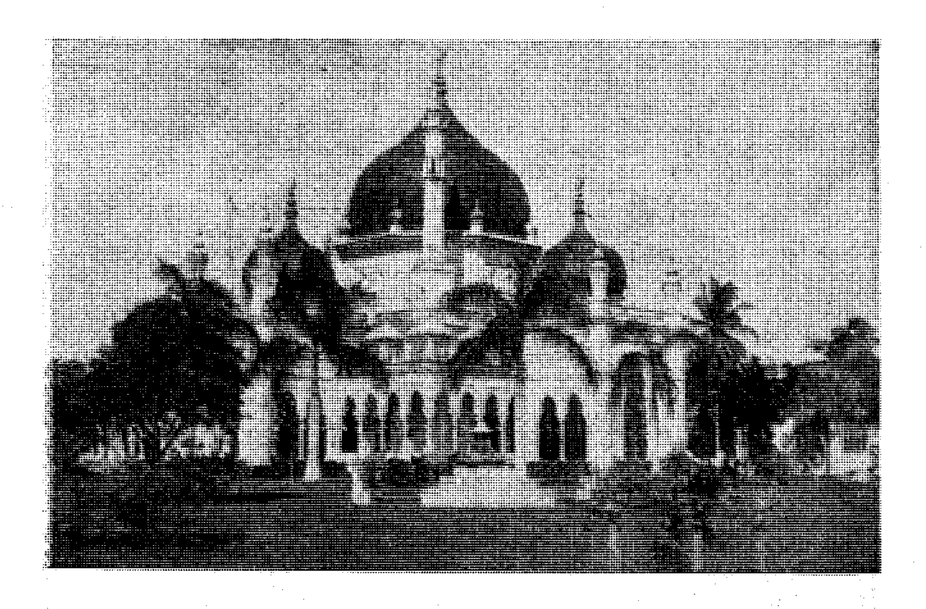
دار الحكومة في الملايو

لا شك ما تركه الاستعمار الانكليزي واضافت اليـه حكومة الملايو جزءاً من التحسين ايضاً . مظاهر الحياة العامة افضل فيها من « اندونيسيا » نظـام الحكم فيه اتحاد « فدرالي » ثم حكومات محلية لها وزراء وبرلمان ومجلس شورى وسلطان يحكم وسلطان السلاطين في العاصمة ، ونائبه في « ترنفانو » وفي الملايو احزاب واهم حزب هو حزب « أمنو » وهو يدعو الى اتحاد كافة العناصر المكونة للملايو من ملايويين وصينيين وعرب وهنود وغيرهم ، وهو الحزب الحاكم ورئيسه هو « تنكو عبد الرحمن »رئيس الوزراء الآن واما في « ترنفانو» ففيها الحزب الاسلامي الذي

يصارع حزب « أمنو » . والعملة « الملايوية » ذات قيمة شرائية قوية وهي متينة ، والحياة الاقتصادية حسنة تماماً ، لأن رؤوس الاموال الاجنبية تتدفق على الملايو للاستثمار ، فقد سألت احد المختصين بالمسائل الاقتصادية وقال ان الرقم وصل الى ٣٠٠ مليون دولار امريكي ، لشركات متعددة بقصد الاستثمار ولا تزال الحالة الاقتصادية تتحسن يوماً فيوما هذا اذا قيس بنسبة السكان لانهم لا يزيدون عن ستة ملايين ، في الوقت الذي يزيد سكان اندونيسيا عن تسعين مليون انسان . ذهبنا للبحث عن فندق فلم نوفق لفندق من الدرجة الاولى لانها مشغولة بالسياح الذين جاءوا ليصطادوا في غابات الملايو او ليقضوا اياماً طيبة هناك بين مناظر الخضرة والماء ، واخيراً عثرنا على فندق من الدرجة الثانية وهو لا بأس به صاحبه صيني ، ورحب الرجل بنا ومن ثم اخذنا نتجول في العاصمة ، وهي في الواقع بلدة تتمتع بمظاهر الحضارة والتنظيم والتخطيط وفيها الحدائق العامة والملاعب الشعبية الكبيرة .

كان من حسن حظنا انه تجري مباراة في كرة السلة بين فريقي مدرستي بنات الثانوية وكنا من المتفرجين ورأينا بعض فتيات انكليزيات وهن (بالشورت) فسألت احد المواطنين قال انهن يدرسن في المدارس الوطنية ولكنه أفاد بأن بعضهن ملايويات ؛ الوالد من الملايو والأم انكليزية ، وجاء هذا الزواج بفتاة آية في الحسن والابداع بين الشرق والغرب . ويزيد جمال (كوالا لمبور) ان قسماً من المباني صمم على طراز عربي اسلامي ، فنجد بعض الدور الحكومية الجديدة على طراز عربي البناء اما المساجد فهي كثيرة في الملايو ولها شأن عندهم وكل مسجد تحوطه حديقة غناء تضفي على جلاله جمالاً من الطبيعة تذكر الانسان بابداع الاله في خلق الطبيعة ايضاً . وهم يعنون بتعليم القرآن الكريم وحفظه وتجويده ، حتى في الاذاعة ، وفازت الملايو في المسابقة التي جرت بين بعض البلاد الاسلامية في حفظ القرآن الكريم . وفي المساء ذهبنا لقضاء سهرة لطيفة في احدى المحلات العامة ، وكان الفنانون الصينيون مبدعين للفن الملايو الصيني ، وقضينا ليلة جميلة وعدنا الى الفندق ، لنسير مع خيوط الفجر لان الطريق طويل . وصباحا اخذنا طريقنا

نحو سلطنة (ملقا) . و (ملقا)هذه يقال ان اصل اسمها عربي (ملاقاة) حيث كان يلتقي العرب المسلمون القادمون من اندونيسيا او الهابطون من الشمال الى الجنوب في الملايو او العكس ، وهي فعلاً ملتقى المسافرين ، ومدينة (ملقا) نفسها مخططة تخطيطاً بديعاً جدا ؛ ويظهر انها المدينة الجديدة ، وجوها حار وتحوطها بساتين كثيرة من الفاكهة وبعض حقول الارز الذي يزرع بكثرة كبيرة في سلطنة (ملقا) وليس بملقا مظاهر للمدينة سوى ان « ملقا » وهي عاصمة السلطنة مدينة حديثة التخطيط .



مسجد السلطان في الملايو

وواصلنا السير الى سلطنة « جوهور » وجوهور العاصمة مدينة جميلة جوها رائع الاديم ، طيب النسمات وهي كثيرة الاشجار والخمائل وبها كثير من مزارع المطاط وجوز الهند ، ثم وصلنا الى الجمرك الذي يفصل اتحاد « الملايو » عن سنغافورة وعبرنا الجسر الاصطناعى الثابت الى « سنغافورة » ووصلنا مساء ، وسنغافورة ترى من جوهور لوحة فنية رائعة كفاتنة تسبح بين امواج البحر وحولها حراس اشداء هي قطع الاسطول البريطاني المرابط حولها . وعدنا اليها بعد جولة طويلة

ولكنها ممتعة للغاية ، وهنا في« سنغافورة » استقبلنا الاخوان العرب من آل باجنبية والكاف والسقاف بترحاب كريم ودعانا السيد حسين الكاف الى حفل عائلي بمنزله وقبل ان نذهب المنزل سألته عن الاخبار العالمية وخاصة ما يتصل باخبار الحركة الانفصالية في « دمشق » قال السيد : ان القنصل العام للجمهورية العربية المتحدة صديقه ويدعى السيد « سميح » ، فهل لك في زيارة له قلت يسعدني ذلك ؛ وذهبنا معاً الى حيث يقيم القنصل وهو يسكن في اطراف « سنغافورة » في « فيلا » أنيقة تحيط بها حديقة غناء واسعة جداً حتى ان السيارة تدخلها الى باب الفيـــلا ، واستقبلنا شاب لطيف مثقف وتحدثنا طويـــلا عن الاوضاع السياسية في الشرق



قوافل عربات النقل تجرها الثيران في (ملقا)

العربي وقد افادنا السيد سميح بأن الانفصال تم تقريباً وابدى اسفه كعربي قومي ، والاخبار حين تذاع من القاهرة الساعة الثامنة والنصف مساء تكون الساعـــة في سنغافورة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل ، وسهرنا تلك الليلة حتى استمعنا الى نشرة اخبار القاهرة وقبلها سمعنا اذاعة باللغة الاندونيسية تذيعها القاهرة ايضـــاً وفي صباح اليوم التالي ذهبت للاستفسار عن طائرة تتجـــه الى « هونج كونج »

وحجزت للسفر اليها على طائرة نفاثة بريطانية ، وامضيت اليـوم الاخير في « سنغافورة » في الاستمتاع بمناظرها الطبيعية والصناعية وشراء بعض الهدايا وهي رخيصة جدا فوق انها قيمة ايضـا ونادرة ؛ وفي المساء ذهبت لرؤية حفلة بعض المشعوذين الهنود ، حيث يقيمون حفلاً للشعوذة والسحر العجيبين وقد رأينـا رجلا يمشي على النار وآخر يأكل القزاز وآخر يدخـل المسمار في أسفل شفته السفلى دون ان يتألم او يبدو حراكا او حتى نأمة ، ورأينا رجـلا يغرسوا في ظهره ما يشبه سنارة السمك كما ترى – يا عزيزي القارىء في هذه الصورة .



مشعوذ هندي

ثم ذهبت الى بعـض المطاعم « السنغافورية » صحبة السيد حسين الكاف والباجنيةوالسقاف ،فرأينا مطـاعم في شارع فرعي تقدم اطعمـة اندونيسية وهندية والواناً عجيبة من الطعام الشعبي ، ورأيت بعض السواح الالمان والامريكان يجلسون على مساطب خشبية عـادية جداً ، ويأكلون بشراهة وضحك وكان الاكل فعلا شهياً وهو على مصابيـح كبريتية تعطي ضوءاًابيض قوياً « وسنغافورة » تسهر حتى الساعة الرابعةصباحاً لأنها ميناء يدعو الى السهر

والمتعة ولأنها مجموعـــة من الناس متفاهمين على الحياة ولأن البواخر تفد اليها كل ساعة تقريباً فيهبط الملاحون والضباط والركاب للاستمتاع بمبـــاهج هذه المدينة العجيبة التي تحولت الى جزيرة صغيرة. ولصيد السمك بها نحو من مائتي صائد سمك فقير جداً الى ميناء عالمي يعج بالثراء ويعج بالبشر من كل لون وكل فج غريب .

ومن الطف ما في سنغافورة مساحة كبيرة بها عدة ملاهي وملاعب ورأيت احد الملاهي وفيـه يذكر رقصة « الزفين » التي ترقص هنا وهي رقصة حضرمية مائة في المائة ويسمونها الزفين « ايضاً » ، الا انهم يقولون « الزبين » .



الى هونج كونج

هذا الميناء الصيني جغرافياً البريطاني استعماراً وحكماً ، هذا الميناء كثيراً ما قرأت عنه وسمعت عنه احاديث شيقة، لذا قررت ان ازور ،«هونج كونج» والاسم هذا يذكرني بنكتة لطيفة حدثت مع الاستاذ الاخ « عبد الله المنيعي » حين كنا زملاء في الاذاعة السعودية « بجدة » ولنا زميل يقرأ نشرة الاخبار احياناً وجاء خبر من « هونج كونج » فقرأها « هونج كونج » بفتح الكاف والواو وسكون النون ونطق الجيم عربية كما هي ، وكانت نكتة اليوم حينذاك ولم نستطع ان نكتم ضحكنا « المنيعي وانا » وبالرغم من اننا كنا بقرب « الاستديو » ولاحظ صاحبنا ذلك وكان مؤدباً ولا زالت ذكراها تتردد مع الصديق المنيعي اياماً طويلة عندما نلتقي ونتذكر ايام زمان .

توجهت مع السادة الاخوان العرب الذين تفضلوا وغمروني بلطفهم وودعوني الى المطار وصعدت الطائرة وانا اودع « سنغافورة » وفي نفسي بعض حسرة لانها اراحت اعصابي من التقشف الكبير في الهنـــد وكذا في « اندونيسيا » واخذت الطائرة طريقها نحو هونج كونج مارة « بكوالالمبور » العاصمة ، وصلنا بعد ساعة وعشر دقائق ، ثم اقلعت مرة اخرى في رحلة طويلة جداً ، خمس ساعات طيران متواصل الى الميناء الذي تشتاق لرؤيتـــه العين والنفس . وفي المساء وصلنا ، وكان فرق التوقيت آخر النهـــار ساعتـــين اي وصلنا حسب توقيت

« هونج كونج »الساعة الخامسة مساء« وهونج كونج »تقع بين مجموعة جزر سوداء متناثرة هنا وهناك صغيرة ومتوسطة ، وكنت الاحظ ذلك من نافذة الطائرة التي اخذت تهبط رويداً رويدا وكنت ارى في بعض رؤوس جبال « هونج كونج » خزانات ماء ضخمة وهذه الخزانات هي التي تمون المدينة الجميلة بماء المطر حيث الماء شحيح ولا يوجد نهر أو عين لسقي المدينة سوى هذه الخزانات عندما تجود الطبيعة بالمطر في فصوله ، وهو لا ينقطع عن موسمه والا لهلكت المدينة تقريباً ، بالرغم من ان الحكومة البريطانية اقصد الادارة البريطانية هناك تفكر جديا في تأمين ايصال الماء الى « هونج كونج » من اي جهة كانت . واما تقطير ماء البحر فهو مشروع قائم كما فهمت من احد المواطنين المسؤولين هناك . اخيرا بدأت الطائرة تهبط ولكن بين رؤوس جبال شاهقة وأخذت تدخل بين القمم كنسر ينقض على فريسة هاربة ؛ واخيراً حطت الطائرة في المطار ، والمطار جميل منسق جداً وهو عالمي من الدرجة الاولى ، على جانبه بحيرات هادئة ، ويظهر انها صناعية من عمل الانسان الحضاري في القرن العشرين ، نزلنا ساحة المطار حتى اقلتنا سيارات خاصة بالمطار على شكل قطار لطيف ، ودخلنا الى حيث موظفي الشرطة وكان الموظفان احدهما صيني « هونكونجي » والآخر بريطاني ومن سوء الحظ ان دوري كان لدى الوطني الذي اساء فهم ما تعنيه تأشيرة الدخول الى « هونج كونج » « و سنغافورة » من عدم التحديد للبلدين ؛ فطلب الي مراجعة المدير العام للجوازات وبقيت انتظر حتى جاء موظف واخذني الى مكتب المدير فلم نجده ، وبقيت انتظر ، وقلت للموظف الوطني ان هذا ليس من شأني وحدد لي الاقامة اسبوعا فقط ، اجاب ان العلاقات السياسية معكم مقطوعة ؛ ومع ذلك سأعطيك الاسبوع ، قلت اذا كان ذلك مكرمة فلا اريد ان ابقى لحظة في جزيرتكم المستعمرة ، فغضب واحمر وجهه المفلطح واخيراً وصل المدير البريطاني ، وتحدثت معه بلطف وكان هو الطف من حديثي له ، وحالاً امر الموظف المختص باعطائي ما اريد من اقامة ، لان التأشيرة تحمل ثلاثة شهور غير محددة لكل من البلدين ، فقلت اسبوعاً قال وهو كذلك ، وخرجت شاكراً للانسان المهذب الذي يعرف

كيف يتصرف ، وذهبت الى الجمرك وهناك سألني الموظف المختص سؤالاً واحداً فقط ،هل لديك افيون او سلاح؟؟ قلت لا ، وضحكت قال ما يضحكك ؟قلت ان الاثنين لا افكر في حملها ولم ار الافيون قط ، وشكرته حين قال تفضل ولا حاجة لفتح الحقيبة مطلقاً .خرجت الى الساحة وما الطف ما رأيت كأني والله في مشارف « مكة المكرمة » ، مع الفارق طبعاً ، جبال صماء عالية لكنها مكسوة بحشائش خضراء خفيفة ، وبعض خمائل على السفح وبعضها جرداء كجبال « مكة » تماماً وهي تحيط بالمطار احاطة تامة ، وتقدم الي شاب لطيف يسألني ان كنت انا السيد علي ، قلت نعم : قال تفضل فالسيارة جاهزة الى الفندق ، قلت وكيف عرفتني وعرفت اسمي : قال انها المهنة ، مهنة مقابلة السواح ، قلت في نفسي انه الخلق وانها المعاملة ثم انت قد أبرقت الينا من «سنغافورة»، واخذت السيارة ومضت بي نحو المدينة وكلي شوق لها ، وكنت الاحظ جمال العمران في هذا الميناء العجيب حقاً عمارات شاهقة انيقة كأنها قصائد تحتاج الى تلحين فقط ، ووصلنا الفندق واذا هو من افخم فنادق الشرق الاقصى،وذكرني بفندق « هيلتون » بالقاهرة وصعدت الى الغرفة ، ثم عدت ثانية لرؤية ما حولي اولا من مفاتن صناعية وطبيعية،ونسيت اني قرأت في الصحف خارج « هونج كونج » وجود وباء الكوليرا بها وانا لم آخذ حقنة من « الكوليرا » ، وبعد ان تفقدت ما حول الفندق من حوانيت تعج بالهدايا الثمينة الجميلة جداً ، والمغرية جداً ذات السعر المعقول ايضاً ، ثم تذكرت فجأة ذلك أي « الكوليرا » وان الورقة الصفراء تقول غير الواقع مع الاسف الشديد ، عدت حالا الى « الفندق » وفي رأسي اكثر من فكرة مزعجة حقاً ، ذلك لاني شهدت ما صنعته الكوليرا « بمصر » وكيف كانت ضحاياها لا تجد فرصة لكلمة تقولها ، بقيت في الغرفة افكر وافكر طويلا واستمعت لموسيقى حالمة من الفندق ثم استمعت لنشرة اخبار باللغة الانجليزية فلم الحظ شيئاً حول اعلان او بيان عن اصابات او اوالخ ما كنت ارجوه ، على أي حال . ونمت وانا في الواقع بين الخوف من « الكوليرا » وحلاوة التمتع بايام وليال في « هونج كونج » التي قرأت وسمعت عنها الكثير ، وفي الصباح كانت موسيقى هادئة تنساب يرسلها الفندق

لنزلائه كتحية طيبة مع الصباح ، ومع الصباح ايضاً تجد تحت عقب الباب اكثر من صحيفة واحدة ومجلة ، ترسل لك مجاناً من محال بيع الهدايا النفيسة كاعلان عنها مع تمنيات طيبة ، وقرأت بعض الأخبار واذا انا بمفاجأة سارة جداً ، تلك هي نبأ اعلان نظافة «هونج كونج» تماماً من « الكوليرا » وان الاخبار عن اصابات جديدة لم ترد خلال اسبوع ، ولذا فان ادارة الصحة تعلن نظافة المدينة نهائياً ، وقلت انـــه حظ سعيد جداً ونزلت فرحاً الى المدينة بعد ان اتصلت بصديق من اصل فارسي يقطن « هونج كونـــج » وهو تاجر محترم فيهـــا وتواعدنا على اللقاء مساء ، وصلت الى الشارع لارى معالم المدينة ، واخذت من ادارة الفندق خارطة المدينة واذا انا اجد نفسي في النصف الثاني من « هونج كونج » وهي محلة اسمها « كولون » وسألت عن ذلك فقيل لي انها ضاحية او الوجه الجديد لهونـــج كونج ويفصل بينهما خليج عرضه نحو من كيلومتر واحد ، ومع ذلك « كولون » هي الآن محل اهتمام السلطة المستعمرة حيث الفنـــادق الفخمة جداً ، وحيث الشوارع الواسعة والحدائق العامة ، والبنايات الشامخة الجميلة ،« وكولون » تتوسع يوماً بعد آخر حيث يد العمران تعمل في كل ركن فيها ، وقد لاحظت اثناء سيري في الشارع النظافة التامة ، والعمران المنسق ، والحوانيت التي تزخر بالثمين من السلع وما خف حمله وغلا ثمنه ، والصينيون هم اصحاب الحوانيت هـذه ، وهم اصحاب خبرة في البيع ولا يتألم من كثرة مساوماتك لان المساومات في « هونج كونج » ضرورية جداً ، لان السعر للسلعة الواحدة يتقلب حسب مهارتك في المساومة واذكر اني اشتريت سلعة بثمن بعد مساومة وفي اليوم التالي اشتريتها من نفس المحـل بثمن يقل نحـو ٢٠ ٪ وهكذا ... والصينيون مهذبون وهـم من (هونج كونج) انظـف والطف واجمل منهم في سنغافورة كمـا قلت سابقاً حيث هم في (هونج كونج) بلدهم وموطنهم الاصلي فترى الفتيات الصينيات كما تراهن في بعض الصور التي تعرضها شركات الطيران في التقاويم التي توزعها للدعاية. والتقويم هو (النتيجة) والصينية في (هونج كونج) طولها مناسب ، بشرتها ناعمة كالحرير لمساً ، بيضاء كالبلور منظراً ، على جانب من الثقافة وصحتها جيدة جداً ،

وتلبس فستاناً مفتوحاً من طرفيه فتحة تظهر مفاتن الساق العاجية مع الركبة التي لا عوج فيها ، ثم تصعد الفتحة الى جزء من الفخذ وهذا من اصول التفصيل الحديث لفستان صاحبة الاناقة ، ويتمثل جمال الصينية مساء حيث تتجلى الفتنة والانوثة وينطبق عليها قول الشاعر صاحب اليتيمة :

والوجه مثل الصبح مبيض — والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسناً — والشيء يظهر حسنه الضد
وبصدرها حقان خلتهما — رمانتين علاهما نـد
ما عابها طول ولا قصر — في قدها فقوامها قصد

والفتاة الصينية ليست بالقصيرة كما هو الحال في اليابانيات مثلاً بل هي (ربعة) القوام ولا تجد فيهن مطلقاً اشجار الجميز بل رشاقة واناقة وخفة تجللها ابتسامات عذاب ، وقد اقيمت حفلة ليلية بالقرب من الفندق الكبير (الأمباسادور) وحضرت هذه الحفلة مع صديق صيني وزوجته وهما من كرام العائلات وكنت امطرها بالاسئلة والقبلات وبعضها خارج عن الموضوع ـ مع الاسف ـ مثلا سألتها عن سر هذه الفتحة في الفستان ؟ وعن سمت الاجسام عموماً دون نحافة او سمن ؟ وهذا هو المراد في جمال المرأة حتى تتوفر فيها الانوثة ؟ اجابت عن سر الفتحة من الجانب بقولها : الا ترى انها تلفت نظركم معشر الرجال ؟؟ وسألتها عن سر تعصب الصينية للشاب الصيني حيث هي لا ترتاح كثيراً للغريب عن بني وطنها اللهم الا ما ندر جداً وكانت الحفلة معرضاً للجمال الصيني ذي الوجه الابيض الناعم والشعر الاسود الفاحم . سألتها مثلا عن السبب في ان الرجل الصيني يتزوج باكثر من واحدة حتى يصلن الى الخمسة أو السبع زوجات؟ قالت ان هذا غير رسمي ، وهو مخالف للنظام ، قلت ولكنه في دينكم ، قالت نعم ، واردفت تقول فنحن وانتم نلتقي في هذه الظاهرة ، قلت : (نحن ، شرعنا لحكمة اقرها وشدد عليها بشروط قاسية اهمها العدالة الحقة) ، قالت : (انها شيء نسبي) وكانت من الذكاء بمكان ، وكنت انظر اليها وهي تتحدث الي في خفة ورشاقة دون تعصب أو

غضب ؛ وكانت الكلمات تخرج ناعمة هادئة من فمها الدقيق الدافىء ، مع ابتسامة عذبة الملامح ، وعيناها دعجاوان فيهما استطالة محببة ، ثم عزفت فرقة موسيقية واغلب اعضاء الفرقة من الفتيات الرشيقات ، وكانت الأنغام صينية لكنها لم تكسر بعد !! وانتهت الحفلة الجميلة بين ضحكات ترن هنا وهناك ولكن في هدوء مؤدب وهكذا حضرت حفلا صينياً اشكر الداعي له ، وفي اليوم التالي خرجت الى (هونج كونج) المدينة ووجدت بباب الفندق عدة « بيشات » من التي يجرها الانسان مع الاسف الشديد وهي بقية من مئات انقرضت نقلتني الى حيث القارب ثم نقلني اليها القارب البحري الانيق الذي يلذ للسائح ان يركبه اكثر من مرة في اليوم ليرى الجمال الصيني الأصيل ، ولقد اسفت جداً لرؤية عبارة (احذر النشالين) في هذا المركب اللطيف والذي يحمل مجموعة كبيرة من الناس رائحين عائدين من هونج كونج واليها .

ذهبت الى المدينة وهناك اتصلت بالصديق الهندي اللطيف وهو تاجر محترم له علاقة ببعض التجار السعوديين بجدة وطلب الي اعطاءه اسماء تجار بالرياض فاعطيته اسماء بعض الاصدقاء من التجار المحترمين ثم خرجت لأسير في شوارع (هونج كونج) ، واخذت أدلف على افريز شارع الملكة (اليزابيت) وكانت الحوانيت مليئة بالبضائع الجميلة الرائعة من كل لون وكل صنف وهي رخيصة الثمن وكل التجار تقريباً فنيون ماهرون في البيع ومرت طويلا في هذا الشارع حتى وصلت الى منطقة كل شيء فيها يتصل بالمعدة ولاحظت اشياء لم ارها قط في حياتي فهذا بقال دكانه واسع كبير به كل ما له علاقة بالمطبخ وقد بدأت اجوع واعطش من السير الطويل . والدكان فيه الثعابين المجففة المعلقة وفيه السلاحف الحية والمجففة ، وفيه بعض الفيران في اقفاص حية ترقص ، وفيه بعض الديدان ذات الالوان المختلفة حيث توجد اكلة صينية ممتازة عبارة عن خيط من الديدان ذات الالوان المختلفة يضعون على المجموعة العجيبة سكراً زيادة في اكرام الضيف والحفاوة به ، حتى الصراصير الحمراء مجففة انما كبيرة بعض الشيء ، وهنا تذكرت وصف الصديق معالي الاستاذ عبدالله بلخير لبعض ما لاحظه اثناء زيارته (هونج كونج)

وما رواه (ابو يعرب) عن النسناس المسكين وكيف انه يُغتال وهو لا يدري بل وهو يضحك ويقفز هنا وهناك ، وقلت لا بد من السؤال عن هذا الشيء الذي لا بد لي ان اراه عمليا اشباعا للفضول ، وتحقيقاً لرغبة اوجدها حديث الاستاذ (بلخير) ، وتحدثت مع صاحب البقالة وكان رجلا دمث الخلق متقدم السن رضي النفس قال : نعم ، يوجد هذا ، ولكن رؤيته تكلف مائة دولار (هونج كونجي) قلت وهو كذلك ، قال غداً تأتي الى هنا وسيصحبك أحد الموظفين بالمحل الى حيث ترى ذلك ، وسأرتبه لك ، قلت : شكراً ، ثم خرجت وانا في ضيق شديد من رائحة البقالة ومن مناظر لم ارها من قبل من الثعابين المجففة وغير المجففة المذبوحة والحية حيث ترد آلاف الثعابين يومياً الى (هونج كونج) من الصين تماماً كما تأكل مصر الحمام والفراخ ، وكما نأكل نحن الخراف ، ومرت انتقل من مكان لآخر وارى العجب العجاب حتى عثرت على مطعم يقدم القرود مشوية ، قلت هذا هو المشكل ، وانا في حالة جوع كامل وعطش شديد ، ومرت طويلا ابحث عن مطعم أحفظ به الرمق على الأقل ، واخيراً عثرت على مطعم في واجهته بعض الدجاج المحمر ودخلته ، وانتظرت حتى جاء الندل ، وطلبت اليه جزءاً من الدجاجة ، وجاء به فاذا به بارد،ومقطع مع عظمه القاسي وهو لم ينضج تماماً وكان بارداً ايضاً وحين بدأت اتذوقه ابصرت صدفة زبوناً آخر على مائدته وامامه طبق به قطع من ثعبان كبير ، فلم استطع مواصلة الأكل للدجاجة الباردة وخشيت ان ارفض الأكل ، لان ذلك يعتبر طعنا في سلامة المطعم !!! فغافلت الندل وذهبت للحساب ودفعت القيمة وخرجت الى الشارع وزاحمت حتى طواني في خضمه الكبير وانا في حالة جوع شديد مع عطش وتعبت ايضاً من سير نحو ساعتين متتاليتين ، ثم رأيت بائع (بسكويت وكيك) فسألته عن محل لشرب الشاي فلم يعرف ما اقول لانه لا يعرف الانكليزية واجابني في غلظة بلغته الصينية ، فاستعملت الاشارة معه في الحديث مع غيظ في نفسي عليه لغلظته ولكني لا اريد ان تفوتني لذة اكل (البسكويت) ومنظره المغري ، واخيراً فهم مني واعطاني كمية كبيرة جداً اخذتها واشار الى مقهى بجواره فدخلته وأتيت على

جزء من (الكيك والبسكويت) مع كوب شاي صيني جميل ، واسترحت وشبعت ثم واصلت السير واشتريت اشياء واشياء كثيرة بعثتها الى الفندق ، ثم قصدت بعد ذلك دكان صاحبي الصديق الهندي وهو ايراني الاصل،وذهبنا معاًالى الجبل الاخضر الرائع التنظيم والتنسيق وهو يشرف على كل (هونج كونج) بقسميها . جوه رائع بارد وله طريقان،طريق السيارات وهو معبد يصعدفي الجبل(اوتوستراد)وذكرني هذا بجبال (لبنان) الحبيب ، مع فارق واحد هو ان هذا الجبل اكثر تنظيماً من طرقات جبال لبنـان الجميل . وصلنا القمة وبها مقهى وبعض دارات (فيلـّيات) صغيرة أنيقة جداً تطل على البحر وعلى (هونج كونج) و (كولون) معاً ، وكذا تطل من الناحية الاخرى على محلة (اباردين) ، وهي جزء كبير من شطر المدينة يقيم فيه غالباً مهاجرون من الصين الشعبية ، وجدنا في القمة كثـيراًمن السواح من مختلفي الجنسيـات ثم اخذنا طريقنا نحو النزول مرة اخرى بعد لحظات ممتعة قضيناها في القمة الباردة الجميلة جداً ، وتوجهنا الى حيث (الترام) العجيب وهو شبه عمودي ويهبط كذلك وله اشياء تحفظه من الانحدار ومن اللطيف انله محطات يقف فيها والراكب يدير ظهره للسائق نزولا وصعوداً حتى لا يقع ، وصلنا المدينة وتجولت في انحائها وكانت نظيفة منسقة،حتى الاحياء الشعبية نظيفة فلا ترى ذبابة واحدة ، وكنت اتمنى رؤية واحدة لأقول وجدت ذباباً بالمدينة ولكن للامانة القلمية لم اجدها — مع حسن الحظ — ثم دعاني السيد الصديق الى مسرح كبير في (هونج كونج) وبه فرقة تقدم العاب (اكروبات) رائعة جداً وكان جو المسرح فيه حيـاة صاخبة ومرحة من لون جديد لم اعهده من قبل في مسارح اوروبا ، والشـرق الاقصى ،وانتهت السهرة الجميلة وودعت صاحبي وذهبت الى الركب (عبّارة)أو الاوتوبوس البحري اللطيف واوصلني كالعادةالى (كولون) وهناك وجدت اصحاب (البيشات) كأنهم في انتظـاري (انا فقط) لانهم توجهواالي كأني على موعد معهم لان اهل البلاد يسيرون على ارجلهم ويعرفون ارقام الحافلة التي توصلهم الى منازلهم الا الغريب فانه ينتظر سيارة اجرة او تحمله(البيشة) وأصر

الرجل صاحب(البيشة) الا أن أركبها واصررت على عدم ذلك لان الفندق لا يبعد كثيراً جداً عن محطة (العبّارة) واخيراً بين ضحكاته وتلذذي بركوب (البيشة) وألمي ان الذي يجرها انسان ركبتها،وسار بين فرحه لانتصاره عليّ وانا اضحك من حركاته لانه مرح مع انه عجوز يجر عربة !!! وعند اشارات المرور يوقف البيشة كأي (فرمله) آلية اخرى ، وعرض عليّ اثناء السير خدمات كثيرة فاعتذرت باني اقصد الفندق لأن الليل



متأخر،واخيراً وصلنا الفندق ونزلت من (البيشة) وانا في حالة سرور من حركاته وخفة دمه رغم تجاعيد وجهه الأسمر والذي اخفت التجاعيد عينيه الصغيرتين،ولاحظت ان هؤلاء يلبسون حذاءاً خاصاً يساعدهم على الوقوف عند اشارة المرور تماماً كعجلة السيارات لها خطوط خاصة ، ونقدته زيادة عما طلب فشكرني وطلب مني موعداً للغد فقلت ؛ آسف لذلك ، واخذت طريقي الى غرفتي لتسجيل هذه الملاحظات

كرؤوس اقلام صغيرة . وفي اليوم التالي خرجت ايضاً وفي نفسي رؤية عملية التآمر على حيـــاة النسناس الصغير المسكين !! ذهبت ايضاً بنفس الطريـق الى صاحب البقالة ، وصلت اليه وسلمت عليه بتحية الصباح ، وابتسم وقال : النسناس قلت : نعم ، وامر حالا احد موظفيه ومشي وتبعتـــه حتى وصلت دكاناً كبيراً وتقدم الينا شخص لطيف، تحدث مع مرافقي بالصينية بعد التحية والانحناءة (هاو هاو) .

وصحبنا السـيد الاخير الى منزل متواضع دلفـنا الى فنائه ووجدنا عائلة مكونة مـن رجل وزوجة وابنتيه وحياهم وتحدث اليهم ، فقاموا على الفور وهيأوا الغرفة الانيقة نوعاً ، وتناولنا جميعاً الشاي الاخضر على الطريقة الصينيـة وكنت الحظ مائدة تتوسط الغرفة الصغيرة وهي عبارة عن خشبة سميكة في وسطها حفرة صغيرة يغلفها بعض حديد وآلات عجيبة وبعد ربع ساعة من تحيات متواصلة اقبل شاب لطيف وبيده النسناس المسكين الذي لا يدري مصيره المحتوم !واطلق الحيوان الصغير .اخذته وهو كثير الابتسام واللعب والحركة وكدت اقول لهم لا اريد ان ارى هذه العمليـــة غير الرحيمة ولكن الصيني سرعان ما يتأثر ويغضب غضبـــاً شديداً رغم لطفه لأول وهلة ثم جاءت احدى فتيات المنزل وجثت على ركبتيها وبيدها اطباق صغيرة وبعض شوك وسكاكين صغيرة وفوط ، قلت انها استعداد لازهـــاق روح هذا الحيوان الاليف اللطيف والنسناس ينتقل من حجر الى آخر ثم انتهت الاستعدادات وجلسنا كحلقة وجيء به وربطـــه صاحب المنزل اسفل المـــائدة وبعد ان شـــل حركته سحب شيئـــاً لم اره جيداً لاني كنت في ألم وحزن على هذا الحيوان الذي لا حول له ولا قوة تمامـــاً كما يفعـل القوي ذو السلطة من الانسان في اخيه الانسان خـــاصة ان كان يشعر بالعظمة التي خلقهـــا فيه الشعور بالنقص !!! ، وبحركة سريعة جـــداً لم ار الا وآلة حادة مرت على سطح رأس النسناس وطار غطاء الجمجمة وبدا المخ ينز منه سائل وحالا امتدت الايدي مـــع مجاملات الى المـــخ وغرزت فيه الشوك واخذ كل واحد نصيبه وقدموا لي نصيبي فاعتذرت في لطف وخوف شديـدين ، ونقلت جثة المسكين ، ورأيتهم كيف يلتهمون المخ القليل في شراهـــة عجيبة !!

وخرجت بعد ان استأذنت صاحب الدار وانا في حالة ذهول من هذا البشر العجيب الذي يأكل كل شيء، وتوجهت حالا الى حديقة (تايجر بالم) وهي شبيهة بحديقة الرجل الصيني الذي تحدثنا عنه في سنغافورة الا ان الحديقة التي (بهونج كونج) صغيرة بالنسبة لتلك التي في سنغفورة وتجولت انحاءهـا وكانت مزدحمة بالشعب الذي يجد متنفساً يقضي فيه وقتا طيبا ولاحظت هنا ان العاشقين يجدون في هذا المكان جواً صالحاً لبث الغرام في احاديث الحب، حيث تجد المحبين اثنين اثنين وفي حالة انسجام كامل !!، وخرجت الى المدينة اسير متسكعاً في شوارعها معجباً بمبانيها الرائعة كانها عرائس تحكي قصة الجمال. وفي (هونج كونج) تجد البضائع الانجليزية رخيصة جداً وقد سمعت قبل وصولي اليها ان الانسان يستطيع ان يفصل بذلة برخص في الثمن وسرعة في العمل، ورأيت دكان خياط، ودخلت وتفاهمت معه على قطعتي قماش جيد لعمل بذلتين احداهما شتوية والاخرى صيفية وبعد مفاهمات قال : اسلمك اياهما بعد اربع وعشرين ساعة وكان هذا وحسبت التكاليف فوجدتها تنقص النصف تماماً عما هو في بيروت والثلث عما هو بالقاهرة مع ملاحظة ان القماش من نوع ممتاز جداً، وسرت حتى وصلت حديقة عامة منسقة بالزهور والخميلات الخضراء في هذه الجزيرة التي يحيطها البحر من كل جانب.

وكنت ترى الفتيات من اعمار مختلفة يلهون ويلعبن هنا وهناك والاطفال لهم اماكن خاصة للعب واللهو وأمضيت ساعة طيبة في رؤية هذا الشعب الخليط من صيني الى انكليزي الى هندي الى ياباني الى امريكاني (كوزموبوليتان) كما يقولون !!! والحق ان (هونج كونج) مدينة نظيفة جميلة منسقة تشعرك بأن الادارة فيها حضارية على مستوى اوروبا، ولا ابالغ اذا قلت ان (هونج كونج) في بعض اجزائها اقل من (طوكيو) نفسها وطوكيو عروس الشرق الاقصى وعميدة مدنها ؛ وقبل ان اختم الحديث عن (هونج كونج) لا أرى مانعاً من ذكر حادثة غريبة حدثت لي مع فتاة اسرائيلية ذلك اني كنت في احدى امسيات الاحاد انتظر صديقي الهندي الايراني الاصل في صالون الفندق، وكان امام مقعدي فتاة على جانب من الجمال الشرقي شبه العربي ومعها فتى اقني الانف كأنه عربي

ايضاً ومعها رجل وامرأة نصف شمطاء ، وكانوا يتحدثون حديثاً شيقاً يـدعو الى الضحك والمرح ؛ وكنت انظر اليهم نظرة فيها تساؤل ولكن التجارب دلت عـلى ان كثيراً من امثال هؤلاء هم من الاسرائليين فعلاً ، حيث عثرت عليهم في (لندن) و (هامبورج) ، واخيراً وقبل انتهاء الوقت استأذن الرجل المسن والمرأة نصف الشمطاء وذهب الشاب الى جهة في ابهاء الفندق وتقدمت الفتاة الانيقة مني تسألني مـن اين انا ؟ ومـــا اسمي قلت : وانا اشعر بشيء من الغرابـــة والالم ان تكون اسرائيلية خبيثة وفعلا كان !! اجبتها انا من جنوب افريقيا واسمي (جاكسون) ، قالت انها امرائيلية واسمها (راشيل) قلت مرحباً بـــك وتحدثنا بعض الوقت ودعتني الى سهرة في احدى مسارح المدينة فاعتذرت وانا في حال لا يحسد عليه من تداعي الافكار واستعراض حالي وحالها اي الأمة العربية وحـال اسرائيل والحت ولكني اصررت على الاعتذار ،ومضت مع الشاب الأنيق الاهيف ، وبقيت انتظر صديقي فلم يصل الا متأخرا جدا وكانت فترة عصيبة على نفسي ،وفي اليوم التالي جاءت في نفس الميعاد تقريباً وسلمت عليّ قائلة بالحرف الواحد مرحباً استاذ علي فدعق !!

ان رقم غرفتك كذا ، وقالت لماذا قلت جاكسون ؟؟ قلت لم ارد ان ادخل معك في نقاش انا في غنى عنه ، قالت وابتســامة خبيثة على شفتيها المزمومتين انا اسرائيلية كما قلت لـــك ومن اسرة مجلة (معـــاريف) قلت اني-اسمع عنها كثيراً. وحدثتني طويلاً عن اسرائيل وانا اسمع في ذهول وصمت ماكر جـــارح ، وتمنيت اشياء كثيرة ! ثم طلبت ان اكون معها ولكني اعتذرت ايضاً واصررت كما فعلت امس ، وهكذا كانت مفاجأتي غير سارة ولا بـد ان اشعرك يا سيدي القارىء ان البضائع اليابانية في هونج كونج ارخص منها في اليابان ذلك لانها معفاة من الضريبة التي تجبى في اليابان نفسها ، ولم اصدق هذا الا عندما وصلت (طوكيو) واسفت لعدم شراء بعض اشياء يابانية من (هونج كونج)ثم ودعت هذه المدينة الجميلة المنظمة اللطيفة بأسف بالغ وذهبت الى المطار الذي تضمه جبال المدينة حـــرصاً عليه من

غزو صيني لجماله الفاتن . واخـذت الطائرة الضخمة (كونفير ٨٠٨) تزأر في ارض المطار وسارت يقودها طيار ياباني حديث السن بطل من الارض التي تنتج الابطال الصغار جسما ومضت بنا الى ارض (الماريشال) العجوز (شان كاي شك) الذي ينتظر الفرص ولا غير الفرص تعيده الى الصين الكبيرة التي ابعدت عن الامم المتحـدة ودخلها هو بستة ملايين صيني مشرد، بينما الستمائة مليون رجل وامرأة خارج الجامعة الأممية (هيئة الأمم المتحدة) لان اميركا تريد ذلك فقط، وبعد طيران مريح في الطائرة الجبارة الضخمة الحديثة استمر ثلاث ساعات اعلن القائـد اننا في سماء (فرموزا) فيجب عدم التصوير لان المنطقة عسكرية، وبعد لأي في الطيران، لأن هناك اكثر من مطار واحد وكلها عسكرية ، حطت الطائرة في هدوء وكان الجو رائعـاً والمطار كبيراً في مساحاته متواضعاً جداً في مبانيه مما يدل على أن (فرموزا) هكذا ، ثم تركنا بناية المطار وطالعنـا رجال على وجوههم تبدو علامات اليأس ، ونساء انهكهن العمل المتواصل . لم نجد بالمطار سوى بعض تحف كدمى قديمة، وحاجيات ليس فيها روح مطلقاً ، وقدموا لنا شايا صينياً فقط ، وبعد عشرين دقيقة وصلت افواج من الناس ليس فيهم مـا يبهج النفس ، ثم بحثت عن شيء اي شيء اشتريه للتذكار أو الذكرى فلم اجد شيئاً سوى ان ابعث ببطاقتين للصديقين الاستاذ عبد العزيز الرفاعي بالرياض والسيد انور زعلوك بالقاهرة وقلت لهما في البطاقتـين : اكتب لكما من ارض الماريشال العجوز الذي ينتظر الفرص (اقصد فرص الحرب العامة او ثورة في الصين الشعبية) ، واخذت بعض مناظر (شراء طبعا) من المطار .

اخذ الركاب الجـدد واغلبهم من اليابانيين الذين يعملون في (فرموزا) اعمالا مختلفة اهمها اعمال تتصل بالمطارات واخذت الطائرة التابعة للشركة اليابانية تتجه مصعدة نحو (اليابان) في بلد الشمس ، كان شعوري مزيجاً من الاعجاب والتقدير للشعب الياباني كشعب آسيوي نهض بعد كبوة ، بعد تدمير ، بعد قتـل جماعي اصابه في الصميم ، في انسانيته ، في مصانعه الحربية والمدنية معاً ، في مدنه الجميلة ، واحتله (ماك آرثر) الامريكي وطوع هذا الشعب ذا التقاليد العريقة جدا والقديمة جدا ، طوع حتى امبراطوره المقدس الذي تسجد له الملايين ، حتى

كاد ان يجعله انسانا عاديا لولا ظروف سياسية تدخلت في آخر لحظة ، وكان شعور آخر أحسه وأتألم من هذا الشعب وواقعته تلك انه حطم تقليدا عسكرياً وعندما كان يفاوض في أميركا انقض على الاسطول الامريكي ودمره ، ثم حطم تقليداً عسكريا ايضا عندما عامــل اندونيسيا والملايو وبورما أو الشرق الأقصى الذي احتله وعامله معاملة وحشيةقاسية لا تتفق مع ابسط قواعد الآداب الانسانيةحتى ولا العسكرية،والقصص التي تسمعها في الشرق الاقصى عن فظائع الضباط والجنود اليابانيين مخيفة مثيرة !! بغيضة ، خذ يا عزيزي القارىء مثــلاً ، لقد اخلى اهالي رانجون (عاصمة بورما) المدينة وتركوها صفصفا ، خوفاً من فظائع العسكريين اليابانيين الذين سبق لهم ان ارهبوا من سبق ان احتلوهم في الشرق الاقصى . وفي اندونيسيا كان الجندي الياباني يصفع من شاء متى شاء وكيف شاء واين شاء وبأي طريقة شاء !!! ومن لم يسلم عليه ويظهر لــه الذل والمسكنة والصغــار ، يصفعه ويبصق في وجهه .هكذا حدثنا الكثيرون احاديث دلتعلى وحشية جديدة. ومن القصص ان فتاة هولندية مرت في طريقها ونسيت ان تسلم على جندي المرور فصاح عليها كالوحش فجاءت ترتعد خوفاً واوقفها بجانبــه وصفعها فأحمر خدها الابيض المتفتح الأسيل ، وامر كل من يمر ان يقبلها اهانة لهــا وهكذا اصبحت الفتاة الاوروبية محل تقبيل المارة بأمر الجندي الياباني . وقصة اخرى زعيم عربي (بجاكرتا) مر دون ان ينحني للجندي ، وكان هذا الزعيم يلبس الطربوش فصاح الجندي فيه صيحته المخيفة واوقف الزعيم العربي وصفعه على خده الايمن فاستدار الرجل وكان كبير السن وصفعه على الخد الايسر ، واطاح طربوشه ثم امره بحمل اكياس رز الى سيارة حمل تقف بجانبه ، وكان يركل الرجل الطاعن في السن اذا لم يستطع حمل الكيس الثقيل . وهكذا كانوا يحكمون البلاد التي يحتلونها . هذه القصص أرويها للتاريخ فقط وكلمة الحق يجب ان تقال مهما كان الثمن وقد نشر اخيراً فيصحفالقاهرة انهم وجدوا قبوراً لقتلجماعي ولمئات الجثث ايامالاحتلال الياباني لسنغافورة .

الى طوكيو

وحـــين بدأت الطائرة تقترب من طوكيو كنت ارجو ان ارى شعباً يمسح الصورة المشوهة التي سمعتهـــا في اكثر مدن الشرق الاقصى . أتمنى من كل قلبي ذلك ، ذلـك لان الشعب الياباني ، كشعب اسيوي حطم اسطورة تفوق الرجل الأوربي وتخلف الاسيوي ، واليابان اليوم في سباق حضاري خطير جداً مع الغرب كله ، والسنون القادمة ستتحدث عن الرجل الياباني كانسان متفوق في الحضارة الحديثة . وبعد ثلاث ساعات من تركنا قاعدة الماريشال العجوز كنا على مشارف اجواء (طوكيو) العظيمة ، المدينة التي تضم تسعة ملايين من البشر يعملون في جد ويستغلون الوقت افضل استغلال ويسابقون الزمن ، وهبطت الطائرة في مطـــار طوكيو وكان الجو صحواً لطيفاً ، ومطار طوكيو كبير جداً ، ومن الغريب انهم اجبرونا على السير نحـواً من كيلومتر واحد في اروقة المطار وتناثر الركاب هنـا وهناك حتى جمعت شملهم قاعة الجمرك والصحة ، ووقف الجميع في طابور منظم ، ووقفت في وسط الطابور ، وكان موظفـه ياباني يتفرس وجوه الركاب حتى جاء وسألني عن جنسيتي قلت انني سعودي . قال تفضل وصحبني الى موظف الصحة ثم الى موظف الجمرك ولم يكن شديداً مطلقاً بل كان هناك ادب جم ولطف انساني اعجبت به وحمل حقيبتي موظف للخطوط اليابانية واودعني سيارة كنت ارافق فيها رجلين : عالماً من الصين يعرف الشرق الادنى جيداً ، وقد عرفت فيما بعد انه كان يعمل مع القوات الامريكية ، والآخر صحفي امريكي . وتحدثنا جميعاً عن (اليابان) كشعب يستعمر الآن ولكنه يتحرك بسرعة نحو حياة جديدة ، حياة أفضل ، واول ما لفت نظري في طوكيو امتداد شوارعها وسعها على كثرتها وما رأيته من الاعلانات (بالنيون) حيث فيهـــا فن وابداع عجيبان ، ذلك ان الاعلان يتحرك كثيرا ويعلن اكثر من مرة ويمسح مـــا يعلنه ثم يعلن مرة

اخرى وثالثة بطريقة جذابة ، وحركة مستمرة متقنة . وما اكثر الاعلانات في طوكيو ، في واجهة المحلات ، في الاماكن العامة ، وحتى في الجو يطلقون بالونات فيها اعلانات واضحة مشوقة ، انه ابداع في فن الاعلان . بحثت عن فندق متوسط فلم اجد واذا وجدت غرفة متواضعة وحاولت البحث عن اخرى فلم اجد ، أعود الى الاولى فأجدها قد شغلت بنزيل جديد ، حتى عثرت على فندق متوسط بعيد عن مركز البلد ، ولكنه امام بحيرة لطيفة وحديقة من الجانب الآخر . وتمتاز طوكيو بنظافة فنادقها وجمالها والعناية بها حتى المتوسط منها ، وما دون المتوسط فنجد التلفزيون في الصالون العام والراديو ، في الغرف النظيفة . وبقيت ليلتي في الفندق واستمعت الى الاذاعة من طوكيو ، وبدأ المغني الياباني فضحكت لانه كان يغني كانسان مخنوق تماماً ، ويضغط على اللفظ بشكل مزعج على الاقل بالنسبة لي . وفي صباح اليوم الاول اطللت من الشرفة فوجدت البحيرة الجميلة تحف بها اشجار باسقة والجو بارد منعش جداً ، ومن ثم بدأت الاتصال بالسفارة السعودية لان السفير فيها صديق حميم لي وتربطني به رابطة زمالة مدرسية منذ سنوات لا اريد تحديدها حتى لا يعرف عمرينا بهذا التحديد البغيض ، خاصة لمن يهمنا الا يعرفوا كم سنة مضت من العمر المديد !!

واخذت اتحدث تليفونياً الى الاستاذ السفير الاخ احمد عبد الجبار الدبلوماسي المثقف والشاعر المبدع ، ورحب بي كثيراً وطلب اليّ ان انتظر حتى يصل للسلام عليّ وشكرته فوصل بعد مسافة الطريق وكان لقاء اخوياً صادق الفرحة القلبية ، سألني عن البلد ، وكيف تركتها واهم سؤال ردده الاستاذ السفير هو كيف صحة سمو الامير فيصل بن عبد العزيز ؟ ، قلت : إن سموه بخير وصحته جيدة ولله الحمد ثم سأل عن معالي الدكتور رشاد فرعون وهو يمت اليه بصهارة مشتركة ، ولأن الدكتور رشاد يتمتع لدى الطبقة المثقفة بمكانة رفيعة لمواقفه المشرفة من قضاياهم المختلفة .وصحبني سعادة السفير الى السفارة حيث سلمت على اخواننا هناك على بعد منا بنحو ثمانية آلاف ميل ، وقابلت الزميل الكريم السيد محسن

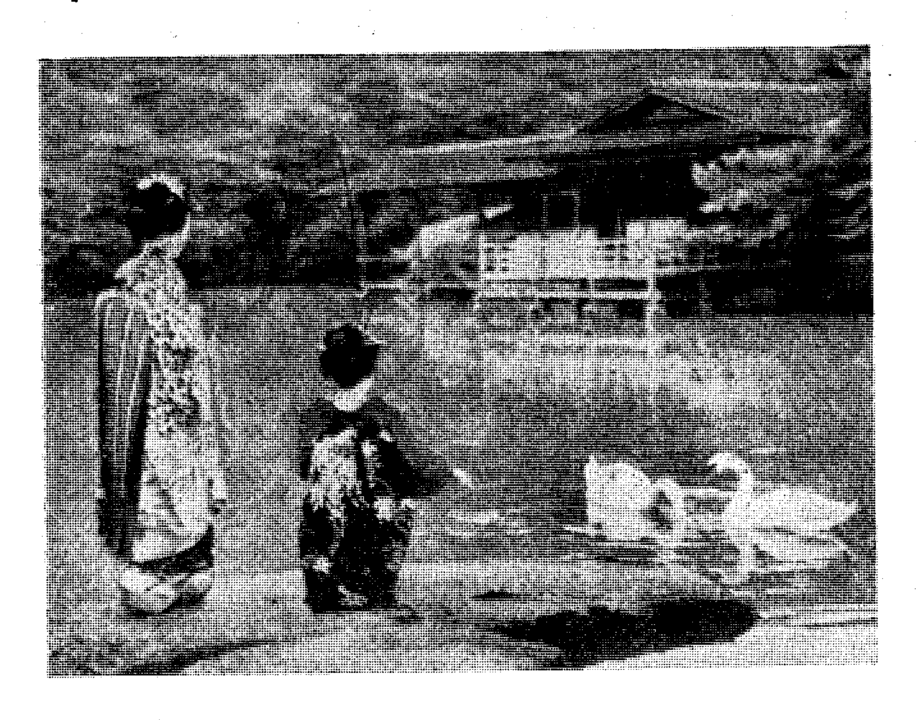
الكثيري وهو زميل دراسة بالقاهرة، ومن العجيب ان السفارة تقع في محلة تدعى (عذابو) وعلى يمين السفارة السعودية سفارة (الشيخ العجوز شان كاي شيك) صاحب فرموزا ، وامام السفارة مقبرة لليابانيين الذين يتبعون حرق موتاهم . سألت ، من اختار موقع هذه السفارة ، قيل انه السفير السابق (أسعد فقيه) . وتناولنا طعام الغداء في سفارة جلالة الملك المعظم ، وخرجنا لرؤية العاصمة الصاخبة التي فاقت كل عواصم العالم ازدحاماً بالسكان ، حيث يصل عدد سكانها ٩٠٠٦٨٠٠٠ نسمة وهذا رقم قياسي على وجه الارض لمدينة ، حسب احصاء ١٩٥٩ بلغ سكان اليابان ٩٢٠٠٠٠٠٠ نسمة ، وان كل ميل مربع يسكنه (٢٥٥) نسمة . خرجت مع سعادة السفير الاديب الشاعر الى حيث صخب المدينة الكبيرة ، وكانت احاديثنا ادباً وشعرا وذكريات ودراسة قديمة ، قلت للسفير ان اليابانيين ليسوا صفر الوجوه بل اغلبهم بيض الوجوه وبياض وجوههم محبب للنفس خاصة الجنس اللطيف بالقامة الهيفاء والاعضاء المتسعة الدقيقة المعبرة وقلت له على رأي بعض الظرفاء .

بيض الوجوه قصيرة قاماتهم فطس الانوف من الطراز الأجمل

تجولنا بالسيارة في المدينة الكبيرة فلاحظت ان اليابانيين يعملون في جد متواصل ليعمروا ويسبقوا الزمن للانتاج والانتاج على مستوى اكبر ، ثم تناولنا طعام الغداء في مطعم ياباني ولاحظت كيف يلتهم الياباني الارز بعودين صغيرين وبصورة لا استطيع عملها مطلقاً ، وطلب مني السفير ان انتقل الى فندق آخر وفعلا ذهبنا الى فندق (اليابان الجديد) وقابلنا الموظف المختص بالفندق وهو فندق مثالي في كل شيء وكأنه حلم من احلام الانسان الحضاري الجديد . ومن الظريف ان الموظف حيا السفير تحية كريمة وقال له : بعد شهرين سأرتب للسيد (الذي هو انا) غرفة ، سأحاول ، قلت للسفير الصديق : لا بأس اعود بعد شهرين لأحقق خدمة هذا الانسان الطيب على الأقل ! ، وضحكت وضحك السفير ، وكانت نكتة وخرجنا ووجدت غرفة بفندق آخر ممتاز ، ونقلت اليه ، وهذا الفندق اثري انما هو ممتاز جداً . وفي أمسية تذكرت كلمة صديق زار اليابان واعجب بشارع اسمه

(الجنزا) فسألت عنه واذا هو بقرب الفندق، دلفت الى هذا الشارع العجيب حقاً، وذكرني بشوارع اميركا الضخمة الصاخبة التي اراها في السينما ، وقد رأيت هـذا الشارع (الجنزا) في فيلم (العالم في الليل).و (الجنزا)ملتقى كل طبقات الشعب الياباني فيه حياة وفيه حركة ، حياة الليل بانغامه وانواره وبهجته ومرحه ، لأن فلسفة الشعب الياباني فلسفة عجيبة صادقة وهي : امرح كثيراً تنتج كثيراً ، فهم يمرحون ليلا ويعملون بجد نهاراً،ويكفي انتقضي ليالي سعيدة فيشارع(الجنزا)وحده لأنك لا تستطيع ان تتقصى كل معروضاته الحية والجامدة فهو حياة كلها حركة أنس مستمرة ، والشارع هذا عريض جداً لا يقل عرضه عن شارع (الشانزليزيه) في باريس انما يمتاز عن الاخير بأنه اكثر حيوية ؛ كل شيء بالمعنى الكبير في هـذا الشارع ، والشعب الياباني تراه على حقيقته كشعب مؤدب مهذب في كل نواحي الحياة في الشارع ، في الفندق ، في المـعرض ، في السيارة ، في القطـار ، في الطائرة ، فعندما كنت في هذا الشارع أتجول مأخوذاً بسحر الدنيا المتحركة فيه أسأل عن كل منعطف ومكان واكثر من السؤال ، واجد الاجابات المؤدبـة ، وقلت في نفسي : هل هو هذا الشعب الذي سمعت قصص جنوده وضباطه في بعض مدن الشرق الاقصى ؟؟ عجيبة حقا !! أين هم أولئك الغلاظ القلوب قد تكون ابتلعتهم قنبلتنا (هيروشيما) و (ناكازاكي) ؟؟ قد يكون ! ليتخلص الشعب المؤدب الطيب من الذين اساءوا لسمعته ، وحصل ان كنت اسير في طرف هذا الشارع فنسيت ودخلت شارعاً فرعيا آخر وسألت أين انا ؟ ورجوت المسؤول ، ان يدلني على قلب شارع (الجنزا) وكان الجو ممطراً ، فأبى ادبه الانساني الا ان يحميني من المطر بمظلته ويسير معي حتى المكان الذي طلبت منه ان يدلني عليه ، وشكرته ورد التحية بانحناءة يابانية لطيفة ، وانت اذا مررت في أي شارع من شوارع (طوكيو) الكبيرة ، تطالعك وجوه بيضاء مع انف افطس وعيون مستطيلة صغيرة ، وألطف ما لاحظته في اليابان ان الناس هناك يعاملون بعضهم كأنهم اقارب لبعض تماما ، يبتسمون وينحنون عند اللقاء وعند التوديع انحناءات تقدير وحب ظاهرين ، وتجد المساعدة من الجميع للجميع كأن التسعة ملايين انسان

عائلة واحدة . والمرأة اليابانية، ترى احداهن غارقة في الحفاظ على القديم من رأسها حتى اخمص قدميها ، واخرى تجدهـا تأخذ كل مفاتن الحضارة الحديثة جداً ، والاولى المحافظة لا ينقص من فتنتها كمرأة لبسها القديم ابدا بل بالعكس فيه الاناقة والبحث عن المجهول ، فما يسمونـه (بالكيمونو) كما ترى في الصورة ليس الا



بقية دلالة على حب المرأة للطفل وحفاظها عليه حيث كـن يحملن اطفالهن خلف ظهورهن ، ليعملن ومعهن الطفل الحبيب ، واليابانية ناعمة قصيرة القامة ، غالباً بيضاء البشرة فيها أنوثة محببة وعيبها الوحيد هو عدم جمال الاسنان وهـذه ظاهرة لاحظتها في كل الشعب الياباني تقريبـاً فلم أر الا القلة الذين لا عيب في اسنانهم ، والفتاه اليابانية تتمتع بجمال أخاذ رائع فيه وداعة ، وفيه انوثة ، وفيه ادب جم ، مع رقة تسيل لطفاً ، وتشعرك بـأن المرأة حقيقة مخلوق لطيف جـدا .

واليابانية رائعة الجمـال ، تكاد تعبد الرجل عبادة صادقة وقـد كانت فيما

سبق تمحضه العبادة حقاً حتى انتهى ذلك باعتناقهم (البوذية) [1] وعبدوا (بوذا) الحكيم ، والبوذية في اليابان دخلت هـذه الجزر قبـل ٦٠٠ سـنة عن طريق الصين فوق الجسر الطبيعي وهو كوريا بشقيها والخليج الذي يفصل اليابان عن الصين خليج له تاريخ أثر على حياة اليابان المدنية كثيراً فعليـه عبرت الديانة البوذية وعليه كادت أن تعبر الديانة الاسلامية السمحة حيث غرقت سفن الغزو المغولي القادمة من كوريا الى اليابان وهي اسلاميـة الدين لان العواصف المدمرة اغرقت اسطول المغول وهي اي العواصف لها موسم تدمر كل شيء تمر عليه هنا فتمر احياناً بعنف شديد على اليابان وتدمر في طريقها المأهول من الجزر ولا تزال تقوم باعمال التدمير الآن وغداً. وتخشى الطائرات والسفن موسم هذه العواصف حيث هي تزمجر في طريقها كالرعد القاصف وقد حاول احد موظفي سفارتنا في (جاكرتا) أخافتي بها ولكني ابتسمت لهوقلت قد لا تمرحين مرور الطائرة التي تعلن ولست أفضل من الآخرين،وقد استطاع علم الارصاد ان يحدد يوم العاصفة وساعتها ومقدار قوتها واتجاهها وكل ما يتصل بها ، فتشعر الجهات التي ستمر بها قبل الموعد بساعات ، وهي كما هو معروف عبارة عن مرور هواء ساخنة في منطقة مفرغة من الهواء فتحدث تمزيقاً شديداًحسب درجة الحرارة وحجم الفراغ ، وقـد دمرت هذه العواصف جزءاً كبيراً من مدينة (أوساكا) وهي العاصمة الثانية لليابان ، واليابانيون يعتقدون ان بلادهم هي بـلاد الله حيث هو في سمائهم وهذا الاعتقاد يكذبه واقع حـالهم العجيب ، حيث سلطت عليهم العواصف المدمدة والزلازل المهلكة التي تدمر مدناً وقرى بأكملها وتخلق فيها دماراً شـاملاً حيث يسيطر الموت بشكل جماعي على المدينة التي يهزها ، ويذكر القراء تاريخاً دامياً مر (بيوكوهاما) وطوكيو سنـة ١٩٢٣ وكيف ان الناس كانوا يلقون بانفسهم في الانهر والقنوات والبحيرات جماعات جماعات هرباً من النار والزلزال القاصف ، ومات اكثرالذين القوا بانفسهم في المياه وقدر عدد الذين لقوا حتفهم بنحو ربع مليون انسان ، انه

---

(١) سنتكلم عن البوذية باختصار جدا لان ذلك خارج اختصاص الايام القليلة .

رقم لا يشعر بأن هذه الارض هي التي يسكنها الله لان الله يسكن حيث الرحمة والشفقـة والنجدة الالهية السريعة ، وقد سجل شوقي في مطلع قصيدة انسانيـة حيث يقول :

قف بطوكيو واندب (يوكوهاما) وسـل القـريتين يوم القيامـة

الخ مـا جاء بقصيدة شوقي في تسجيل الحادث الطبيعي المروع والذي تألم له كل انسان في العالم له شعور الآدمي المجرد . دمر الزلزال واحرقت النيران ٤٠٠٠٠ منزلا واهلكت ٤٠٠٠٠ انسان وقدرت الخسائر حينذاك بـ ٢٥٠ مليون ين ياباني ، ويتحدث كل اهـالي (طوكيو) عن عاصفة مرت بهم قبل شهرين هزت كيان المدينة الكبيرة هزاً وبعضهم يجعل تاريخ مرور العاصفة تاريخاً لحادثة معينة او لميلاد انسان كبير ولد يوم مرور عاصفة مدمرة ، ولا شك مطلقاً في ان الياباني حـين ينسى العواصف والزلازل ويرى مفاتن الطبيعة الساحرة الجميلة في اليابان في زهورها في جوها في رقة نسائها وادبهن الجم يظن ان هذه الارض هي الارض المختارة ، وكل شعب في الارض يرى وطنه الجـنة الموعودة حتى الذين في سفوح الجبال نصف القاحلة يرون ان هذه هي الجنة ألم يقل فريد الاطرش ان مصر هي ام الدنيا . !! ترى من أبوها ؟؟ واليابانيون يتمتعون بطبيعة ساحرة في بلدهم الجميلـة حيث الزهور الباسمة من كل لون وكل نوع وكل رائحة زكية تختلف عن مئات الالوان والالوان ، ولا اعتقد ان بلداً في العالم كله يعنى بالزهور بمثل عناية الياباني او اليابانية . فللزهور اعياد وللزهور اكثر من معرض وللزهور مؤلفات وللزهور فلسفات وللزهور مدرسون ومدرسات واذكر ان سعادة السفير السيد احمد عبد الجبار حين دعاني الى تناول الغداء بمنزله — وما اكثر ما دعاني — رأيت زهرية ورد منسقة تنسيقاً جميلاً ورائعاً ووقفت اتأمل ذلك التنسيق ، ولكن سعادته سرعان ما اخبرني ان السيدة الفضلى حرمه تأخـذ دروساً اسبوعية في الزهور وتنسيقها فهناك قواعد وأصول متبعة في تنسيق الزهور والورود غير ما تراه في منزل آخر حتى الجمال العامة لها ذوق خـاص في الزهور والورود ، ومن

الطف ما رأيت في طوكيو قصر قامة الشجر وهم يتعمدون ذلك ولهم طرق علمية في ضغط نمو الشجرة حتى تصبح قصيرة القامة ، وكنت مع جماعة من السواح من مختلفي الجنسيات وكان احدهم امريكياً ظريفاً مهذباً وصحبته في حديث عن اليابان ومما قلت له اظن ان اليابانيين لكونهم قصار القامات لا يودون ان يروا الشجر اطول منهم قامة وضحك وضحكت على موافقته .

الى حفلة شاي تقليدية

وفي احد الايام اشعرنا الفندق بأن هناك حفلا نحن مدعوون اليه ، وهو حفل لشرب شاي ياباني على الطريقة اليابانية القديمة وضمتنا جميعاً حافلة كبيرة من مختلف الاجناس والالوان ، ومعنا فتاة يابانية من الجامعة وهي طريفة ولذيذة ومثقفة اقصد بلذيذة دمها خفيف وسنها ضاحك كما يقولون ، تركتنا كل يقدم نفسه الى باقي ركاب الحافلة .ومن حسن حظي انالامريكي ذلك الظريف الذي تحدثت عنه كان بجانبي وأمامنا فتاتان من اجمل ما تقع عليهما العين احداهن من السويد بلد الثلج حيث جاءت للدفء ! واخرى من اميركا الجنوبية دافئة بطبيعتها ! ، كانت الفتاة المرشدة تحدثنا عن كل منظر نمر به ، هذا متحف وهذه وزارة كـذا ، هذا قصر الامبراطور ، تاريخه القديم ، وكيف تطور الامبراطور وساير مطالب شعبه بعد ان كان معبوداً وبعـد ان استغله جماعة من الضباط الحرس ، وكيف اصبح القصر المحاط بالبحيرات له طرقات على شوارع المدينة ، ولكنه ما زال محتفظاً بطابع القدم وعليه هالة من الجـلال والترف ، وكانت الفتاة ذكية لدرجة بعيدة لاننا ان مررنا بمنظر غير مشرف لليابان تحدثنا نكتة يابانية حتى اذا وصلنا الى الحديقة اعلنت ذلك ونزلنا ، ثم طلب منا اخذ صورة تذكارية للرحلة ففعلنا .

وبالمناسبة النساء اليـابانيات مبـالغة منهـن في نعومة اجسـامهن يقمن بعضهن بحلاقة يومية للوجه ثم حلق الحاجب وجعله صناعيا ، أقول وصلنا مكان الحفل وهو حديقة يابانية قديمة فيها تجارب زراعيـة كبيرة وفيها اشجار عجيبة جدا ذلك ان بعض هذه الاشجار الاقزام (ان صح التعبير) عمرها نحو من خمس سنوات طولهالايزيدعنارتفاع عشرة (سنتيمترات) واصبحتالشجرة (مصخوطة)

يقولوكان كل ذالك بفعل اليابانيين الفنيين وهم بذلك لا يريدون ان تصبح حتى في مستوى طولهم ، مضينا في الحديقـــة نهبط درجات كثيرة ونعبر قنوات كثيرة



صغيرة ، حتى وصلنا الى منزل ياباني صغير كالعادة ، وكانت الفتاة الدليلة تحدثنـــا طول الطريق عن هذه الحديقة (حقل التجارب) لضغط نمو الاشجار وغير ذلك .

دخلنا غرفة عليها مصاطب وعلى المصاطب مقاعد وكان السكون يلف الغرفة الرطبة وكل سائح ينظر الى الآخر ويتحدث معه همسا وبعد دقائق دخلت امرأة عجوز جدا (جيشا قديمة) ! واتخذت مكانها امـــام موقد عجيب قديم ومن ثم قدمت لها فتاتان ادوات الشاي في ادب جم وانحناءة طويلة واخذت المرأة الشمطاء تعد الشاي وكأنها تقوم بطقوس رتيبة في معبد رهيب ، والفتاة الدليل تشرح لنا خطوات عمل الشاي وكأنه شيء بعيد المنال ثم بعد مـــا يقرب من نصف ساعة وزعت علينا قطعاً من الحلوى وعلينا الا نأكلها الا مع الشاي لتقوم مقام السكر . واكلها بعضنا وانا منهم وكانت ضحكات وبعض نكت على هـــذه الحفلة الرهيبة العجيبة :صمت مطبق ، اوامر تطاع ، لا احديأكل الحلوى،لااحد يتحرك ، سوى فتيات رائحات قادمات يحملن اكواب الشاي ، واخيراً وزع الشاي ووزعتـــه حسناء باسمة ذات خد أسيل وقوام نحيل ، انها ابتسامة مشرقة توزعها مع اكواب الشاي الاخضر الذي صنعته يد العجوز الشمطاء وهي تنظر الينا من تحت نظارتها وانا انظر اليها خلسة وأضحك مرآً لهـــذه الطقوس لعملية الشاي المسحوق ، أصدرت العجوز الاوامر بأن شرب الشاي يجب ان يكون بطريقة خاصة هي ان يدار الكوب من اليمين الى اليسار ثم تأخذه اليد في أدب ولطف ويرشف برفق مع الحلوى ومن أكل الحلوى فعليه ان يشرب الشاي وهـــو مر المـــذاق ؛ واخذت بعض صور لم تظهر مع الاسف لأن الضوء لم يكن كافياً .

ثم أعلنت احدى الحسناوات انتهاء الحفل برئاسة العجوز ، وذهبنـــا للسلام عليها شاكرين ، وانحنت انحناءة طويلة عجوزة أيضاً ، ومن ثم اشاروا إلى غرفـــة اخرى ، حيث تقبع فتاة اخرى حيتنا جالسة وامامها نصف جذع شجرةمسطور ركبت عليه اوتار واخذت الفتاة بعد تحية وابتسامة رقيقتين مهذبتين استئذانـــاً للعزف واذنا ونحن وقوف . بدأت تعزف لحنا يابانياً قديماً تحية كريمة للزائرين وما ان انتهت حتى انحنى اكثرنا انحناءة خفيفة غير منتظمة ، واخذنا طريق العودة وسلكنا طريقـــاً آخر ومررنا على مسرح ضخم تقام فيه حفلات خاصة بالسواح

وبناء على طلب اصحاب الفنادق الكبرى ، بقي ان تعرف ان هذه الحديقة اسمها (حديقة هابيون) وهي مشهورة بحفلات الشاي التقليدية لشرب الشاي الياباني الأصيل.

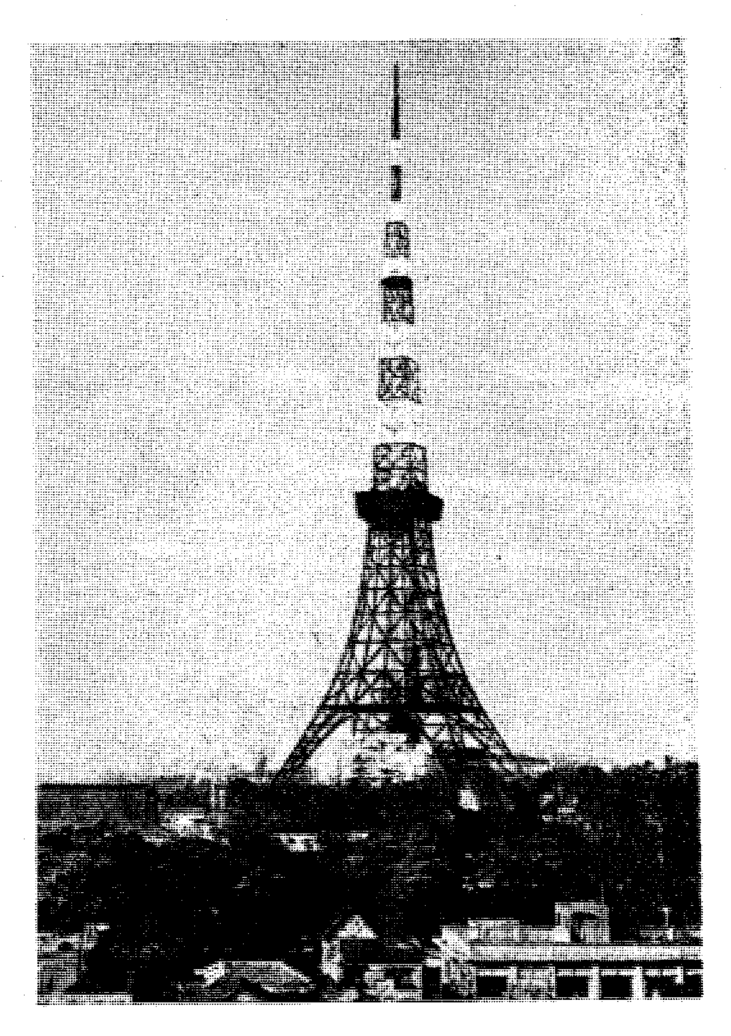
وفي الطريق كنت اتحدث مع الصديق الامريكي وهو رجل مهذب جداً وقد تناول الحديث ما يسيء علاقاتنا بأميركا دائماً وهو وجود ما خلقته اميركا في وطننا العربي (اسرائيل) ، وقال : اقولها صريحة لك يا صديقي ان خلافاتكم معشر العرب هي اساس وجود اسرائيل واعتقد انكم قد تتحدون يوماً ما ، قلت ارجو ذلك فأجاب وعند ذاك ارجو ان اميركا تصحح الوضع بعد ان تصححوا وضعكم انتم. اخذنا طريقنا معاً الى محل بيع الاشياء المعفاة من الضرائب وبدأت عجائز اميركا يشترين الاقمشة وكانت حقاً ممتازة واشتريت قطعة يابانية منقوشة نقشاً بديعاً جداً ، وبعض تحف يابانية ، ثم توجهنا الى الحافلة حسب اوامر الدليلة خفيفة الدم ، وقالت نحن الآن نتجه الى برج طوكيو .



الى برج طوكيو

وتحركت بنـــا الحافلة الى برج طوكيو وسط جو مرح وقد تعارف اكثر السواح ، والتعارف مفيد للسائح حيث يستطيـــع ان يخلق صداقات من كل نوع ومع كل نوع . وصلنا قاعدة البرج الضخم ودخلنا الى حيث المقاعد المتعددة حيث كانت الحوانيت المختلفة المليئة بالحاجيات اللطيفة والمغرية للشراء ، حيث تقوم المحال التجارية بعرض افخر انتاجها ، وتعج قاعدة البرج بالزائرين ، خاصـــة الامريكان وبالاخص اولئك اللاتي والذين تخطوا سن الستين والشاذ لا حكم له كما يقولون ، ولا يضايق السائح غير الامريكي سوى تصابي بعض الامريكيات اللاتي يحملن عبء الستين سنة خلت بما فيها !!! ، واذكر ان فنادق روما وفنادق مدريد والدار البيضاء تموج بهن وهـــن يملأن الجو حديثاً وحديثاً تافهاً غالبـــاً . ذكريات فقط واما الحافز فان اللاتي يتحدثن عنه قليلات جداً . اخذنا المصعـــد الكبير الذي يحمل خلقاً كثيرين على التعبير الصحراوي ، وصلنا الى الدور الثاني وارتفاعه ١٢٥ متراً وهو عبارة عن ردهات كبيرة تطل على طوكيو وبه بعض الباعة ثم اخذنا مصعداً آخر الى الدور الثالث الاعلى وارتفاعه ٢٢٥ مـــتراً وهو خاصة بالناظرين والناظرات وفيه كثير من اليابانيات واليابانيين ومنه ترى طوكيو الكبير وترى (يوكوهاما) والبحر والسفن الراسية فيه على بعد اكثر من ثلاثين ميلا ، وبالبرج منظار مكبر وبه العاب تسلية للاطفال ونصف الاطفال وبـــه مقصف ومشرب ومطعم منسق وارتفاع البرج كاملاً هو ٣٣٣ متراً ولكن جمال برج ايفل

لا يعادله جمال رغم ان برجاً جديداً فاق طولا برج ايفل. ففي برلين برج وفي طوكيو برج وفي القاهرة برج ولكن برج (ايفل) له محاسنه لانه يتوسط قلب باريس الحسناء.



برج طوكيو

ثم بحثت القائدة الحسناء على ضيوفها الذين هم نحن وجمعتنا واحداً واحدا ، وطلبت الينا التوجه الى الحافلة مرة اخرى وتجمعنا في الحافلة فالى الفندق الكبير وهكذا انتهت جولة في طوكيو رأينا بعض معالمها البارزة .

حفلة جيشا في تنكـة

وفي المساء كنت مدعواً الى تناول طعام العشاء برفقة الاستاذ احمد عبد الجبار وبعض الشباب العرب الادباء والحفلة تقام من قبل رجل أعمال ياباني وكان صديقنا الياباني المعروف وقد عرفناه في الرياض وجدة يتكلم العربية، كأحد ابنائها هو المستر (هياشي) شاب ظريف على جانب من الادب الرفيع ، تعـلم العربية بالازهر وطوف معظم البلاد العربية ، والدعوة من الغريب أنها في (تنكة) وهو محـل يسمى بهذا الاسم الغريب طبعاً وتوجهت مع الصديق الحبيب والشاعر الرقيـق المبدع ، وهو قد تعرف على الكثير من شوارع طوكيو ، ودخلنا شارعاً فرعياً واوقفنا السيارة امام منزل صغير نظيف ، وفي لحظة وصلت (بيشة) يجرها رجل نصف عجوز والبيشة كلها مغطاة كالهودج ووضع العارضين اللذين يجر بهما العربة وامرع الى خلف البيشة يساعد الحسناء من الجيشا التى تنزل في دلال وغنج ونزلت بعد ان اخذ بيدهـا الصغيرة البضة ودلفت مسرعة الى البيت الصغير النظيف ، وكانت مشيتها كالقطا فعلا لأن القبقـاب الخشبي يرغمها على مشية معينة خوفاً من السقوط : ثم ، نادانا المضيف المحترم ، وكان يبعد عنا نحواً من عشرة امتار من الجانب المقابل للشارع ، واتجهنا نحوه وانحنى وانحنينا طويلاً وانحنى كل الواقفين والواقفات ، وخلعنا الاحذية احتراماً للمحل النظيف الظريف ودخلنا منزلاً كل جداره بالخشب الجيد مفروشاً بحصر لطيفة كأنهـا سجاد لنعومة ودقة صنعه ، والمنزل عبارة عن غرف متداخلة في بعضها ، يفصلهـا عن بعضها حائط خشبي يسحب سحباً لا قفلا ، ودخلنا قاعة كبيرة تتوسطها مائدة لا ترتفع عن الارض باكثر من عشرة سنتيمترات صفت عليها انواع من الاكل اليـاباني الغريب عنا ، وجلسنا جميعاً وكان قد سبقنا شابان عربيان من رجال الدبلوماسية العرب في طوكيو وبدأ الحديث يطيب فتارة كان الحديث بالعربية وأخرى بالانجليزية والسيدهياشي كان نجم الجلسة لان من لا يعرف الانجليزية يترجم له باليابانية وهكذا ، ثم جاءت فتاة رائعة الجمال وانحنت بالتحية التقليدية وجلست القرفصاء في ركن الغرفـة

الكبيرة بثيابها الوطنية المزركشة الحريرية ذات الالوان الزاهية وبدأت تعزف عزفاً يابانياً جميلاً مع صوت خافت بالغناء ، وبعد نصف ساعة لم نشعر الا وصوت المطربة صباح (شحرورة الوادي) تغني بالعربية أغنية محببة لنفوسنا هي ميجانا وعتابا أراد مضيفنا مبالغة في اكرامنا ان يسمعنا صوتاً عربياً صميماً في طوكيو وكانت لفتة كريمة من الرجل ، ثم جيء بمشروب اليابان الوطني وهو ما يسمى (بالساكي) وهو عبارة عن عصير ارز يفتخر به الياباني ، فاعتذرت واعتذر الاستاذ أحمد عن شربه وقدموا لنا بدلا عنه عصير أناناس ، وكان احد الشباب العرب وهو ظريف أنيس يشرب من الساكي وقال قصيدة مطلعها :

املأي كأمي ساكي واشربي نخب هواك

ودارت احاديث شيقة متنوعة اهمها ما دار حول المرأة في العالم وفي اليابان ولاحظت ان احدى فتيات (الجيشا) مثقفة مطلعة ، حيث تحدثنا عن المرأة في الاسلام ، وكيف ان الاسلام كرم شخصية المرأة وجعل لها ذمة منفصلة عن الزوج ، وقد لاحظت ايضاً ان العقدة الرئيسية لدى المرأة اليابانية عن الاسلام انه سمح بتعدد المرأة وهذا ما لاحظته في اكثر نساء العالم ورجاله ايضاً وقلت للفتاة (الجيشا) ، ن الاسلام لم يطلق حق التعدد في الزواج بل قيده بقيود عدة ثم هو فوق اذلك اباحه لظروف خاصة بالمرأة رحمة بها من التسكع في الشوارع كما هو في (باريس) و (لندن) و (مدريد) .

صحيح ان للتعدد مساوىء اجتماعية كبيرة جداً يعاني المجتمع الاسلامي منها الكثير وصوره ترى في ردهات المحاكم والحوادث المتعددة في دفاتر (البوليس) ، الا ان هذا لا يعني ان مساوئه اكثر من محاسنه ولأن المساوىء جاءت من الاساءة في تطبيقه من الذواقين من الرجال ذوي اليسار مع الأسف الشديد . فحكمة التشريع للتعدد فيها كل المعاني الانسانية الكريمة. كان هذا الحديث يدور بيني وبين فتاة من (الجيشا) لها اطلاع طيب على الأديان ثم انهينا هذا الحديث بنكتة مصرية ضحك لها الجميع

وطاب السمر وكانت الابتسامات المعطرة تتهادى من شفاه الفتيات اللاتي كن يحاولن جاهدات ان يخلقن لنا جواً من البهجة والمتعة البريئة ، وجاء ذكر الصحراء وجمال الصحراء ووحي الصحراء فرجوت الأخ احمد عبد الجبار الشاعر ان يسمعنا شيئاً من شعره الرقيق ليكون الجو شاعريا بالحس والمعنى، وفي هذه الاثناء كانت فتيات الجيشا يدخلن للسلام والحديث وتوزيع الابتسامات العذاب، ونحن في (التنكة)!! ولكنها تنكة تفيض بالسرور المحبب الى النفس والروح معاً . ومن عادة الجلسات الخاصة بفتيات الجيشا انهن يوزعن وقتهن على اكثر من مجلس من المجالس التي تعقد في البيوت الخاصة بهن وهي متقاربة بل متلاصقة ، وهـذا ما يريـح طالب السمر والانس ان ينقل بصره من جمال الى آخر . ولقد كان من حسن حظنا ان عازفة القيثار الياباني أو الفتاة العازفة انها كانت رائد الجمال صافية البشرة ذات نظرات ساحرة فاتكة ، وحين جاءت رفيقة لها لتعزف كانت الاخرى تمتاز بجمال من نوع رائع الحسن ، وهكذا استمرت الليلة من العمر . ثم الححت مرة اخرى على الشاعر الرقيق فاستجاب ولكن لا لطلبي بل لان احدى فتيات الجيشا عرفت ان سيادته شاعر ، فطلبن هن ولبى الطلب ؛ واعتذر مرة اخرى في اصرار على عدم شرب الساكي لانه محرم في دنيانا وشرح سيادته كيف ان كل مسكر حرام وبدأ يقول لنا جزءاً من مقطوعاته الرائعة قال :

بحري السماء وزورقي البدر ... سر يا شراع وموجك الفكر
وانهض حبيبي نور زورقنا ... الحب والايمان والشعر
الحب في الدنيا نشيد أسى ... والحب في نايي له عطر
سر يا شراع فكلنا دنف ... في صدره الانواء والحجر

ثم قلت لسيادته وانا اذا رجوت هل يلبي الرجاء فابتسم وقال ولك انترجو :

على الشط سنا يبدو ... من الآمال يغرينا
وفي البحر رؤى ترنو ... عليها السحر يسبينا
وان دارت بنا الدنيا ... ففي الذكرى تعازينا

فقلت يا سيادة الشاعر اين شعرك العاطفي الخلاق المبدع ! لم تسمعنا منه شيئاً وشاركني في ذلك دبلوماسي عربي من بلد شقيق يتذوق الشعر ويقوله احيانا وبعد ان طاب السمر واصبح الجو جو شعر وأدب اتحفنا الاستاذ احمد عبد الجبار بهذه المقطوعة :

يا حب يا أشقر	يا كل ما أضمر
انت الدنا زفها	نحوي الشذا المسكر
فيك الرؤى فرحة	ترنو اليها الاعصر
والنجم في فلكه	يهواك والنيّر
يا حلو طاب المنى	وطاب لي المزهر
غني معي ساعة	وقم بنا نسمر
الكون في غفوة	والصبح قد يسفر

واستمر الانس والجو الشعري ، وراحت الفتيات يرقصن رقصة العامل والحجر وهي رقصة وطنية فيها مشاركة للعامل في عمله الشاق وتمجيد للعمل ، ورقص بعضنا واعتذر احمد عبد الجبار واعتذرت أيضاً ، ثم بدأت الحفلة في الانتهاء بتحية رقيقة من فتيات الجيشا ومن المضيف لنا والحاضرين . وهكذا انتهت ليلة من ليالي الجيشا (بطوكيو) .

فتاة الجيشا

لا اعتقد ان اي انسان يريد زيارة اليابان أو يسمع حديثاً عن اليابان من زائر لها الا ويتبادر الى ذهنه سؤال تقليدي ، هل رأيت بنات الجيشا ؟؟ كيف هن بنات الجيشا ؟ ذلك لأن الكتاب والزائرين اضفوا على بنات الجيشا الشيء الكثير من الاوصاف والنعوت العجيبة والمشوقة للمعرفة ، ولقد حدثني ياباني مطلع عن اصل (الجيشا) قال : عندما كانت (نارا) عاصمة اليابان ثم بفعل عوامل

طبيعية انتقلت العاصمة الى (كيوتو) كان هناك جماعة من الفرسان الاشداء الذين يحمون الامبراطور عندما كان مؤلها ، وقد تركهم الشعب وانصرفوا كبشر لملذاتهم الخاصة وانصرف قسم منهم الى الفن ، والفن الغنائي بصورة خاصة وما يتبع ذلك من مجالس الانس والطرب ، فوضع هؤلاء أو القسم الذي انصرف للفن ، وضعوا (نظام الجيشا) للمتع الشخصية البريئة للفن ذاته ، ومنه تطور نظام الجيشا فاستهواه الشعب كله واصبحت له مدارس لتخريج فتيات (الجيشا) وهن فتيات لسن لمتع غير بريئة ، ومن يظن ذلك على اطلاقه يقع في خطأ كبير جدا ، لأن بعض فتيات الجيشا يعتبرن خدمة الزائر لبلدهم هي جزء من عبادة أو تقدير الاجنبي ووجوب رعايته واشعاره بأنه في بلد كريم ، وقد ناقشت بعض فتيات الجيشا فكن على جانب من الثقافة العامة وليس في حديثهن شيء من الميوعة أو ما يدل على غرض غير شريف وهم غير بنات المعبد في الهند اللاتي يعرفهن بعض سواح الهند !!! صحيح ان في فتيات (الجيشا) الكثير من الخاطئات ولكن قسما منهن ليس كذلك بالمرة ، ولا بد انك يا سيدي القارىء تذكر (الموصلي) العربي الذي كان يهتم بتعليم القيان من الفتيات اللاتي كن يقمن بما تقوم به الجيشا اليوم من ترفيه بريء .

حمام تركي في اليابان

ومن الطف الاشياء عندما تزور اليابان اخذ حمام تركي ياباني ذلك هو مـــا اشتهرت بـــه طوكيو فقد اخبرني صديق من سنغافورة ان اخـذ الحمام من مزايا طوكيو وضرورة من ضرورات الزيارة ، فسألت صديقاً في طوكيو اين يمكن اخذ الحمام التركي ؟ اجاب انها بكثرة هنا في طوكيو : وكل مكان محترم فيه اكثر من حمام تركي واحد ، قلت في نفسي إن افضل ما آخذ فيه الحمام ، هو فندق (اليابان الجديدة) ، وذهبت الى الفندق وصعدت الى الدور المخصص لاخذ الحمام ودخلت فاستقبلتني سيدة وقور وانحنت في ادب جم ولطف انساني. قلت اريد حماماً تركياً اجــابت ، يسعدنا ذلك ، تفضل ، ودخلت غرفة بها صالون صغير جداً به ادوات

الزينة ومناشف معلقة نظيفة جداً ، ثم جاءت فتاة وطلبت الي الدخول الى غرفة البخار واعطتني التعليمات كاملة فاتبعتها وادخلت نفسي داخل اخشاب ثم اعطيتها اشارة معينة عن طريق الصوت فاطلقت عليّ بخاراً احالني الى قطعـــة من العرق واعطيتها اشارة اخرى عن طريق زر كهربائي بأني بدأت انضج من الحرارة ثم بدأت تخفيف البخار حتى شعرت براحة عظيمة وساعدتني بتعليماتها على بقيةالعملية التي ارتحت لها كثيراً جـــداً حيث شعرت بنشاط عجيب لم اعهده في حياتي ابداً وخرجت شاكراً للسيدة الوقور لطفهاوللفتاة المهذبة المخلصة لعملها رعايتها وهكذا نزلت الىصالة الفندق العظيم لاجد سعادة السفيرالسيد احمدعبد الجبار في انتظاري. وجلسنا نتحدث عن البلد واخباره وقــد حمل معه بعض الصحف ، وهو شغوف بسماع اخبار البلد . وفي الفندق العظيم تشاهد رجال الاعمال الامريكان في كل زاوية من زواياه الفخمة جداً ، ورأيت منظراً لا انساه ذلك هو دخول سيـــدة امريكية فارعة القوام وخلفها ثلاث سيدات يابانيات كأنهن بناتها مع انها اصغر منهن سناً وكان منظراً لفت فيه نظر السفير الذي قال اننا تعودنا مثل هذه المناظر هنا ، ومن حسن الحظ ان سعادة سفيرنا يتمتع ببعض القصر في قامته ، لذلك فهو محبوب جداً في اليابان وموضع تقديرهم هناك ؛ وهنا يطيب لي ان اشكر سعادته شكر الصديق والأخ والزميل في الدراسة من قديم الزمن ؛ وتتمتع حرم السفير هناك بمكانة اجتماعية مرموقةحيث تكتب عنها الصحفاليابانيةفي اعمدتها الاجتماعية ما يشرف المرأة العربية .

البوذية والاسلام في اليابان

والبوذية طبعاً هي الدين الرسمي في اليابان ولكن بقية الاديان تعتنق هناك والاسلام لم ينتشر مع الاسف الشديد ، والبوذية غزت اليابان عن طريق الصين وذلك قبل ٦٠٠ سنة وبعضهم يقول ان البوذية قدمت من الهند والصحيح كما قال البروفسور (بروسن) سفير اميركا في اليابان ان البوذية قدمت من الصين ، ذلك ان كوريا هي الجسر الطبيعي بين الصين واليابان ومنها تعبر الافكار والجيوش ، والخليج هو الذي يقرر ذلك فعندما قدم جيش المغول يريد غزو اليابان وكان جيشاً مسلحاً اصابته العواصف الهوجاء في الخليج وغرقت السفن بمن فيها في بحر الخليج خليج كوريا وهكذا لم يقدر للاسلام ان يدخل اليابان فاتحاً ، واصل الدين في اليابان كان ديناً اسمه (الشينتو) شعاره الشمس واحترام رب العائلة ورئيس العائلة هو الرب . وكان الحكام من النساء ثم حصلت منافسة قوية بين الرجل والمرأة ، وهذه العقيدة تمثل الآن ودائماً على مسارح (كابوكي) حيث تظهر العقيدة القديمة وحيث جاء رجل بطل والغى الأمراء المترفين واصبح هو السيد لانه من الشعب ، وسادت فكرة الرجل الواحد الحاكم ، ومنه تطورت الى فكرة الامبراطور (الهيروهيتو) . اما الدين المسيحي ، فحاول ان ينتشر في اليابان ، ذلك انه في القرن الثامن عشر جاءت عدة سفن برتغالية وامريكية تريد التزود بالماء والفحم فمنعهم اليابانيون وقامت معركة ضربت فيها البواخر السواحل اليابانية ثم وقع اتفاق انهزمت فيه اليابان وبدأ الدين المسيحي ينتشر رويداً حتى وصل

معتنقوه الى ١٥٠ الف مسيحي ياباني . ولما رأى الامبراطور ذلك خشي على الدين البوذي وقتل كل المسيحيين وبهذا اوقف انتشار الدين المسيحي . اما الدين الاسلامي فلا يوجد مسلمون يابانيون سوى قلة لا تذكر لان المسلمين مقصرون في التبشير بالدين الاسلامي في اليابان ، واليابانيون شديدو الشوق لمعرفة الاسلام الصحيح ، وانه دين سمح يقضي على الطقوس السخيفةالتي اوجدتها البوذية . وحدثني الكثيرعن ذلك حتى بعض طلاب وطالبات الجامعة طلبوا مني كتباً عن ذلك فأرشدتهم الى افضل كتاب ظهر حتى الآن وهو كتاب مولاي ابي الحسن علي الحسن الندوي (ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين) لانه مترجم الى الانجليزية وارجو ان تهتم به هيئات مسلمة لتوزيعه مجاناً في اليابان ، وفي غيرها من بلاد الله التي تبحث عن دين لا يؤمن بالخرافات ولا يؤمن ولا يدين بالاشخاص ولا يؤله انساناً او يهين كرامة الانسانية لان الاسلام ثورة على الذل ، على المهانة ، انه كرامة انسانية؛ هذا هو الاسلام الصحيح ، وهو الذي يبحث عنه اصحاب عدم الديانات ، واليابانيون المفكرون منهم يبحثون عن دين متطور يتفق مع مقتضيات العصر الحديث في حدود المنطق والعقل كالدين الاسلامي .

واليابان شعب مفكر يميل الى الفلسفة ويعشقها ولذلك اعتنق البوذية بعد ان كانت لديه ديانات متعددة يقدس الرجل بعضها وبعضها يقدس المرأة ، هذا وقد اقتنعت بأن الشعب الياباني سيكون له دور خطير في مستقبل العالم الحضاري ذلك لانه يعمل في جد ونشاط ويريد ان يسابق الزمن في سيره ، وبعد ايام جميلة جداً قضيتها في (طوكيو) وضواحيها ، قررت مغادرة اليابان وانا آسف على فراقها جدا لاني وددت لو ان الظروف تسمح بأقامة اكثر ولكن ... ، وذهبت الى شركة الطيران *B.O.A.C* ، وهي الشركة التي يمكن ان توصلني الى عروس الشرق الاقصى (تايلاند) في يسر وسهولة ووجدت شابا يابانيا يفيض حيوية وذكاءً ويتجمل بالخلق الحسن وكان يتقبل سؤالات عجائز نيويورك وواشنطن بصدر رحب وما اكثرهن في (طوكيو) وفي اجزاء الشرق الاقصى وهن يصرفن من الدولار

الامريكي المحبوب هناك !! ، وقد انتهت الاجراءات الخاصة بالسفر ، وودعت شاكراً سعادة السفير الشاعر و الاديب الاستاذ الصديق احمد عبد الجبار واعضاء بعثته الدبلوماسية العربية هناك حيث لقيت منهم المحبة والمودة والتقدير طيلة الايام السعيدة التي قضيتها في (طوكيو) العاصمة التي لا تنام والتي تموج ليلا بالسرور والمتعة ونهاراً بالعمل والعمل المنتج وعلى نطاق كبير ، وتوجهت الى المطار وفي نفسي حسرة على فراق (طوكيو) وسكان (طوكيو) وصعدنا الطائرة النفاثة ومن حسن الحظ انه كان رفيقي في الرحلة (بروفسور) ياباني متخصص في (الجيولوجيا) وكان على جانب من الادب الرفيع وتحدثنا طويلا عن اليابان ، سألته كيف دخلت البوذية اليابان قال انها دخلت اليابان منذ ٦٠٠ سنة عن طريق الصين من الخليج الذي يربط اليابان (بكوريا) الجنوبية ، سألته عن عدد الجامعات في اليابان قال انها تبلغ اكثر من ثلاثمائة جامعة بين حكومية واهلية وفي طوكيو وحدها اكثر من ثلاثين جامعة لان سكان (طوكيو) اكثر من تسعة ملايين نسمة ثم تطرق الحديث الى مهمته فأجاب انه ذاهب الى مؤتمر يعقد في (بانكوك) لبعض دول آسيا للبحث عن طرق الاستفادة من الثروات الطبيعية فيها ، وتحدثنا عن اليابان وعن تجارتها وعلمت منه ان ٣٠ ٪ من الصادرات اليابانية تذهب الى امريكا و ١٥ ٪ للشرق الاوسط و ٢ ٪ الى امرائيل لان اليابان تستورد منها الفوسفات وتستورده ايضاً من الاردن وبكميات اكبر من امرائيل حجما . والسيد (البروفسور) له تلاميذ يعملون في شركة الزيت السعودية اليابانية في المنطقة المحايدة ، قلت ألم تحاول باعتبارك عالماً دراسة الدين الاسلامي وهل هو صالح لكم اكثر من البوذية ؟ قال الرجل في هدوء عجيب : أنا مشتاق لدراسة الدين الاسلامي واليابان شعب يحب الدراسة والاطلاع ، وتحدثنا عن الاسلام طويلا حتى وصلنا (هونج كونج) ونزلنا للاستراحة القصيرة ثم تابعنا السفر الى عروس الشرق الاقصى ، الى البلد الذي تتحدث عنه الصحف ومراسلو المجلات العالمية من انه بلد الجمال الطبيعي خاصة المرأة التي تمثل جمال حواء على حقيقته المجردة من كل (رتوش) .

الى سيـــام

هبطت الطائرة وحط حديقة كبيرة تحيطها الزهور وخاصة زهرة (اللوتس) الرائعة الجمال الغالية الثمن ذات الالوان البهيجة، ومن العجيب اني كنت فرحاً جداً حين دخلت هذا البلد ولا ادري سبباً لذلك حيث كنت آسف على فراق اليابان ولكن يظهر ان الطبيعة هناك باسمة مرحة تتجلى في كل قطعة من الارض، ووصلت الفندق بعد ان مررنا بطريق يعبد حديثاً وعلى جانبيه تطل زهرات (اللوتس) الذي تصدر منه تايلاند الكثير الى بعض بلاد العالم ، ولقد أقرت بعض ما كتبه الرحالة عن (سيام) هذه ولدي صور ذلك في ذهني خاصة عن الطبيعة الباسمة وعن المرأة والمرأة الطبيعية دون زينة أو بهرجة زائفة . وصلت الفندق ووضعت حقيبتي وخرجت الى الشارع الرئيسي في المدينة لاتطلع واتمتع برؤية عروس الشرق الاقصى، وكان الفندق في شارع رئيسي بالمدينة اول ما رأيت وكان به عرائس جميلة تباع بالجملة وهي من صنع الفنانين السياميين وكانت التماثيل كلها تحكي وتصور وتظهر جمال مفاتن المرأة وخاصة السيامية لأن المرأة السيامية كالقطة السيامية نعومة في قوام مسبكر لا عوج فيه ولا قـــصر ولا طول ولا انف افطس انما بين كل جمال وسط والمرأة السيامية وديعة فيها نداء جنسي عجيب حتى التي لم تهبها الطبيعة جمالا تشعر نحوهـــا بشيء من الجاذبية ، ودخلت الدكان العجيب واشتريت تمثالاً لجمال امرأة سيامية انه قطعة فنية انسانية وقد تمنيت شراء آخر وآخر ولكن تقاليدنا المنزلية لا تسمح بذلك ! ثم اخـــذت اطوف الشوارع واحداً اثر الآخر وارسم خريطة في ذهني للفندق لانه من الصعوبة بمكان ان تجد من يفهم الانكليزية أو اي لغة اخرى غير السيامية التي من المستحيل ان تفهم كلمة واحدة منها لانها لغة (الكاف) ففيها الكاف كثيرة جداً ، وهي تشبه الى حد ما الصينية حيث لا تسمع الا (شاو كاو) (كاويش شا) وهكذا . والبلد سياحية من الطراز الاول حيث تعنى بما يهم السائح الا موضوع فهم اللغة مـــع الاسف في اعمـــال الصياغة حيث نجد ما نقتنع بشرائه من مصوغاتهم . وفي المساء عدت الى الفندق لاسهر مساء في المسرح الرسمي للدولة ، وقد اخبرت الفندق بحجز مقعد لي لان السواح الامريكان يملأون (بانكوك) ولانها هي قاعدة حلف جنوب

شرقي آسيا ، ولانها دولة مسالمة بطبيعتها ، وتجد القوات الامريكية منتشرة وكذا ترى في المطار العلم الامريكي والطائرات هابطة صاعدة . وحدث اني طلبت رؤية حقيبتي للتأكد من انها دخلت مخزن (الاتوبوس) وحالا اجابني احد الاميركان بأن اطمئن ، سألته لماذا ؟ قال : طالما العلم الامريكي مرتفع هنا يعني الامان على حقك، وضحكت ! وقلت له ، ولكن لديكم بأمريكا تحصل سرقات وسرقات كبيرة جداً حتى ان (ترومان) سرق فلسطين كلها ووهبها لليهود !! ضحك الرجل وكان لطيفاً وديعا واصبحنا اصدقاء ونزلنا بفندق واحد وكان من (كاليفورنيا) ، والحقيقة انه لم تحصل سرقة واحدة رغم ان الركاب لم يروا حقائبهم . والشرق الاقصى مخيف في هذه الناحية أي السرقة باستثناء اليابان ، التي تشعرك بعظمة الشعب ومتانة خلقه ، وحين حان وقت السهرة قلت لمرافقي صاحب سيارة خاصة ويستعملها للأجرة احيانا ، هيّا بنا الى المسرح لنشاهد بعض فنكم الرفيع فالى المسرح الكبير، ومضينا ونحن في حديث عن جمال (بانكوك) وجمال نسائها ، ويتحدث معي دون تعصب بل ينتابه زهو احيانا حين نغرق في الحديث عن مفاتن المرأة السيامية وانوثتها الصارخة ، ثم وصلنا الى المسرح الكبير وهو يقع امام دار البرلمان تحيط به حدائق جميلة واسعة تزينها زهور وورود من كل لون ونوع ودخلت المسرح العظيم فاذا به يغص بالسواح الامريكان وغيرهم ولم اجد من المواطنين السياميين الا قلة بسيطة جداً ، وبدأ البرنامج ببعض رقصات شعبية بملابس وطنية قامت بالرقصات فتيات في عمر الورد جميلات على فمهن ابتسامات الرضا والحب ثم تتابعت البرامج وكانت تقدم البرنامج فتاة رائعة الحسن وتجيد الانكليزية وهي من ام سيامية واب انكليزي . تصور كيف نتاج هذا الخليط اللطيف (الكوكتيل) البشري ! إنها رائعة انسانية وتتكلم الانكليزية كبنت (التايمز) ثم عرضت نمرة فيها فن سيامي رائع تلك هي مبارزة السيوف وقد بدأ الفارسان أو البطلان (البوذا) وكانت السيوف تلمع وهي حقيقية تقريبا ولو اخطأ احدهم لقضى نحب الآخر أو اصيب اصابة قاتلة وكنت ترى الشرر يتطاير حقا من قراع السيوف وصليلها ، كانت نمرة حبست انفاس المتفرجين ، ثم توالت النمر حتى جاءت فقرة في البرنامج

وقدمتها الفتاة الحسناء على انها رقصة محمّدية هكذا !؟ ورقصت فتاة رقصة شبه شرقية كالتي نراها في مسارحنا ببيروت والقاهرة احياناً ، وهنا عكر صفوي هذا الخلط العجيب والجهل المطبق لواضع البرنامج ومخرجه ، وفي الليلة التالية جئت الى المسرح مبكراً وقابلت الفتاة رائعة الحسن وكنت في حالة عتاب معها قلت لها ان هذا خطأ فمحمد لم يكن له مدرسة رقص بل مدرسة خلق وتهذيب ورسالة روحية قالت انا مقدمة برنامج فقط وارجوك ان تتفاهم مع السيد المدير وقابلت نائب المدير وافهمته الخطأ وان هذه الرقصة تسمى رقصة شرقية في كل ملاهي العالم ومسارحه ، قال نعم ولكن الامريكان لا يفهمونها الا هكذا وأصر المتعصب على رأيه وقدمت الرقصة على انها (محمّدية) مع الأسف الشديد ، وانا لست متعصباً انما الخلط والافتراء على الحقيقة يجعل مني متعصباً تعصباً اعمى كما يقولون لأن بعض الآخرين غير المسلمين يحقدون على شيء اسمه الاسلام فقط دون وعي ودون علم ، مع ان قسماً كبيراً من المسلمين لا يتعصبون ألا في مواطن التعصب ،ويكفي ان تعلم يا اخي القارىء ان اتباع (بوذا) في الشرق الاقصى كلهم تقريباً متعصبون تعصباً أعمى حتى ثقافتهم العظيمة تتلاشى تجاه ديانتهم وطقوسها العجيبة جداً !!!

وتتميز سيام بكثرة قنواتها التي تمر حتى في المدن وبين المنازل والمياه تغمر كل شيء تقريباً والاسواق تعقد على ضفاف النهر ويجري البيع والشراء والمواصلات اكثرها نهرية حيث تباع الفواكه والخضروات وغيرهما مما تحتاجه ربة البيت .

وفي سيام يوجد نهر عظيم جداً وهو سريع الحركة عميق الغور يتموج بشكل مروع دائماً أسمه (جاوبراءما) أي سيد الانهار ويشطر مدينة (بانكوك) الى شطرين ، وبانكوك فيها معابد بوذية كثيرة وانيقة وفيها اولئك المتعصبون لبوذا والذين يسمون (بوذي مانج) وهذا يعني الشاب أو الرجل الذي يهب نفسه لبوذا ويلبس لباساً خاصاً عبارة عن قطعة قماش من البفته مصبوغة بصبغة صفراء فقط ويحلق رأسه ويحمل كتابه ويلبس نعلا مفتوحاً ، وهؤلاء متعصبون أو هم غلاة البوذية ، ولا يحفلون بالدنيا ابداً ويتصدق الناس عليهم طعاماً ونقوداً ،وهم محل

تقدير الجماهير الجاهلة غالباً الدهماء ، ولهؤلاء (البوذي مانج) أماكن خاصة تشبه عندنا (الرباط) يقيمون فيـــه ويصلهم الطعام في مناسبات من المتصدقين او اصحاب النذور كما هو لدينا سابقاً ولهؤلاء اهميـــة في الشرق الاقصى خاصة في (سيام) و (بورما) حيث تجدهم منتشرين هنا وهناك ومن السياسة ان ملك سيام لبس ثياب (البوذي مانج) كما ترى في الصورة .

ويدعى (البوذي مانج) الى حفلات أكل كما ترى في الصورة بلباسهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم ويشير الى تعصبهم المقيت . والشباب المثقف في سيام لا يعير اهتماماً لهؤلاء خاصة اولئك الذين اختلـــطوا كثيراً بالسياح الامريكان لان (السيام) بلد سياحي من الطـــراز الأول حيث يستطيع السائح ان يجـــد كل وسائل اشباع هوايته وما يريده من البلد الذي يقصده ومن كل لون ونوع . وعدت الى الفندق مساء بعد قضاء سهرة ممتعة بريئة ، وبقيت في بهـــو الفندق انظر الى التلفزيون

ملك سيام

(المرناة) على رأي فضيلة الشيخ حمد الجاسر ، وفي التلفزيون لا ترى الا دعايـــة

فقط وبعض صور منقولة من حفلات عامة واغلب برامج التلفزيون السياحي دعاية حكومية صرفة وكذا دعاية تجارية ثم فوق هذا كله اظهار امريكا ومن يدور في فلكها مثل سيام بمظهر الدولة الاولى في العالم. ولغة سيام عجيبة جداً وموسيقاهم تشبه الى حد كبير الموسيقى السودانية وكذا الغناء انه يكاد يكون نفسه يذاع من الخرطوم، ويجيد السياميون فن الرقص الشعبي الخاص بهم اجـــادة عجيبة فترى كل المسارح الشعبية تقدم هذه الرقصات التي فيهـــا فن وفيها اغراء وفيها تعبير صادق لفن أصيل، ولقد شاهدت اكثر من رقصة في اكثر من مسرح واحد حتى الملاهي التي تقدم براجاً غربية تتحف نظارها أو سمارها على الاصح برقصة شعبية تقوم بها العذارى وغير العذارى من فتيات سيام، ولقد اتيحت لي فرصة



رقصة شعبية في سيام

رؤية فن المصارعة السياميـــة وهي مصارعة خاصة بسيام على ما يظهر. وقواعد المصارعة والملاكمة تختلف عما نراه في الصور والسينما والتلفزيون، فمثلا هذه صورة ملاكمة فيها قفز على الاكتاف ومسك للساق وهكذا ثم صعود على الخصم اذا تمكن

منه .وفي بانكوك تجد القديم البالي من تقاليد ولباس سيام وتجد آخر مـــا وصلت اليه المدنية الحديثة فهذا شاب يرتدي لباساً خاصاً بسيام وكأنه في غابـــة وآخر يرتدي بذلة أو القميص الامريكاني المشجر وهكذا ، وفي (تايلاند) سيام يوجد ثلاثة ملايين مسلم يسكنون جنوب المملكة السيامية وهم يعيشون مع السياميين في سلام لان طبيعة السيامي السلام وعدم الحرب لذلك فهم معرضون دائمـــاً لغزو (بورما) وهم أقل عدداً من السياميين لكنهم أشد بأساً وأشد قوة لان الطبيعة السيامية خـيّرة طيـّعة خاصة في الجنس الناعم في واقعه وطبيعته السمحة .

والطبيعـــة معطاة سخية في (تايلانـــد) سخيـــة في كل شيء ومناظر (بانكوك) العاصمة الباسمة المرحـــة تضمك بذراعيها مرحبة بك، و (تايلاند) تعني (بلاد الاحرار) أو كما يسميها بعضهم (بلاد الابتسامات) ، ومن الطريف اني كنت ابحث عن قطة سيامية اشتريها لاصحبها معي ولكن كل شيء موجود الا القطه السيامية التي نراها في القاهرة والتى تباع باثمان باهظة . والقطه السيامية كالمرأة السيامية تمامـــاً ، وتضم (تايلاند) نحو (٢٠٩٥٠) معبداً للديانة البوذية ويسمون المعبد (باجاوا) ، وكما قلت ان (تايلاند) تشبه البندقية الى حد كبير جداً حيث تتخلل القنوات الشوارع أو هـــي الشوارع على الاصح . وملك (تايلاند) وملكته محبوبان من الجماهير وقد رأيت كيف ان الشعب يكاد يسجد بعضه لمرورهما في الشارع الى حفلة عامة والملكة جميلة جـــداً بل هي اجمل ملكة على الاطلاق ! ، وبعد اربعة ايام واربع ليال غادرت (بانكوك) آسفاً كل الأسف على فراقها وكنت اتمنى لو ان صديقاً معي يشاركني لذة رؤية هذا الشعب المسالم الطيب الجميل ، وغادرت (بانكوك) الى (بورما) ولم ارغب زيارة (بورما) نظراً لما قلته لـــك يا اخي القارىء عن انها بلد يتعاون تعاونا كاملا مع اسرائيل ، ولكن الطائرة العظيمة تصل الى هناك الى بورما لأستقلها الى القاهرة ، وحلقت بنا طائرة (بورماوية) من طراز (فايكاونت) وصلنا بعد ساعة ونصف وهبطنـــا مطار بورما وكان التفتيش سيئاً للغاية حتى اني طلبت من الموظف المختص ان تبقى

حقيبتاي في الجمرك آخذها لدى العودة لانه لا بد من بقائي ليلتين في هذا البلد الذي يجب ان ازوره قسراً . وصلت الى الفندق ولم اجد البرقيــة التي ارسلتها من (بانكوك) لحجز غرفــة بالفندق ، ونظرت الى الرجل مدير الفندق فاذا هو يهودي وحاولت معه تدبير غرفة أنام فيها ليلتين وبعد لأي ومساومات اقنعت الرجل وصعدت الفندق واذاهو من الدرجة الثالثة ، والفقر ظاهر على كل جوانبه وهو احدث فندق في « رانجون » وبقيت الليلة . وصباحاً خرجت لارى المدينة واذا بالسحنات هندية بدائية واذا القوم لا شيء عندهم سوى النهر العظيم الذي يشبه البحر في عظمته حيث ترتاده البواخر الكبيرة وشواطئه محل نزهة المواطنين هناك وهــم يلبسون « الفوطة » الوزرة بشكل عجيب ، وتباع النقود الاجنبية في السوق السوداء علنا وبشكل غريب جداً ، ولم اجد محلا اقضي به الامسية سوى مسرح صغير جدا وكان (كملب الليل) معتم سخيف تباع الصور على بابــه .

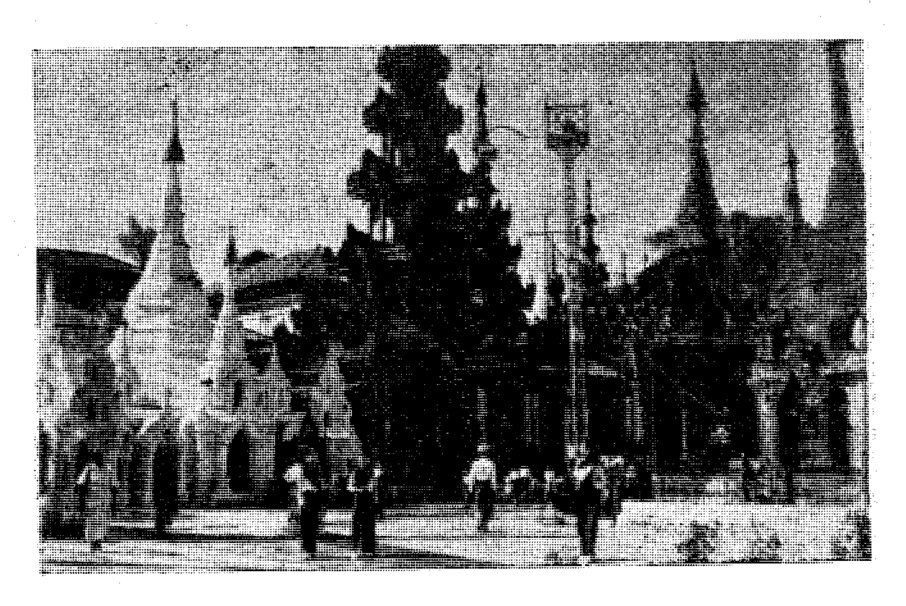
وعدت الفندق وصباحا ذهبت الى المدينــة لأرى باعــة الجوهرات لان بورمــا اشتهرت بصنع الجوهرات ورخصها والواقع انهم بارعون جداً في صياغــة الذهب والفضة براعة مذهلة ، وطريقتهم عجيبة جداً ، حيث ان صاحب المتجر اعــد مجلساً صغيراً للزبون يجلس القرفصاء وتعرض عليه نفائس المصوغات الغالية الثمن والاحجار الكريمة المرصعة في مختلف الانواع من القطع الذهبية على درجات مختلفة وقد بهرت لرؤية هذه النفائس الكثيرة واشتريت بقدر ما بقي معي من بقايا نقود لرحــلة طويلة جدا واسفت حيث لم اجد مــا احقق ولو بعض رغبتي في الشــراء للسمراوين ابنتي « أمل » و « مي » ، ثم تجولت ورأيت المتعصبين جداً (البوذي مانج) الشباب الضائع الذي يذيب زهرة الحياة في شحاذة مستمرة وهداية للناس اتباع (بوذا) ولا غير ذلك (١) .

(١) وبمناسبة (البوذي مانج) ، فالبوذية منتشرة في الشرق الاقصى واهم مراكزها تايلاند وبورما (وبوذا) تعني الحكيم واسمه الاصلي هو (ساكيا موني) كان ولياً لعهد مملكة نيبال ويعيش في ترف وعيش رغيــد ولكنه اي (ساكيا) انصرف الى الدراسات الروحية وبدأ يتعبد وحيداً ، (وقد عاش قبل الميلاد بنحو ستة قرون) وفي سن الاربعين بدأ ينشر دعوته الى الحب والسلام وعدم الكذب والقتل حيث كانت الاضطرابات الدامية تجتاح تلك المنطقة . ومات الحكيم اي (بوذا) وعمره ستة وثمانون عاماً .

وعدت الى الفندق ظهراً وكان الجو حاراً جداً، وتصفحت الجريدة التي افادت ان مظاهرات خطيرة قام بها هؤلاء المتعصبون ضد بناء خمس مساجد في (رانجون) وقد جرح في هذه المظاهرة كثيرون وسيقومون بمظاهرة اخرى في اليوم التالي ، ولكن رئيس الوزراء حينذاك كان حازماً وصمم على تنفيذ البناء وهو (بوذي) الديانــة ، وللمتعصبين نفوذ كبير ولكن المسلمين اقوياء في بورما ولكنهم اقلية ، ومساء ذهبت الى بعض الحدائق الغناء في مدينة (رانجون) واذا هؤلاء المتعصبون يملأون الحدائق ايضاً ومعهم بعض العبيد يحملون لهم النقود التي يتبرع لهم بها الشعب وهم لا يحملونها لأنها شيء دنيوي وهم اكبر من ذلك ومع هذا يأخذونها عن طريق الصبية الصغار . ومررت في الطريق على تمثال لأحد (البوذي مانج) ، وفي الحدائق العامة لاحظت امراً عجيباً هو تدخين المرأة البورماوية للسيجار الضخم دون تعب ما او ارهاق وهي تبيع على ابواب الحدائق ما يحتاجه الزوار لها . ورانجون اشتهرت بالمعابد الكبيرة المذهبة والعجيبة وقد وصلت لارى احدها واشترطوا ان اخلع الجزمة وكذا الشراب فلم اوافق واكتفيت برؤية المعــابد من الخارج ولكن بعضها دخلتها فاذا هذه تحدثني عن سماحة الاسلام وجلال بساطة مسجده المنير وعدم تعقيده .

ثم عدت الى الفندق لانام مبكراً وانتظر الطائرة الصديقة لي في رحلتي ، وصلت الفندق فاذا ضجة وخطب ، وسألت ما هــذا ؟ قيل لي انه عرس كبير يحضره رئيس الوزراء وانتظرت في صالة الفندق لارى الحفــل الكبير وعند خروج المدعوين استعرضت الجموع كلها تقريباً فلم ار اي جمــال يستحق ان أنقل لك صورته ولو بالقلم يا سيدي القــارىء : وجوه هنديــة وصينية و (فوط) (بنَشْطه) غير منظمة في لبسها ايضاً ، كل الذي لاحظته المجوهرات التي تتلألأ على نحور غير جميلة كما كنت انتظر ان ارويه لك ، وذهبت الى غرفتي وانتظرت حتى ساعة متأخرة من الليل وفي الصباح وصلت الطائرة وذهبت الى المطار الذي يزعج المسافر ولا يوجد فيه ما يستحق ان يشتريه كتذكار .

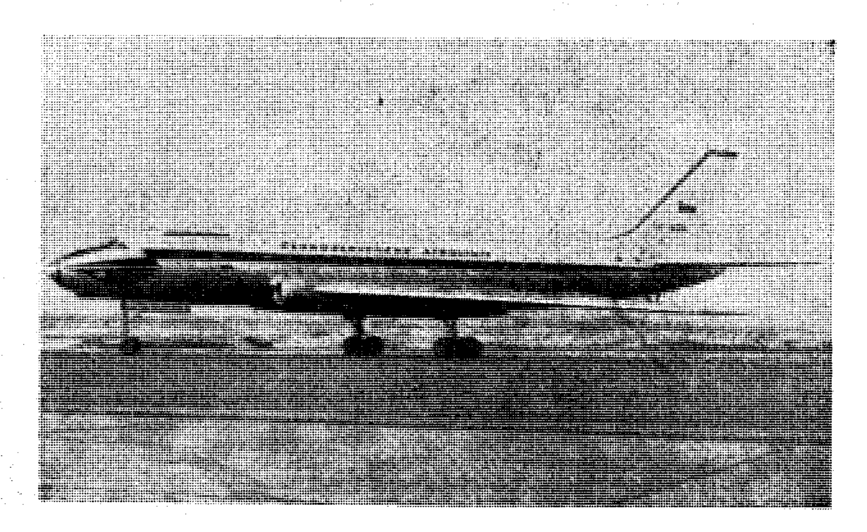
وصعدنا الطائرة Tu 104 التشيكية السريعة المريحة غير المنظمة من الداخل ، وصعدت كالصاروخ الى (بومباي) . وصلنا مطار (بومباي) بعد طيران ست ساعات وكان المطار يدل على فقر مطار بومباي لانه يضم اخاديد كثيرة احدثت هزات عنيفة للطائرات السريعة وادخلونا في غرفة خاصة لاننا (ترانزيت) وبقينا كأننا في سجن تماماً لمدة ساعتين .



فن معماري رائع في رانجون

واخيراً تركنا بومباي في طريقنا الى الوطن العزيز الى الظهران وعبرنا المحيط الكبير يلفنا الظلام والضباب والطائرة تخترق السحب حتى سيطرت في الجو وبعد ساعات ثلاث كنا على اطراف الجزيرة العربية التي انجبت الرجال ايام زمان . هذه جزر صغيرة هنا وهناك وهذه قطر وهذه الكويت من بعيد ثم وصلنا سماء الظهران وانا اطل عليه من النافذة النظيفة وبقينا ندور في سماء المطار وسألنا السبب وعلمنا ان نسورنا البواسل وصلوا لتوّهم من جدة وانهم يجب ان يهبطوا قبلنا وحلقنـــا طويلاً ثم هبطنا في سلام وامان الساعة الحادية عشر مساء من يوم الاثنين ٣٠-١٠-١٩٦١ وهنـــا التقيت بالصديق السيد هاشم عبنوسة الموظف بالخطوط السعودية

واستقبلني استقبالاً اخوياً شكرته عليـــه وسألته عن الاخبار وتحدثنا طويلا ثم قابلت موظفاً صديقاً من الجمارك وافادني ان جلالة الملك المعظم قـــد طرد وزير آخر زمان طلال بن عبد العزيز من الوزارة لانه تصرف تصرفات شاذة كعادته دائماً وان جلالة الملك عين غيره والوضع اصبح افضل مما كان عليه ، وسلمت على كثير من الاخوان المواطنين وقـــد شعرت بشعور ارتياح لعودتي الى الوطن الحبيب بعد رحلة طويلة ، وبعد ان انتهت اجراءات تعبئة الطائرة الكبيرة من قبـــل



الطائرة التي مر ذكرها في هذا الكتاب

موظفي السيد (نانخر) وكيل الشركة في الظهران غادرناها متوجهين الى القاهرة وكالعادة شقت الطائرة طريقها نحو الاجواء العليا وبعد ساعة كنا في مجموعة سحب كثيفة عالية وكانت مشحونة بالكهرباء الذي هز الطائرة الجبارة فارتفعنا وارتفعنا حتى بدت الدنيا تحتنا وهي تبرق وترعد الى ان وصلنا مشارف ارض النيل العزيز وبـــدأت انوار شواطىء مصر من السويس وبور سعيـد والقنـــاة العجيبة ومـــا هي دقائق الا ونحن في سماء مصر الجديدة وهبطنا بسلام والتقيت بأبنائي الاعزاء وكان لقاء حاراً بعد غيبة شهور في ارجاء الشرق الاقصى حيث السحر وحيث العجائب وحيث تعيش شعوب تتطلع الى الحرية وشعوب تمارس الحرية الغالية الثمن .

الفهرس

الصفحة

٧٣ - ٤ - ١٩٦٣

بيروت ـ مطابع دار الصحافة ـ نيسان (ابريل) ١٩٦٣